

ملک مُحَارِب سَاحِر مُلْبِ

النماذج السيكولوجية
الأربعة للذكر الناضج.

روبرت موور
دوglas جيليت
ترجمة: محمد ذوالفقار



روبرت موور
دوجلانس جيليت

مَلِكُ مُهَارَبٍ .. سَاحِرٍ .. مُحْبٍ



النماذج السيكولوجية الأربع للذكر الناضج

ترجمة
محمد ذو الفقار

مراجعة
محمد الجيزاوي



للنشر والتوزيع

لمزيد من المعلومات عن عصير الكتب
www.booksjuice.com

العنوان الأصلي: king..warrior..magician..lover

HARPER COLLINS طبع بواسطته:

حقوق النشر © 1990 - روبرت موور و دوجلانس جيليت

Copyrights ©1990 by Robert moore and douglas Gillette

الحقوق المحفوظة للمؤلف محفوظة

حقوق الترجمة © محمد ذو الفقار

جميع الحقوق محفوظة لا يجوز استخدام أو إعادة طباعتها في جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
من دون الحصول على الموافقة المطلوبة من الناشر

روبرت موور و دوجلانس جيليت

ملك.. محارب.. ساحر.. محب.. علم نفس.. روبرت موور و دوجلانس جيليت.. ترجمة.. محمد ذو الفقار.. عصير الكتب.. للنشر والتوزيع
٢٠١٠ ص ٢٢٢

٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٢ - ٨٦ - ٢ : . . . S . B . N

رقم الإيداع ٢٨٨٥٤

الطبعة الأولى: ٢٠٠٣
الطبع الثاني: ٢٠٠٤
الطبع الثالث: ٢٠٠٥
تصنيف داخلية: محمود شمام
مدير الحقوق الإنجليزية: محمد صالح فضل

المدير العام: محمد شرقى
مدير النشر: علي حمدى

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428

الرسالة: Pbookjuice@yahoo.com

الأراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

مُقدمة المُترجم

لـ

نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٩٠ في الولايات المتحدة، من قبل مؤلفي الكتاب «روبرت مور» و«دواجلس جيليت»، وكلاهما باحثين في علم النفس التحليلي التابع لمدرسة عالم النفس الشهير «كارل يونج»، كما أنهما عملا كمستشارين نفسيين لسنوات عديدة في مجال التحليل النفسي، بالإضافة إلى كونهما باحثين في الميثولوجيا والأديان.

يعتبر هذا الكتاب من فئة التطوير الذاتي، وقد لاقى رواجاً واسعاً بعد نشره، حتى انضم لقائمة الكتب الأكثر مبيعاً في أمريكا بعد عدة شهور فقط من نشره.

لكن شهرة الكتاب زادت بشكل ملحوظ جداً بعد سنة ٢٠١٠، عندما بدأ ذكره من قبل العديد من المدونين ورواد موقع التواصل الاجتماعي، ويرجع هذا الاهتمام بالكتاب وأفكاره - منذ تلك الفترة وحتى الآن - لأسباب اجتماعية وسياسية عديدة في الغرب، منها انتشار النسوية الراديكالية

مجتمعاتنا كثيراً - وما زالت تُعاني - بسبب سيادة حكم «الصبيانية» الذي يطلق عليه حكم «النظام الأبوي» أو «النظام الذكوري»، وكما سيوضح هذا الكتاب، فعدم التضجع النفسي هو المشكلة الأساسية خلف العديد من العوارض التي تواجهنا اليوم في العالم العربي: من تفسخ الأسرة، وغياب المعنى والهدف للشباب والشابات، والاستبداد السياسي والاجتماعي، والخيانة الزوجية والعنف الأسري، والمزيد من المشاكل الأخرى التي سيطر حها الكتاب ويوضح علاقتها بـ عدم الضسوج الذكوري.

هذه المشاكل الحقيقة أدت إلى وجود حساسية رهيبة بين النساء والرجال، خصيصاً الشباب والشابات؛ فالشابات اللواتي يُحاربن النظام «الذكوري» الأبوي لديهم كل الحق في الدفع عن حقوقهم المنشورة، في ظل المعانة التي تواجههن كل يوم لمجرد أنهن نساء، لكنهن لا يعرفن أن ما يُحاربته هو في الحقيقة الوجه السلبي للذكورة، وأن الوجه الإيجابي للذكورة بعيد كل البعد عن هذا الاستبداد والاستغلال.

في المُقابل، يرى الشباب أن هذا الهجوم هو هجوم على هويتهم الذكورية بذاتها، بغض النظر عن أفعالهم، وهذا لأنهم لم يجدوا بعد بديلاً عن الذكورية الاستبدادية؛ مما يؤدي في

التي أصبحت تُهاجم فكرة الذكورة ذاتها بغض النظر عن أفعال الذكور، بل أصبحت تُهاجم أيضاً النسوية المعتدلة العادلة، بالإضافة أيضاً إلى مشكلة فقدان الهوية الشخصية والجنسية للشباب والشابات التي أصبحت أحد أهم المشاكل الاجتماعية في الغرب، والتي امتدت في السنوات القليلة السابقة إلى مجتمعاتنا العربية.

وفي الحقيقة فإن سبب رواج هذا الكتاب في الغرب - ليس فقط في أوساط الشباب المُعقفين، بل أيضاً بين أوساط الشابات والنسويات المُعتدلات - هو امتياز جميع أفكاره بالاعتدال والإنصاف لكلا الجنسين، فالمؤلفون - كما سترى لاحقاً - يعترفون بال Kovariث التي سببها النظام الذكوري غير الناضج تجاه الإناث وتجاه المجتمع ككل، كما أن الكتاب يقدم أساساً قوية للهوية الذكورية الناضجة، هوية بعيدة كل البعد عن الاستبداد الذكوري، لكنها بعيدة أيضاً عن تهميش دور الرجال في المجتمع وإخصائهما نفسياً واجتماعياً.

ولعل أحد أهم الدوافع التي شجعني على ترجمة هذا العمل - بعد قرائتي له عدة مرات في خلال الخمس سنوات الماضية - هو أهمية ما يقدّر هذا الكتاب على منحه لنا في المجتمعات العربية خصوصاً في الوقت الحالي؛ فلقد عانت

عالم النفس الشهير «كارل يونج»، ولقد قدم «موور» و«جيلىت» هنا هذه الفكرة بطريقة مُبسطة لتسهيل استيعابها حتى لغير المطلعين على هذا المجال، كما أن الكتاب يستعرض فكرة اللاوعي الشخصي واللاوعي الجماعي وأهمية التواصل مع هذه المُمحتويات اللاوعية في سبيل التطوير الذاتي، كما يتم ذكر العديد من الاضطرابات النفسية الشائعة المرتبطة بالأنماط السلوكية والفكرية المُعينة.

لذا فالكتاب يُعتبر مُقدمة جيدة إلى عالم علم النفس التحليلي الشاسع والعميق، وخصوصاً إلى عالم مدرسة «كارل يونج» أو كما تُسمى المدرسة «اليونجية».

أما فيما يخص الميثولوجيا، فالكتاب يستعرض الخلفية التاريخية والميثولوجية للنماذج السيكولوجية (الملك والمُحارب والساخر والمُحب) عن طريق ذكر بعض أشهر الشخصيات الميثولوجية من مختلف ثقافات وأرجاء العالم، والذي سيدرس القارئ غير المُطلع على مجال الميثولوجيا هو مدى تشابه وتقارب هذه الشخصيات مع بعضها بغض النظر عن موطنها أو زمانها، بل ومدى انتشار الأنماط الأساسية التي ترويها هذه الشخصيات، ليس فقط في أديان العالم القديم، بل حتى في أديانتنا الحديثة.

الأغلب إلى ردة فعل عدوانية تجاه هذا الهجوم على هويتهم الذكورية، وهذا ما تستغله النسويات الراديكاليات.

الرجل في العالم الحديث لا يرى أمامه سوى نقايضين: النقىض الأول هو الاستبداد الذكوري التي تمتاز به المجتمعات العربية، والنقيض الثاني - الذي يتشر حالياً أكثر وأكثر في الغرب - هو تهميش دوره كذكر وإرغامه على السلبية.

وأنا من جانبي أؤمن أن هذا الكتاب يمكنه أن يُقدم أرضًا ثابتة تعمل كقاعدة بناء هوية ذكورية جديدة للرجل - سواء كان عربياً أو غربياً -، هوية تقدر وتحترم دوره كذكر، وتشجعه وتُخرج أفضل ما فيه، دون أن تكون استبدادية واستغلالية وأنانية.

سبب آخر دفعني إلى ترجمة هذا العمل الرائع، هو عرضه العديد من الأفكار العامة والأساسية في مجال علم النفس التحليلي والميثولوجيا، فالبالغ من المقدار الهائل من الحكمة - النظرية والعملية - الكامنة في هذين المجالين، إلا أن المعرفة العامة بهما في العالم العربي محدودة، حتى ضمن أوساط القراء والمُثقفين.

فيما يخص علم النفس التحليلي، فالكتاب كله مبني حول فكرة النماذج الأصلية *Archetypes*، وهي أحد أهم اكتشافات

مقدمة الكتاب

فاتحة اللهم

أصبح الاهتمام بالنمذج الأصلية للملك، المُحارب، الساحر والمُحب في ازديادٍ مُؤخرًا، سواءً في أواسط الرجال أو حتى على مستوى الأعمال المنشورة سواءً الأدبية أو التاريخية، داخل الولايات المتحدة وخارجها.

فمعظم الناس يؤمنون أن هذه الأنماط النفسية كانت تُشكّل أحجار البناء الأساسية لنفسية الذكر الناضج، وبالفعل فإن البحوث في علم النفس التي تناولت إيضاح وتسمية هذه النمذج الأربعـة - التي تُشكّل بطريقة ديناميكية متداخلة الأساسات العميقـة للبنية النفسية عند الذكور - عُرِضـت في الأصل كمجموعة من المحاضرات في مؤسسة «كارل يونج»^(١) بشيكاغو، ومن ثم تم إصدارها كتسجيلات صوتية لاقت شعبية

من الناحية العملية، فكل هذه الأفكار الغنية من هذه المجالات المختلفة مُوظفة هنا بامتياز لمساعدة القارئ عملياً، فالكتاب في الأصل هو كتاب تطوير ذاتي وليس كتاب علم نفس بحث، كما أن الأمثلة التي يُقدمها المؤلفون عن الحالات الحقيقية لبعض عملائهم - وأحياناً أيضاً من بعض الأفلام الحديثة - تساعد جدًا في استيعاب الأفكار وتطبيقها، بالإضافة إلى أن الفصل الأخير مُخصص بالتحديد لعملية التطبيق العملي في حياة القارئ.

كما أن الكتاب يتمتع لفترة أُسيـبها «الكتب الديناميكية»، وهي الكتب التي «تتغير» مع الوقت، مع تغير خبراتك الحياتية ومعرفتك العامة، وهذا هو السبب وراء قراءتي لهذا الكتاب عدة مرات على مدار السنين الماضية، فكل مرة كنت ألـاحظ أشياء وأفكاراً لم ألـاحظها من قبل، وكل مرة أُعجـب بـفـقرات أو جمل لم أقدرها سابقاً.

في النهاية، أتمنى للقارئ أن يحصل على نفس المـُـســنة والفائدة التي حصلت عليها من هذا الكتاب، فـدونـ أدنـى شـك يـعتبرـ هـذاـ العـمـلـ مـنـ الـأـعـمـالـ التـيـ غـيـرـتـ حـيـاتـيـ تـمـاماًـ.



(١) هو تلميـهـ وصـدـيقـ لـسـجـمـونـدـ فـروـيدـ،ـ لكنـهـ اـنـشـقـ عـنـ مـدرـسـةـ فـروـيدــ وـأـنـسـ تـيـارـاـ مـسـتـقـلـاـ فيـ التـحلـيلـ النـفـسيـ وـصـارـتـ لهـ مـدـرـسـةـ يـتـبعـهاـ الـكـثـيرـونـ منـ عـلـمـاءـ النـفـسـ عـلـىـ مـسـطـوـنـ عـالـمـ،ـ لـهـ عـدـدـ كـتـبـ آـشـهـرـهاـ «ـالـكـتـابـ الـأـخـرـ»ـ.

كبيرة وتركت تأثيراً كبيراً على أوساط الرجال، ونحن نؤمن أن نتائج الأبحاث التي لُخّصت في هذه المُحاضرات تُشكّل تقدماً علمياً باهراً في مجال فك رموز الأساسات العميقية للنفس البشرية، سواء الذكرية أو الأنثوية.

وكتاب «ملك مُحارب ساحر مُحب» هو دراسة استقصائية تهدف لاستكشاف نتائج هذه البحوث ومحاولة فهم النفسية الذكرية، وهو أول جزء من سلسلة خمسية عن السيكلولوجية الذكرية على هذا النطء، وستقوم الكتب التالية في السلسلة بتوضيح الآثار الأوسع لهذا النموذج السيكلولوجي العميق، وعلى الذين لديهم اهتمامات تقنية احترافية في علم النفس أو الذين لديهم الرغبة والفضول لمعرفة المزيد عن الأفكار التي وردت في الكتاب، عليهم الاطلاع على قائمة المراجع والقراءات المختارة في نهاية الكتاب.

لكن الهدف من هذا الكتاب، هو تقديم موجز مُبسط عن هذه المواضيع للرجال، فقراءة هذا الكتاب ستُساعدك في فهم نقاط قوتك وضعفك كرجل، وستمنحك خريطة للمناطق السيكلولوجية الذكرية التي سيقى عليك مُهمة استكشافها.

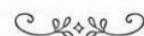
المقدمة



في أواخر القرن العشرين، أصبحت لدينا أزمة كبيرة ومحقة بشأن هوية دور الذَّكر، وقد بدأ الباحثون في علم الاجتماع وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس ملاحظة أبعاد ومخاطر هذه الأزمة أو الظاهرة التي تمس كل واحد منا على المستوى الفردي كما تمس المجتمع ككل.

لماذا أصبح هناك اضطراب هائل في سلوك الإنسان على الأقل في الولايات المتحدة وأوروبا؟ يبدو أن إبراز أو توضيح نموذج ذكري أو أنثوي مُحدد أمسى أكثر صعوبة وتعقيداً.

يمكنا أن ننظر إلى النظم العائلية ونرى مدى الدمار الذي طال العائلة التقليدية النموذجية، وكيف أنَّ الكثير من العائلات أصبحت مؤخراً تعاني من مشكلة غياب الأب المؤسفة، غياباً مجازياً أو حرفياً، وما لهذا الغياب من تأثير سلبي مدمّر على نفسية الأطفال من الجنسين، فالاب الغائب أو الضعيف يُعوق



تشاركان الرفض والتقليل من قيمة هذه العمليات الطقسية القديمة.

وعندما يتم التقليل من أهمية وقدسيّة طقس شعائري ما، لا يبقى منه سوى ما أطلق عليه فيكتور تربر « مجرد احتفال سطحي »، أي احتفال لا يملك القوة اللازمه لترك تأثير فعال وتحقيق تحول حقيقي في وعي الإنسان.

وبعدنا عن هذه الشعائر الضرورية أبعدنا بالتالي عن العملية التي يمكن من خلالها تحقيق ثقة عميقة في الهوية الجنسية للرجال والنساء.

لكن ماذا يحدث لمجتمع تخلّى عن الطقوس والعمليات التي تتشكل وتقوى من خلالها تلك الهوية؟ في حالة الرجال، هناك العديد منمن لم يحظوا بطقس شعائري تحضيري مؤثر كافٍ لتحضيرهم للنضوج، وهو ما يؤدي إلى سيطرة «سمات نفسية الصبي» على رجال من المفترض أنهم بالغون نفسياً وجسدياً.

هذه السمات الطفولية أو الصبيانية موجودة في كل مكان حولنا، ومن السهل جدًا رؤية تأثيرها، أحد هذه التأثيرات هي التعامل بطريقة عدوانية واستغلالية تجاه الآخرين، أو في الجهة المعاكسة التعامل بضعف وسلبية، مما يُعيق قدرة كل من

قدرة الأبناء على تحقيق هويتهم، ويعوقهم عن تكوين علاقات قوية وابنجائية مع الآخرين من جنسهم أو من الجنس الآخر.

لكتنا نؤمن أيضًا أنه لفهم واستيعاب أسباب انحلال الأسرة، يجب النظر للمشكلة بصورة أعمق وعدم التسريع في إرجاع سبب هذا الانحلال لغياب الأب فقط، فالرغم من أهمية هذه المشكلة، هناك عوامل آخران يلعبان دوراً هاماً في هذا الانحلال والتفسخ العائلي.

أولاً يجب أن نأخذ بعين الاعتبار غياب طقوس التلقين وعملية المباشرة لإعداد الأبناء من الطفولة إلى الرجولة، فهي المجتمعات التقليدية هناك سمات واضحة لما تُسميه نفسية الصبي ونفسية الرجل، يمكن رؤية هذه السمات بوضوح شديد في المجتمعات القبلية البدائية، فعند هذه القبائل طقوس مصممة بعناية وحرفية لتساعد أطفال القبيلة الذكور على الانتقال بشقة لمرحلة الرجولة.

وقد تلاشت هذه الطقوس على مر العصور ببطء حتى اختفت تماماً، أو تحولت إلى عمليات أقل عمقاً وتأثيراً فأصبحت ما يُسمى بـ « طقوس المباشرة الزائفة ».

وتاريخياً بدأ التلاشي لهذه العملية الطقسية منذ بداية فترة الإصلاح البروتستانتي وعصر النهضة، فكانت الحركة كان

وَقْمَعِيَّةً وَاسْتَغْلَالِيَّةً، وَأَنْ رُوحَ الْمُحِبَّةِ وَالْعَطْفِ «إِبْرُوس»^(١) تَأْتِي فَقْطًا مِنَ الْجَانِبِ الْأَثْنَى فِي الْمُعَادِلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَيُقْدِرُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَكْتَارُ وَالْمُوَاقِفُ مُفَيِّدَةً فِي تَحْرِيرِ كُلِّ مِنَ الْذَّكْرِ وَالْأَثْنَى مِنَ الْقَوَالِبِ النَّمَطِيَّةِ لِلنَّظَامِ الْأَبُوِيِّ، إِلَّا أَنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ وَجْهَةَ النَّظَرِ هَذِهِ تَحْتَوِي عَلَى مَغَالِطَاتِ حَقِيقَةً، فَمِنْ وَجْهَةِ نَظَرِنَا نَرَى أَنَّ النَّظَامَ الْأَبُوِيَّ لَا يُعْبُرُ بِحَقِّهِ عَنْ جُذُورِ الذَّكْرَةِ الْحَقِيقَةِ الْعَمِيقَةِ، فَرُوحُ الذَّكْرَةِ الْحَقِيقَةِ لَيْسَ مُسْتَبِدَةً وَظَالِمَةً وَاسْتَغْلَالِيَّةً، أَيْ إِنَّ النَّظَامَ الْأَبُوِيَّ الْاِسْتَادِادِيُّ هُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ الذَّكْرَةِ غَيْرِ النَّاضِجَةِ، تَعْبِيرٌ عَنِ السَّمَاتِ الْنَّفْسِيَّةِ الْطَفْوِيَّةِ، وَأَيْضًا - جُزِئِيًّا - تَعْبِيرٌ عَنِ الْجَانِبِ الْمُظْلَمِ وَالْمَجْنُونِ وَغَيْرِ الْمُتَوازِنِ مِنَ الذَّكْرَةِ، هَذَا النَّظَامُ يُعْبُرُ عَنِ ذَكْرَةٍ هَشَّةٍ، مَوْضِعَةٍ عَلَى أَسْسٍ غَيْرِ نَاضِجَةٍ.

إِنَّ مَا يُدْعَى «النَّظَامُ الْأَبُوِيُّ» يُشَكِّلُ عَدْوَانًا عَلَى الذَّكْرَةِ النَّاضِجَةِ، كَمَا يُشَكِّلُ عَدْوَانًا عَلَى الْأُنْوَثَةِ النَّاضِجَةِ، فَالَّذِينَ يُسَيِّطُرُونَ عَلَى هَذِهِ الْأَنْظَمَةِ يَسْعُونَ لِلسُّيُطْرَةِ لَيْسَ فَقَطَ عَلَى النَّسَاءِ بَلْ عَلَى الرِّجَالِ أَيْضًا، فَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ النَّظَامَ الْأَبُوِيِّ مُبْنَىٰ عَلَى أَسْسِ الْخَوْفِ الْطَفْوِيِّ مِنَ النَّسَاءِ، وَأَيْضًا الْخَوْفِ مِنَ الرِّجَالِ، الْأَطْفَالِ الذَّكُورِ يَخَافُونَ أَيْضًا الرِّجَالِ الْحَقِيقَيْنِ.

(١) إِبْرُوس Eros هُو إِلَهُ الْحُبُّ عِنْدَ الْإِغْرِيْقِ. وَيَعْبُرُ فِي عِلْمِ النَّفْسِ عَنْ رُوحِ الْحُبُّ وَالْجَنَانِ وَالْعَطْفِ وَالْإِحْسَانِ. (المُتَرَجِّمُ)

الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ عَلَى عِيشِ حَيَاتِهِمْ بِصُورَةِ خَلَّاقَةٍ وَمُؤْثِرَةٍ، كَمَا يُعِيْقُهُمْ عَنْ أَنْ يُقْدِرُوا وَيُعْجِبُوا بِهَذِهِ الْفَاعِلِيَّةِ فِي حَيَاةِ الْآخَرِينَ، وَغَالِبًا مَا يَحْدُثُ أَنْ يَعِيشَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ حَيَاتِهِمْ مُذَبِّذِيَّنَ بَيْنَ الْتَّقِيَّيْنِ، عَدْوَانِيَّوْنَ تَارَةً وَضَعْفَاءَ تَارَةً أُخْرَى.

وَيَجْنَبُ غَيْابُ الطَّقوسِ الشَّعَائِرِيَّةِ الْمُؤْثِرَةِ، هُنَاكَ عَامِلٌ مِنْهُمْ آخَرُ يُسَاهِمُ فِي مُشَكَّلَةِ تَلَاشِي هُوَيَّةِ الذَّكْرَةِ النَّاضِجَةِ، هَذَا الْعَامِلُ أَصْبَحَ وَاضْسَاحًا فِي بَعْضِ الْحَرَكَاتِ النَّسَوِيَّةِ حَدِيثًا، وَهُوَ مَا يُسَمِّي بِنَظَامِ سِيَادَةِ الْأَبِ Patriarchy أَوْ «الْمُجَمَّعِ الْذَّكْرَوِيِّ»،

إِنَّ مَا يُطْلِقُ عَلَيْهِ النَّظَامُ الْأَبُوِيُّ أَوِ الذَّكْرَوِيُّ هُوَ الْمُؤْسِسَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْقَوْنِيَّةُ الَّتِي حَكَمَتِ الْعَالَمَ الْغَرَبِيَّ بِلَ وَأَغْلَبَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، مُنْذَ بِدَايَةِ الْأَلْفِيَّةِ الثَّانِيَةِ قَبْلِ الْمِيلَادِ وَحتَّى الْآنِ، وَقَدْ رَأَتِ النَّسَوِيَّاتِ كَيْفَ أَصْبَحَتِ السِّيُطَرَةُ الذَّكْرَوِيَّةُ فِي الْمُجَمَّعِ مُسْتَبِدَةً وَقَامِعَةً لِرُوحِ الْأَثْنَى الْمُمَثَّلَةِ فِي السَّمَاتِ الْأَنْثِيَّةِ أَوِ فِي النِّسَاءِ أَنفُسِهِنَّ.

لَكِنَّ فِي نَقْدِهِمِ الرَّادِيكَالِيِّ - الْمُشَدِّدِ - لِهَذَا النَّظَامِ، اسْتَتِجَّ بَعْضُ النَّسَوِيَّاتِ أَنَّ الذَّكْرَةَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ مُسْتَبِدَةٌ

في مُعظم الأحوال، لا يكون هذا الشيء الناقص هو غياب العلاقة الكافية بالروح الأنوثية داخلهم كما يظن العديد من المُحللين النفسيين^(١)، ففي الكثير من الحالات يكون هؤلاء الرجال الذين يسعون للعون ماضٍ وحاضر يظهر فيه تأثير سلبي للأثني في حياتهم الشخصية، بل ما ينقص مُعظم هؤلاء الرجال هو تكوين علاقة قوية بطاقتهم الذكورية الأصلية والعميقة، فقد منعهم هذا النظام الأبوي من تكوين هذه العلاقة والحفظ عليها، وكذلك هاجمت بعض الأفكار النسوية المُتطرفة ما تبقى لهم من هذه الروح للذكورة الناضجة، إن هؤلاء الرجال يُعانون بسبب غياب أي عملية فعالة لتحضيرهم ونقاهم لمستوى الذكورة الناضج.

عندما حاول هؤلاء الرجال - أثناء التحليل النفسي - تحسين علاقتهم مع أنظمتهم الذكورية الداخلية، من خلال التأمل، الصلاة، وما يدعوه اليونجيون - نسبة لأتباع كارل يونج - بـ «التخيل الفعال»، وعندما باتوا على اتصال أكثر قوّة بمتمازج الذكورة الأساسية بداخليهم، وجدنا أنهم أكثر استعداداً وقابلية ورغبة في التخلص من سمات الأبوية القمعية المستبدة، كذلك التخلص من العديد من الأفكار والمشاعر

إن الرجل السلطوي لا يسعى ولا يُرحب بالتطور الكامل لروح الذكورة الناضجة في أولاده أو رعاياه، كما لا يُرحب بالضوح الأنوثي الكامل لبناته وموظفيه من النساء، تلك هي قصة المسؤول في العمل الذي يملؤه الحقد والغيرة عندما يُعبر عن سماتنا الحميدة؛ من الجمال والنضج وقدرة الإبداع لدينا، فكلما تُصبح أكثر جمالاً وثقة وكُفناً كلما أُثرواً عدواً نية مسؤولينا، أو حتى زملائنا، وما يُهاجمنا في الحقيقة هو عدم نضج البشر الذين يرتعون من فكرة تطورنا وتقدمنا نحو نضوج أنثوي أو ذكري كامل ومتَّكمَل.

إن النظام الأبوي تعبير عماسمي نفسي الصبي (الطفل الولد)، وهي ليست تعيراً عن الجوهر الكامن للذكورة في أساسها، في شكلها الكامل، وقد وصلنا إلى هذا الاستنتاج من خلال بحثنا في الأساطير والحكايات القديمة والأحلام الحديثة، ومن خلال تأملنا في التغيير الهائل في أدوار الذكر والأثني في المجتمع ككل، وكذلك من سنوات عملنا المهني في التحليل النفسي؛ فقد أصبح من الواضح لنا أن هناك شيئاً ضروريًا غائباً في الحياة الداخلية للعديد من الرجال الذين يسعون للعلاج النفسي التحليلي.

(١) روبرت موور ودوجلانس جيليت هم في الأصل محللين نفسيين يونجيون (متبعين لمدرسة (كارل يونج) قبل أن يتجهوا لمجال الكتابة والمحاضر). (المترجم)

يجب علينا أن نتعلم أن تُحب الذَّكَر الناضجة وأن تُحْبَبَ منه،
نحتاج أن ندعم ونحتفل بالذِّكورة الناضجة القوية والمؤثرة،
ليس فقط من أجل جودة حياتنا الشخصية كرجال أو من أجل
علاقتنا مع الآخرين، بل أيضًا لأن أزمة الذِّكورة الناضجة
تؤثر بوضوح في الأزمة العالمية لبقاء جنسنا البشري على قيد
الحياة، في ظل المخاطر العديدة القائمة.

علمنا الحالي الخطير وغير المستقر، يحتاج بشكل عاجل
إلى المزيد من الرجال الناضجين والنساء الناضجات؛ ليكون
ل الجنسنا أمل في البقاء مستقبلًا.

ولأنه ليس لدينا في المجتمع عملية طقسيّة قادرة على
مساعدتنا في التحول من نفسية الصبي إلى نفسية الرجل؛ يجب
على كل واحد منا كرجال - بمساعدة ودعم بعضنا بعضًا -
أن يسلك طريقه بنفسه لتحقيق هذا الهدف، أن نصل إلى
المصادر العميقية للطاقة الذِّكورية الموجودة بداخلينا جميعًا،
يجب أن نجد الطريق إلى هذه الطاقات العظيمة، ونأمل -
نحن المؤلفين - أن يساهم هذا الكتاب في إنجاز وتحقيق هذا
الهدف الضروري.

لله الحمد

والسلوكيات السلبية الأخرى، وقد أصبحوا أكثر قوة وثقة
حقيقية وتوازنًا، وأصبح سلوكهم أكثر دعماً وإيجابية لأنفسهم
وللآخرين من الرجال والنساء.

في ظل هذه الأزمة الذِّكورية القائمة، نحن لا نحتاج - كما
تدعى بعض النسويات - إلى قوة ذكورية أقل، لكننا نحتاج
إلى ذكورة أكثر نضجاً، نحتاج إلى سمات سيكولوجية الرجل
وليس سيكولوجية الصبي، نحتاج أن نشعر بالثقة والأمان من
ناحية طاقتنا الذِّكورية لكيلا نسعى للسيطرة على الآخرين
والبطش بهم.

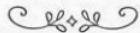
فهذا العدوان الذي يقوم به النظام الأبوي تجاه كل من
الذَّكَر والأنثى، بالإضافة إلى ردة فعل النسويات تجاه النظام
الأبوي - عندما لا تكون ردة الفعل هذه حكيمه بصورة كافية
- قد تؤدي في الواقع إلى المزيد من الجروح في روح الذِّكورة
الحقيقة.

ربما لم يأت اليوم بعد الذي تنهض وتسود فيه روح الذِّكورة
الناضجة أو الأنوثة الناضجة، هذا احتمال لا يمكن الجزم به،
لكن ما نحن متأكدون منه أن روح الذِّكورة الناضجة ليست
ظاهرة في الوقت الحالي.

الفصل الأول

التحول من سيكولوجية الصبي

إلى سيكولوجية الرجل



١- الأزمة في طقوس الذكورة:

أحياناً نسمع عن رجل ما أنه «لا يستطيع جمع شتات نفسه»، بمعنى أنه ليس لديه بُنيان نفسي مُتماسك، إنه مُشتت، هناك انفصال بين كثير من مكونات شخصيته، كل مكون من هذه المكونات كأنه يعيش حياة مُستقلة وغالباً ما تكون حياة فوضوية.

إن الرجل الذي «لا يستطيع جمع شتات نفسه» هو في الأساس رجل لم يحظ بفرصة للخضوع لعملية طقسوية تُحضره وتؤهله للرجلة، فيظل صبياً (طفلاً)، ليس لأنه يريد ذلك، لكن لأن أحداً لم يُعلمه طريقة تحويل طاقاته الطفولية إلى طاقات رجولية، لم يُرشده أحد إلى عامله الداخلي المليء بالإمكانات الذكورية.

الجنوبية وجزر جنوب المحيط الهادئ، وفي العديد من الأماكن الأخرى، وقد بقيت هذه الطقوس حية حتى في أمريكا الشمالية، بين قبائل الهندو-الحمر المُتمسكين بثقافتهم.

قد تبدو الدراسات التي قام بها المختصون عن هذه الطقوس جافة ومُملةً، لكن يمكن رؤيتها ملونة و مليئة بالحيوية في بعض الأفلام المعاصرة، فالأفلام في العصر الحديث يمكن اعتبارها كالأساطير والحكايات الشعبية في العصر القديم، إنها قصص نرويها لأنفسنا عن ذواتنا، عن حياتنا وعنوانها، بل إن عملية المعالجة للرجال والنساء هي أحد الأنماط المتكررة الخفية ضمن العديد من أفلامنا.

أحد الأمثلة الجيدة على هذه الأفلام يمكن إيجاده في فيلم «The Emerald Forest»، في هذا الفيلم يظهر صبي أبيض تم إسره وتربيته من قبيلة هنود البرازيل، وفي أحد الأيام كان الصبي يلعب في النهر مع فتاة جميلة، وقد لاحظ زعيم القبيلة بفطنته أن الصبي لديه اهتمام أو إعجاب ما بالفتاة، وهذا الإعجاب الذي يعتبر من بوادر النشاط الجنسي كان إشارة للزعيم الحكيم، فجَمِعَ الزعيم بعض رجال القبيلة وزوجته

عندما نزور كهوف أسلافنا في «كرو- ماجنون» بفرنسا، ونبهط من خلال الممرات البُقْلَمة إلى المحاريب القديمة ونُضيئ مصابيحنا، لا يسعنا سوى الانبهار بعظمة وغموض هذه الأماكن المشحونة بالطاقة الذكرية، نشعر وكأن المكان حرك شيئاً بداخلنا، الحيوانات المرسمة على الحائط هنا (البيسون والظبي والماموث) تُشع بالجمال والقوة على الجدران المُتموجة، تسقط ظلالها بين طيات الصخور فتبعد كأنها حية وواقعية، وبجانب هذه الحيوانات نجد بصمات أيادي الرجال، الصيادين الفنانين، المحاربين القدامى، حمامة القبيلة، الذين اجتمعوا هنا ليؤدوا طقوسهم البدائية.

لقد اجتمع علماء الأنثروبولوجيا^(١) في العالم كله على أن هذه المحاريب صُنعت خصيصاً من الرجال وإلى الرجال، تحديداً لتأهيل الصبيان طقسيّاً للدخول إلى العالم الغامض للمسؤولية الذكرية والروحانية الذكرية.

لكن هذه العمليات الطقسية لتحضير الصبيان للرجلة لم تقتصر فقط على أسلافنا القدامى وحسب، ولكنها - كما أظهر العديد من الباحثين مثل ميركيا إلياد وفيكتور ترنر - ما زالت قائمة حتى يومنا هذا في الثقافات القبلية، في أفريقيا وأمريكا

(١) الأنثروبولوجي هو علم يهتم بدراسة الأعراق البشرية وخصائصها.

الروحي، نسر يُحلق به في العالم الجديد للوعي الفائق، فبri
وكانه ينظر من السماء - غابته المُقدسة بكمالها وتكاملها.

ثم يُسمح له أن يتزوج، لقد أصبح تومي رجلاً، وحينما
يتحمل مسؤولية وهوية الرجال، ينال مرتبة عالية ضمن شُجاعان
القبيلة، ومن ثم يُصبح زعيم القبيلة.

يمكن القول: إن أحد أهم تجارب الحياة الحيوية تمثل
في محاولة الانتقال من مستوى وعي معين إلى مستوى وعي
أعلى أو أعمق، التحول من هوية مُشتلة إلى هوية أكثر نظاماً
وتماسكاً، يجب أن يسعى كل إنسان لتحقيق هذا الهدف، نحن
نسعى للوصول إلى حياة البلوغ والضو光 بمعناها لنا، وحقوقنا
وروحانيتنا فيها، المجتمعات القبلية البدائية كان لديها مفاهيم
واسحة بشأن البلوغ الجسدي والنفسي وكيفية الوصول إليه،
سواء كان بلوغاً ذكورياً أو أنثرياً، وكان لديهم طقوس - كما
رأينا في فيلم The Emerald Forest - تُمكِّن الأطفال من تحقيق
ما يُطلق عليه نضوجاً هادئاً مليئاً بالثقة.

أما في ثقافتنا نحن فلدينا العديد من الطقوس الزائفة، فهناك
توهم بأن الإذلال وفقدان الهوية المفترض على الشبان في
 مجالات عديدة «سيصنع منهم رجالاً»، عصابات الشوارع

على ضفاف النهر، وفاجأ الزعيم ذلك الصبي «تومي» وهو
يلعب مع الفتاة، بقوله: «تومي، لقد حان وقت موتك». وبدأ
الجميع خائفين.

سألت الزوجة - وهي حنونة كجميع الأمهات - : «هل
يجب عليه أن يموت؟» وأجاب الزعيم: «نعم».

المشهد التالي يدور في عتمة الليل، مع القليل من ضوء نار
الحطب، ويظهر تومي وهو يُعدب من رجال القبيلة الأشداء،
ومن ثم يدفعوه بالقوة إلى الغابات الكثيفة المظلمة، وهناك
يبدو وكأنه يُوكِل حياً من قِبَل نمل الغابة الجائع والمُتوحش
الذي يُعطي جسده.

أخيراً، تسقط الشمس بُطْءَه، وتومي ما زال على قيد الحياة،
فأخذته الرجال إلى النهر ليُحُمِّوه، يُرِيَّدون النمل العالق على
جسمه، ثم يقول الزعيم بصوت مرتفع:
«القد مات الصبي وُؤْلَدَ الرجل».

ومن ثم يحصل الرجل - أي الصبي سابقًا - على أول تجربة
روحانية له، من خلال نبنة مُهلوسة موضوعة في غليون طويل
يسُتنشقه من خلال أنفه، فيُهلوس وتكشف هلاوسه حيوانه

ت تكون مؤذية لحامليها ذاته، تماماً كما هي مؤذية للآخرين، إنها بطريقة ما سادية و مازوخية في الوقت نفسه، أما نفسية الرجل فهي على العكس، داعمة وتعاونية مع الآخرين، ليست عدائية ومدمرة.

ومن أجل أن يتخلص أي ذكر من نفسية الصبي ويتحقق نفسية الرجل، يجب أن يكون هناك موت.

الموت -رمزيًا كان أو سيكولوجيًا أو روحانيًا - هو دائمًا جزء شديد الضرورة في أي طقوس تحضيرية، بالصلة السيكولوجي، يجب على «أنا» (Ego) الصبي أن تموت، الحياة القديمة بكل ما فيها من أفعال وأفكار ومشاعر يجب أن تموت رمزيًا وطقطيًّا لكي ينشأ الرجل، من الناحية الأخرى فالطقوس المُرْفِعَة غالباً ما تعمل على تضخيم «أنا» الصبي، تلك الأنما التي تسعى للسلطة والتحكم، فُيصبح الصبي مُراهقاً تابعاً لمُراهقين آخرين.

الإعداد الطقسي الحقيقي الفعال يذبح الأنما الصبيانية بكل رغباتها؛ لتُبعَث علاقة جديدة مع مركز قوة غير معلوم سابقاً، الخضوع لقوة الذكرة الناضجة دائمًا ما يُتيح شخصية ذكرية جديدة تمتاز بالهدوء والمعطف والحكمة والرؤية الواضحة وكذلك التوليدية.

أحد أشكال هذه الطقوس الزائفة أيضًا، وكذلك أنظمة السجون، التي تُدار بشكل كبير عن طريق العصابات.

نحن نُطلق على هذه الظواهر «طقوس زائف» لسببين: الأول أن هذه الطقوس بالرغم من أنها تكون أحياناً غاية في التعقيد - بالأخص في وضع العصابات - إلا أنها في الأغلب تؤهل الصبي إلى نوع ذكورة مشوهٌ ومُفْزَع وخاطئ، وهذه هي بالتحديد «الذكرة الأبوية المستبدة»، ذكورة استغلالية للأخرين، غالباً حتى للنفس ذاتها، في بعض الأحيان تكون عملية «قتل طقسية» مطلوبة من الرجل الذي يُعد ليُصبح أحد أفراد العصابة، غالباً أيضاً ما تتضمن العملية المُخدرات، وبالتالي عندما يُصبح الصبي أو المراهق عضواً فعالاً في هذه الأنظمة والجماعات يُحقق تطوراً سيكولوجياً موازيًّا لنفس مستويات التطور الصبيانية غير الناضجة التي يُعبر عنها المجتمع، لكن في هذه الحالة غالباً ما يحتفظ الصبي بقيم تُعتبر على التقىض من قيم المجتمع، ثقافة مضادة متطرفة.

طقوس الإعداد الزائف هذه لا تُتجَزَّ رجلاً، فالرجال الحقيقيون ليسوا عدوانيين تعسفيًّا، لكن النفسية الصبيانية - التي تستعمق في تفاصيلها في الفصل الثالث - مشحونة بالرغبة في السيطرة على الآخرين بطريقة أو بأخرى، كما أنها في الأغلب

يكون هذا المكان معزولاً عن أي تأثير خارجي - وخصوصاً في حالة الأولاد - بعيداً عن تأثير الأمهات والإثاث في العموم.

الصبيان الذين يجب تأهيلهم يوضعون حينها في المكان المقدس ليمرروا بعدة تجارب قاسية من الرعب النفسي والعاطفي، إلى الألم الجسدي الشديد، ليتعلموا أن يخضعوا لآلم الحياة وأن يستسلموا للرجال الحكماء، وأن يحترموا أساطير وتقالييد الذكورة الخاصة بالقبيلة، إنهم يُلقتون كل الحكمة السرية للرجال، ولا يُفرج عنهم إلا حين يُكملوا التحول الكامل المطلوب ويعثروا من جديد كرجال.

وهذا المكون الأساسي لعملية التأهيل والمتمثل في وجود المرشد الحكيم يوجد - على سبيل المثال - في فيلم The Emerald Forest في زعيم القبيلة ومجموعة من الرجال ذوي الأهمية في القبيلة.

المرشد الحكيم هو شخص يعلم الحكمة السرية وخبائياها، يعلم طريقة حياة القبيلة ونظامها، كما يعلم جيداً الأساطير والحكايا الخاصة بالقبيلة، إنه تعبر حقيقى وواقعي عن روح الذكورة الناضجة.

أما العامل الثاني الذي يجعل معظم طقوس التأهيل في ثقافتنا طقوس زائفة؛ أن هذه العملية غالباً ما تكون غير مُحتواة، والعملية الطقسية تُحوّى أو تُنظم عن طريق شيئاً أساسين: الأول هو المكان المقدس، أما الثاني فهو المرشد الحكيم، الذي يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة، وهذا الشخص يكون محل ثقة الجميع - بما فيهم الشاب أو الفتاة الذين سيتم تحضيرهم - ولديه القدرات والخبرة التي تؤهله أن يُرشد الطفل خلال العملية ويصل به - أو بها - إلى تحقيق الهدف الأساسي من العملية.

«ميريكيا إلياد» قام بأبحاث عميقة عن دور «المكان المقدس» في العملية، وقد وجد أن هذا المكان الذي يُكرّس خصيصاً لهذه الطقوس هو مكان ذو أهمية لا غنى عنها لكل فعل تحضيري أيّاً كان نوعه، في المجتمعات القبلية قد يكون هذا المكان - الذي تُقام فيه الطقوس - متلاً أو خيمة أو كوخاً، قد يكون كهفًا، وأحياناً يكون هذا المكان هو البرية بأكملها التي يُقاد إليها الصبي ليموت أو يجد رجولته، أحياناً يكون المكان الدائرة السحرية للسحررة، أو في المجتمعات الأكثر حداثة حجرة مقدسة في معبد ضخم، لكن يُشترط أن

الكثير منا يحتاج إلى روح الدعم والتثبيج التي يقدمها الأب بالرغم من أن مُعظمنا لم يتعرف على هذه الروح؛ الأب الذي لم يكن موجودًا في حياة مُعظمنا، ولن يكون موجودًا «مهما حاولنا».

لكتنا - مؤلفي هذا الكتاب - كباحثين في الميثولوجيا والأساطير، وكـ«يونجين» - نسبة لكارل يونغ - نرى أن هناك بودار أمل، بودار أمل وأخبارًا سعيدة - لكل من الرجال والنساء - تُريد أن تُعلّمنا، وهو ما سنفعله الآن، في الجزء القادم.

٢- إمكانات الذكورة الكامنة:

منْ كان مُطلعاً على أفكار عالم النفس العظيم «كارل يونغ» يعلم أن لديه أسباباً قوية ليأمل أن تلك المشاكل التي نواجهها خارجيًّا في العالم كذكور - كغياب الأب، عدم تُضيّص الأب، عدم وجود عملية طقسية فعالة وذات معنى، وقلة المرشدين الحُكماء - يُمكن معالجتها، ونحن كمُختصين وأطباء نفسيين ليس لدينا الأمل فقط، بل التجربة الفعلية والخبرة العملية، ومن واقع خبرتنا نرى أنه توجد داخل كل رجل البنية الأساسية للذكورة الناضجة الإيجابية، اليونجينون يُسمون هذه الإمكانيات بـ«النماذج الأصلية» (Archetypes).

ومع تناقص عدد الرجال الناضجين في مجتمعنا، من الواضح أن المرشد الحكيم أصبح نادراً جدًا، وبالتالي مع غياب هذا العنصر، فإن الإعداد الطقسي يظل مشوهاً ومُتحفراً، فيعدم النفسية الصبيةانية بدلاً من التقدم نحو النفسية الرجولية، حتى وإن كان هناك عملية إعداد أو مكان مقدس.

إن أزمة الذكورة التي تُعاني منها واضحة أمامنا، فمع اختفاء نماذج يُقدّى بها من الرجال الناضجين، وغياب الدور المُجتمعي والمؤسسي في تحضير الصبيان، يُترك كل رجل بمفرده في الطريق، وبدون أدنى فكرة عن دور وأهمية جنسنا كرجال وما يجب أن نسعى ونطمح إليه، ومُعظمنا يضل الطريق أو يتوه فيه.

كل ما نعلمه أننا كذكور نشعر بالقلق الدائم، نشعر أننا عاجزون ضعفاء محبّطون غير مُقدرين، وغالبًا ما نشعر حتى بالعار أننا رجال، كل ما نعلمه كذكور أن إيداعنا يُعتدى عليه، مُبادراتنا تُقابل بالعدوانية، يتم تجاهلنا والاستخفاف بنا، فأمسينا بدون أدنى ثقة بأنفسنا.

نرى أننا أصبحنا في عالم يحكمه قانون الغابة، نحاول جاهدين أن نحافظ على وظيفتنا وعلاقتنا، بدون نجاح يُذكر.

بطريقة مُماثلة، البشر مربوطون عميقاً داخلياً بـ «الأم» و«الأب» وبعلاقات إنسانية، وتجارب حياتية أخرى عديدة، وبالرغم من أن هذه النماذج في الحياة الواقعية قد لا ترقى لمستوى التوقعات - كما لا ترقى أحياناً أم البط لمستوى توقعات صغارها - يظل هذا النموذج قائماً، إنه قائم وثابت ومشترك بيننا كلنا كبشر.

وأحياناً نظن خطأً أن الدين الحقيقيين هم النماذج المثالبة للآباء، كما تظن صغار البط أحياناً أن القطة هي أمهم.

عندما تكون هذه النماذج في الحياة الحقيقة مُنحرفة وسلبية - كما في حالة الوالدين العدوانيين أو غير المؤهلين - تظهر في حياتنا كمشاكل نفسية عويصة ومحبطة، لكن إن كان والدانا «جيدين كفayaة» كما يقول عالم النفس «وينيكوت»، حينها نستطيع أن نختبر وأن نقترب من نماذج العلاقات الإنسانية بصورة إيجابية، لكن للأسف الكثير منا - وربما مُعظمنا - لم يحصل على تربية ونشأة جيدة كفayaة.

وجود النماذج الأصلية مثبت ومؤتّق تجريبياً بعدد مهول من أحلام وتخيلات البشر والذين يقدّمون على العلاج النفسي، ويمكن رؤيتها بوضوح شديد أيضاً في أنماط سلوكيات البشر.

يونغ وخلفاؤه وجدوا أن في المستوى العميق لـ «اللاوعي» لكل إنسان يوجد به ما سماه يونغ بـ «اللاوعي الجماعي»، هذا اللاوعي الجماعي مكوّن من أنماط غريزية وطاقات مُهيّة موروثة غالباً من التاريخ الجيني لجنسنا البشري، هذه الأنماط والنماذج تمدنا بالقواعد الأساسية لسلوكنا وأفكارنا ومشاعرنا وأفعالنا كثير، هذه النماذج هي الصور الأسطورية التي عبر عنها الفنانون والرسل على مر التاريخ، وقد ربطها يونغ مُباشرة بكائناتٍ أخرى.

معظمنا يعلم أن صغار البط - في اللحظة التالية للفقس والخروج من البيض - يتبعون أي أحد وأي شيء يمر أمامهم حينها، هذه الظاهرة تُسمى التطبيع، وهذا يعني أن صغار البط الجدد لديهم نظام داخلي مُحدد يربطهم بأمهما أو راعيهما، وليس عليهم أن يتعلّموا مع التجربة ما هو الراعي أو ما هي الأم، أي إن نموذج الراعي يظهر فوراً حالما يفقس ذلك البيض.

للأسف في بعض الأحيان لا تستطيع البطة الأم أن تلبي احتياجات صغارها دائمًا، لكن بالرغم من هذا وبالرغم من أن الراعي قد لا يكون بطة من الأساس، فإن نموذج الراعي الموجود داخل الصغار يُشكّل سلوكهم.

وكذلك في داخل كل امرأة هناك شخصية فرعية مذكورة سماها «الأنيموس»^(١)، وهي تمثل كل النماذج الذكورية.

كل البشر يمكنهم بطريقة أو أخرى أن يتواصلوا ويعبروا عن الأنماط الأساسية، ونحن نفعل هذا بالفعل عندما نتواصل مع بعضنا بعضاً.

كل هذا المجال - أي مجال النماذج الأساسية - يتم مناقشته ومراجعته بصورة فعالة ومستمرة كلما تطورت معرفتنا بالداخل العميق للنفس البشرية، لقد بدأنا للتو أن نفهم بطريقة منتظمة الحياة الداخلية للإنسان، هذا العالم الداخلي الذي لطالما ظهر لنا في أساطيرنا وطقوسنا وأدياننا وأحلامنا ورؤانا، فلا يزال مجال علم النفس الخاص «بالنماذج الأصلية» مولوداً جديداً.

ونحن نريد أن نُري الرجال كيف يمكنهم أن يتصلوا مع هذه النماذج بصورة إيجابية ويحرروا منها إمكانياتهم الكامنة، ليس فقط لمصلحتهم بل لمصلحة الجميع من حولهم، وربما حتى لمصلحة البشرية ككل.

(١) مفهوم الجزء المؤثر في لوعي الأنثى (أي الأنينا أو الأنيموس كما سماها كارل يونج) هو مفهوم نظري معتقد عن مكونات اللوعي عند الإنسان. وأول ما طرح هذا المفهوم هو كارل يونج، للاطلاع على هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى كتاب «الإنسان ورموزه» وكذلك كتاب «النماذج البنية واللوعي الجماعي» لكارل يونج. (المترجم)

وهذه النماذج مؤثقة في الدراسة العميقه للأساطير القديمة والأديان، فنجد مراتاً وتكراراً نفس الأنماط الأساسية تظهر في الحكايات الشعبية والأساطير، وكذلك في أحلام الناس الذين لا يعرفون شيئاً عن هذه الحكايات أو الأساطير.

على سبيل المثال، قصة موت وبعث الإله أو الرسول موجودة في العديد من ميثولوجيا الثقافات المختلفة: في المسيحية وفي الديانات الفارسية وفي السومرية وفي أساطير الهندوسيين، وكذلك في أحلام الذين يخضعون للتحليل النفسي، كل هذا يقدم دليلاً قوياً على أن هذه الأنماط الأصلية هي التي تصيغ الحياة العقلية والنفسية للإنسان.

يبدو أن هناك أعداداً كبيرة من هذه النماذج الأساسية، وأنها يمكن أن تظهر بطبيعة أنثوية أو ذكورية، أي إن هناك نماذج نمطية تُشكل الأفكار والمشاعر والعلاقات للنساء، وهناك نماذج نمطية تُشكل الأفكار والمشاعر والعلاقات للرجال.

بالإضافة إلى أن يونج اكتشف أن في داخل كل رجل شخصية فرعية مؤثرة سماها «الأنينا»، وهي تمثل كل النماذج الأنثوية،

٣- السيكولوجية الصبيانية:

السياسي المُتلاءِب، تاجر المُخدِرات، الرجل الذي يضرِب زوجته، المُدير المُسلط، الزوج الخائن، المُوظف المُمْبَطِح دائمًا، المسئول الذي يظن أنه معصوم من الخطأ، الخريج الحديث المُتعجِّرُف، عضو العصابة، الأب الذي لا يحضر فاعليات ابنته المدرِسية بداعِي الانتِساحَال، المُدرب الذي يُهين أَفْضل لاعبيه، المُحلل النفسي الذي يهاجم لَمعان الأفراد الذين يقصدونه ويسعى لجعلهم عاديين، الشاب المُدلَّل؛ كل هؤلاء لديهم شيء مُشترِك: إنهم جميعاً صبيان، يتظاهرون أنهم رجال.

كلهم أصبحوا هكذا في الواقع لأنَّ أحداً لم يُرِهِم ماهية الرجل الناضج، نوع ذكرتهم هي نوع صبياني غير مُكتمل النمو، وعموماً لا يُلاحظ ذلك، نحن دائمًا نُخطئ الحكم بأن سلوكيات هؤلاء الرجال التحكِمية والعدائية والاستغلالية نابعة من قوتهم، بينما هم في الحقيقة يُعبرُون عن هشاشةِهم وحساسيتهم الشديدة، هشاشة وضعف الطفل المكسور الجريح بداخلِهم.

الحقيقة المؤسفة هي أنَّ مُعظم الرجال قد أصبحوا راكدين عند مُستوى تطور غير ناضج وطفولي، هذه التطورات المُبكرة تتحكم فيها الأنظمة المُناسبة للصبيانية، وعندما تتمكن هذه الأنظمة من التحكم في العوامل التي تؤدي للنضج، وتتصبح هذه النفسية غير المتطرفة أساساً لسلوكه، فعندها سنصلُم بذلك التصرفات الصبيانية من الأفراد، دون وعي منهم أو من الآخرين.

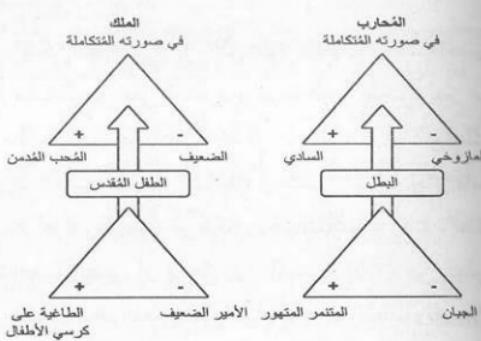
غالباً ما تعامل بطريقة عاطفية مع الصبيانية في مجتمعنا، والحقيقة أنَّ الطفل داخل كل واحد منا عندما يكون في مكانه الصحيح ويُلعب دوره المطلوب في حياتنا، يكون مصدر المُتعة والطاقة والمرح والافتتاح العقلي وروح المُغامرة، لكن هناك نوعاً آخر من الصبيانية السلبية يظل مُتحكماً في تصرفاتنا وتعاملاتنا مع أنفسنا والآخرين، حتى عندما يكون من اللازم التعامل بطريقة ذكورية ناضجة.

الصورة رقم ١

النماذج الناضجة للذكورة



النماذج الغير الناضجة



بنيان النماذج:

كل نموذج من النماذج الأصلية في نفسية الذَّكر (النماذج الصبيانية أو الرجولية) لديه شكل ثلاثي، كما هو مُوضح في الصورة رقم ١.

في أعلى المثلث يوجد النموذج بصورته الكاملة المُتكاملة، أما في قاعدة المثلث، يتمثل النموذج الذي نسميه الخلل ثلثائي القطب أو الظل.

يمكن النظر إلى هذا الخلل «ثلاثي القطب» في نفسية الصبي ونفسية الرجل على أنه نموذج غير ناضج أو مُختل، يُعبر عن حالة سيكولوجية مُتطرفة تعجز عن التوازن أو التماسك، وإن ضعف التوازن والتماسك في النفس البشرية يُعتبر دائمًا أحد أعراض التطور غير الكافي وغير المُكتمل، وعندما تصل شخصية الصبي أو الرجل إلى المستوى اللازم من التطور والنضج، يتحد القطبان المُعاكسان للجانب المُظلم ويصبحان مُتعجناسين ومتكمالين.

بعض الأطفال الصبيان يبدون أكثر نضجًا من غيرهم، هذا يعني أنهم يتواصلون - بطريقة غير واعية بالتأكيد - مع نماذج الصبيانية في صورتها الكاملة أكثر من زملائهم، إن هؤلاء

الصبيان قد وصلوا إلى مستوى من الاتحاد الداخلي والتكمال النفسي لم يصل إليه الآخرون.

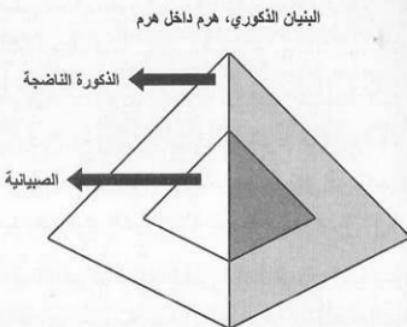
كما أن بعض الأطفال والصبيان يبدون غير ناضجين حتى مع الأخذ في الحسبان مستوى عدم النضج الطبيعي عند الأطفال، على سبيل المثال، من الجيد أن يشعر الصبي داخل نفسه أنه بطل، وأن يمس الجانب البطولي في شخصيته، هذا الجانب المُمثل في نموذج البطل، لكن الكثير من الصبيان لا يستطيعون التواصل مع هذا النموذج بصورته الكاملة، فيقعون في فخ ظل البطل ثلثائي القطب، المُمثل في «المُتمر» كقطب مُوجب و«الجانب» كقطب سالب.

النماذج المختلفة ظهرت وتنمو في نفسية الصبي في مراحل مختلفة من تطوره النفسي.

عادةً ما يكون أول النماذج ظهورًا هو نموذج «الطفل المقدس» أو الطفل المُعجزة كما يُطلق عليه في بعض الثقافات، ثم يليه نماذج «الطفل مُبكر النضوج» و«الطفل الأوديبي»، أما آخر مرحلة في الطفولة فهي التي يظهر فيها نموذج «البطل».

لكن التطور الإنساني لا يكون ثابتاً، فلا يسير على وثيرة واحدة في كل الحالات، فاختلاف الظروف قد تؤدي إلى

ويبني عليها بدلًا من أن يقضي عليها، بالتالي **البيان الناتج** عن نفس **الذَّكْر** الناضج يُمثِّل هرمًا فوق هرم (انظر الرسم ٢)، نحن نؤمن أن هذه الأهرام الأربعية هي رموز عالمية **مشتركة** للنفس البشرية.



الصورة رقم ٢: البيان الهرمي للنفس الذكورية

الطفل المُقدَّس:

أول نموذج أصلي صبياني - وأكثرهم أساسية - هو نموذج **الطفل المُقدَّس**.

ظهور هذه النماذج بترتيب مُختلف أو بتأثيرات خلبلطة بين النماذج، لكن النماذج نفسها تُعدُّ مُشتركة بين كل الصبيان.

من المُثير للاهتمام أن كل نموذج من نماذج النفسية الصبيانية الأربعية، يُؤدي إلى نشوء أحد نماذج الذكورة الناضجة، أي إن كل نموذج صبياني يتحول بطريقة مُعقدة إلى نموذج رجولي ناضج، فعن الطفل يتولَّ الرجل، فنلاحظ أن نموذج الطفل المُقدَّس عندما يُعَدَّى بتجارب الحياة ويُصْفَّل بها؛ يتحول إلى نموذج الملك، ونموذج الطفل مُبكر النضوج يتتحول للساحر، ونموذج الطفل الأوديبي يتتحول للمُحب، ونموذج البطل يتتحول للمُحارب.

كل من هذه النماذج الصبيانية الأربعية يُمكن التعبير عنها بواسطة شكل هرمي، وهذا الهرم يُمثِّل بُنيان الصبي النفسي وهو بيته الشخصية، أي نفسه غير الناضجة، وهو صحيح بالنسبة لنماذج الذكورة الناضجة كذلك.

كما رجحنا، فإن الرجل الناضج لا يفقد عناصر الصبيانية، ولا تخفي نماذج الصبيانية من نفسيته تمامًا، فإن النماذج لا تخفي، إنما يطُور الرجل الناضج طاقات الذكورة الصبيانية

في اليهودية، هناك قصة النبي موسى، الذي ولد ليخلص شعبه، ليُصبح الرسول العظيم الذي ينقل كلام الله إلى البشر، في أول أيام ولادة الطفل المقدس موسى، كانت حياته مهددة بعد أمر الفرعون الظالم، الذي أمر بقتل كل المولودين الذكور، فوضع الطفل المسكين في سلة من قشر القصب، وتركه ليُمضي في نهر النيل وحيداً، هناك أيضاً قصة مشابهة لقصة الرسول موسى في الأديان القديمة، قصة أقدم بكثير، قصة ولادة الطفل «سرجون»، الذي يُصبح لاحقاً الملك العظيم لبلاد ما بين النهرين.

وكذلك في كل أنحاء العالم، هناك العديد من القصص عن الطفل المقدس أو الطفل المعجزة، فياليهودية هناك قصة الوليد بوذا، في الهندوسية هناك الطفل كريشنا، في الإغريقية هناك الطفل ديونيسوس.

وكما أن قصة الطفل المقدس هي قصة مشتركة بين كل أدياننا، كذلك فنموذج الطفل المقدس يوجد في داخل كل منا، يمكن رؤية هذا في أحلام الرجال الذين يخضعون للتحليل النفسي، وخصوصاً عندما يبدأون في التحسن وتُصبح مشاكلهم أقل تعقيداً، فهم أحياناً يحلمون ب طفل رائع، يملأ حلمهم بالبهجة والنور، ويُشعرون بالانتعاش الحياتي، غالباً

جميعنا نعرف القصة المسيحية عن ولادة الطفل يسوع، إنه مُعجزة، قادم من الأصل الإلهي المقدس، مولود من عذراء، أشياء إعجازية وأحداث مُبهرة تحدث له: النجمة، الرعاة، الحُكماء القادمون من بلاد فارس، إنه يُعتبر مركزاً ليس للإسطبل الذي ولد فيه فقط، بل للعالم كله، حتى الحيوانات تُصلّي له، في الصور يُشعّ الطفل يسوع نوراً بين القش الناعم الذي يُحيط به.

وبمُجرد ولادته يُطارد من قبل الملك الشرير الظالم هيرودس الذي يُريد أن يقتله؛ خوفاً على عرشه، فيجب أن يتم حماية هذا الطفل المقدس، وأن يُرسل إلى مصر في المأمن، بعيداً عن قوى الشر التي تحاول القضاء عليه^(١).

ما لا يدركه مُعظم الناس هو أن قصة ولادة يسوع المسيح لها قصص مشابهة جداً في العديد من الأديان والثقافات حول العالم، قصص عديدة تروي قصة الطفل المعجزة، على سبيل المثال، في بلاد فارس قديماً - قبل الميلاد - هناك قصة ولادة الرسول الفارسي الأهم زرادشت، الذي يقوم خلال حياته بمعجزات عديدة تُشبه معجزات المسيح، ويواجه أخطاراً مشابهة أيضاً.

(١) القصة المذكورة هنا عن ولادة المسيح هي كما وردت في الكتاب المقدس الإنجيل. تختلف بعض تفاصيل قصة الولادة قليلاً في القرآن الكريم، لكن المضمون يظل واحداً. المترجم.

فنرى الطفل يسوع المسيح مُحاطاً بمحبّيه من الملائكة والحيوانات في مكان ولادته، معبراً عن إعلان السلام للعالم، وكذلك نرى في القصة الإغريقية لـ «أورفيوس» الطفل المُقدس يجلس في مركز العالم عازفاً على قيثارته السحرية، ويعني أغنية تجلب جميع حيوانات الغابة إلى حضرته، المفترسات منها والفراش، كلها تجتمع حول أورفيوس في تناغم ويتلاشى صراعها، أي إن كل الأضداد في العالم تتوحد، هذه القدرة على توحيد الأضداد وجلب النظام هي إحدى القدرات العظيمة للطفل المُقدس، وهي كذلك إحدى وظائفه عندما يتحول للملك كما سترى لاحقاً.

لكن نمط الطفل المُقدس الذي يجلب السلام والنظام للعالم، بما فيه عالم الحيوان - والحيوانات ترمز سيكولوجياً إلى غرائزنا التي غالباً ما تكون في صراع - ليس موجوداً فقط في الأديان والأساطير، فأحد الشبان الذين كانوا يخضعون للتحليل النفسي على أيدينا، أخبرنا ذات مرة عن حدث غريب في طفولته، عندما كان في الخامسة أو السادسة من عمره، ذهب خارجاً إلى باحة البيت الخلفية في عصر يوسم ربيعي، كان يشاق لشيء وكان حينها أصغر من أن يفهمه، لكنه بالتأمل في الموضوع لاحقاً، وجد أنه كان يحتاج السلام الداخلي والتناغم، والشعور بالاتحاد مع الكون وكل ما فيه.

بعدما يبدأ الرجل في التحسُّن عن طريق التحليل النفسي، تأتيه الرغبة والدافع - ربما لأول مرة في حياته - أن يُصبح أباً لأطفال.

هذه الأحداث تشير إلى ولادة شيء جديد مُبدع ويريء داخل نفس الرجل، مرحلة جديدة في حياته الداخلية والخارجية، حيث تنشأ أجزاء مُبدعة في شخصيته كانت غير مُكتشفة في اللاوعي، قد بدأت الآن في الظهور، كأنه يبدأ حياة جديدة، لكن حينما يظهر لنا الطفل المُقدس الداخلي، فإنه يجد «هيروودوس» الداخلي والخارجي بالمرصاد، فالحياة الجديدة - بما فيها الحياة السينكلوجية الجديدة - دائمًا هشة وضعيفة.

لذلك عندما نشعر بهذه الطاقة الجديدة تنشأ بداخلنا، علينا أن نتحرك فوراً لحمايتها، فسوف تم مهاجمتها لا محالة.

أثناء التحليل قد يقول أحدهم: «أنا بالفعل أشعر أنني أتحسن»، وسرعاً يسمع صوتاً داخلياً يقول له: «لا، أنت لم تتحسن، ولن تتحسن إطلاقاً».

عندما يظهر الطفل المُقدس في نفستنا وُهاجم داخلياً أو خارجياً، يحين الوقت لإرساله إلى «مصر»، إلى المأمن.

يُسمى الطفل المُقدس بأسماء عديدة في مُختلف المدارس السيكولوجية، وكذلك يتم تقييمه والتعامل معه بطريقة مُختلفة في كل مدرسة منها، في العادة يتم إدانته من قبل مُختصي التحليل النفسي، وغالباً ما يُحاولون فصل مرضاه عنده، لكن من المهم من نعرف أن هذا النموذج هو موضوع بداخلنا كنقط بدائي للذكرة غير الناضجة.

فرويد - عالم النفس الشهير - تحدث أن الـ «Id»، الذي اعتبره الجزء البدائي من النفس البشرية الذي يوجد فيه الدوافع الغريزية والغاشمة واللاأخلاقية، كان الـ Id هو التمثيل المُجرد للطبيعة ذاتها، ولا يعنيه سوى إشباع الرغبات اللاهانية للطفل.

عالم النفس «ألفريد إيدلر» تحدث عما سماه «الدافع الخفي للسلطة» بداخلنا، عُقدة العظمة التي تُعطي على شعورنا بهشاشةنا وضعفنا، (تذكروا أنه كما ذكرنا مُسبقاً، الطفل المُقدس هو مركز الكون العظيم، وكذلك في الوقت نفسه هو المسكين والضعف الذي لا حول له ولا قوة، وهي بالفعل حقيقة الأطفال الرُّضع).

«هينز كوهوت» عالم النفس الذي طَوَّر ما سماه «سيكولوجيا النفس العميق» تحدث عن «النفس العظيمة» التي اعتبرها النفس التي تتطلب أشياءً - منها ومن الآخرين - لا

وقف الطفل مُسنداً ظهره على شجرة بلوط، ويداً يُعني أغنية من تأليفه، كانت الأغنية ساحرة بالنسبة له، غنى عن اشتياقه وحزنه وعن أعمقه، غنى أغنية حب لكل الكائنات الحية، كأنه كان يُعني بهويدة خاصة له، وسريراً لاحظ الصبي أن العديد من العصافير تأتي إلى الشجرة، فواصل الغناء، وأتت المزيد من العصافير، عصافير تدور حول الشجرة كأنها رقصة تناغم، وأخيراً امتلأت الشجرة بالعصافير، أصبحت حية بالعصافير.

حينها بدأ له أن العصافير اجتذبت إليه من جمال وعطاف أغنته، إن تلك العصافير رأت وأثبتت جماله، وأعطته ما يحتاجه عندما أتت لحبه، الشجرة أصبحت شجرة الحياة، وعندما تم الإناث على طفله المُقدس الداخلي - من خلال هذه التجربة - أصبح بإمكانه المُضي قدماً.

من الواضح أن نموذج الطفل المُقدس هو بُنيان داخلي مُشترك لنا كلنا، فهو يظهر في أدياننا وأساطيرنا كأورفوس والمسيح وموسى، وكذلك في أحلام الرجال، وكذلك في التجارب الحياتية للعديد من الأطفال، يبدو أننا مولودون بنموذج الطفل المُقدس بداخلنا.

القطب الموجب من الجانب المظلم للطفل المقدس:
الطاغية علم، كرس، الأطفال.

نموذج الطاغية الذي يجلس على كرسي الأطفال يمكن رؤيته بصورة واضحة تماماً في قصة «اللورد الصغير فونتلاوري»، هذا اللورد الصغير يقع بملعنته على طبقه صارخاً لأمه أن تعلمه، أن تُقيمه وتعتني به، كنموذج مظلم للطفل المقدس، هو محور الكون، والكل موجودون فقط للاهتمام به وتحقيق حاجاته ورغباته.

وعندما يأتي الطعام لا يرقى لمستوى الطاغي، فيتذمر أن الطعام ليس جيداً كفاية، بارد جداً أو ساخن جداً، حلو جداً أو مالح جداً، فيصيق الطعام على الأرض أو يرمي به عرض الحائط، وعندما يُسيطر عليه العندلن يأكل مهما كان جائعاً، وإن حاولت أمه إرضاعه بعد أن خيّبت آماله بهذه الصورة البشعة؛ سيصرخ وينلوي ويرفض محاولتها؛ لأنها لم تُصبِّ في المرة الأولى وأخطأت.

الطاغي بكرسيه العالمي - كرسي الأطفال - يؤذى نفسه عظمته، يؤذى نفسه بطلباته التي لا حدود لها؛ لأنّه يرفض كل شيء يحتاجه للحياة: الطعام والحب.

يُمكِّن الحصول عليها إلَّا، وهو ما ظهر حديثاً في إحدى نظريات علم النفس، أنَّ الفرد الذي تُسيطر على شخصيته هذه العظمة الطفولية يُعاني من: «اضطراب الشخصية النرجسية».

أما أتباع «كارل يونج» ينظرون إلى الطفل المُقدّس بصورة مُختلفة، فلا يرونـه من الناحية المَرْضِيَّة أو السليمة، بل يرونـه كأحد السمات الأساسية لـ«نواة النفس»^(١)؛ (وهي مُختلفة عن الآنا)، أي إن هذا الطفل المُقدّس هو مصدر الحياة لنا جميعاً، إنه يحتوي على قدرات سحرية وطاقات هائلة، والتواصل الإيجابي معه يؤدي إلى حياة غنية وراحتة، إنه يوفر لنا الحماس للعيش والسلام والمرح، كما وفر هذه الأشياء للطفل تحت شجرة البلوط.

نحو نرى أن كل هذه التفسيرات صحيحة بصورة ما، فبعضها ينظر للنموذج من الناحية السلبية - أي ناحية الظل - وبعضها ينظر إليه من الناحية الإيجابية المتكاملة المُوحدة، على قمة مُثلث بُيان النموذج، نجد الطفل المقدس الذي يُحدّدنا ويعيّننا شيئاً من الداخل.

أما على قاعدة المثلث، نجد ما سميناهم «الطاغية» و«الأمير الضعيف».

(١) النفس - كما رأها كارل بونيج - هي مركز داخلي في لاعي الإنسان. هذا المركز يهتز بالحكمة والقطنة الطبيعية، ويتواصل مع الوعي (الانا) عن طريق الأحلام والتخيّلات. انظر «الإنسان ورموزه» - كارل بونيج. المترجم

من الشمس؛ فذاب الشمع وتفتكَّ الجناح، وسقط إيكاروس إلى قاع البحر.

السلطة تقصد صاحبها وهناك مقوله شهيرة تقول: «السلطة المُطلقة مفسدة مطلقة».

الملك لويس السادس عشر ذُبح بسبب غروره، نحن الرجال غالباً ما ننشأ في أنظمة مؤسسيّة هرمية، وكلما ازدادنا قوة وسلطة؛ زادت أيضًا مخاطر التدمير الذاتي.

المُدير الذي لا يُريد في شركته إلا الطاغيين الخنوعين، الرئيس الذي لا يستمع لنصائح مُستشاريه ومعارضيه، مدير المدرسة الذي لا يتحمل انتقاد مُدرسيه، كلهم رجال مسوسون من روح «الطاغي على الكرسي العالي»، وكلهم على طريق السقوط.

الطاغي الداخلي الذي يُسيطر على مضيقه - أي عندما تُسيطر روح الطاغي على حاملها - غالباً ما يجعله كَمالاً بشكل مُفرط، يتوقع المُستحبيل من نفسه ولا يرضي بأي شيء، بل ويهين ويعنف نفسه - كما كانت تفعل أمه - عندما لا يقدر على تحقيق رغبات الرضيع المُطالب بداخله، الطاغي الداخلي يستمر في الضغط على الرجل راغباً في أداء أكثر جودة

سمات الطاغي تتضمن الغرور، وهو ما سماه الإغريق «هوبيروس»، أي تكبر وغرور مُفرط، إنها الطفولية بوجهها السلبي، وكذلك عدم تحمل المسؤولية، حتى مسئولية جسده البشرية والنفسية، كل هذا يعبر عن ما يُطلق عليه علماء النفس التضخم أو النرجسية المرضية.

يجب على الطاغي الصغير أن يعرف أنه ليس محور الكون، وأن الكون ليس موضوعاً لخدمته وتوفير احتياجاته اللانهائية، وتحمل سلوكه التكبري، صحيح أن الكون سيساعده، لكن ليس بغروره وتكبره.

الطاغي الصغير - من خلال الجانب المُظلم للملك - يمكن أن يستمر في بث تأثيره على الرجل البالغ، جميـعاً نعرف قصة القائد الواعد المُدير المرشـح السياسي، الذي يبدأ حياته العملية في نجاح عظيم، من ثم يُؤذـي نفسه بنفسـه، يُخرب نجـاحـه ويـتحـطمـ تماماً، الإـغـرـيقـ كانوا يقولـونـ: إنـ التـكـبـرـ دائـماً يـلـيـ السـقـوطـ، فيـ الأـسـاطـيرـ الإـغـرـيقـيةـ كانتـ الآـلهـةـ دائـماً ما تـُحـطـمـ البـشـرـ الـذـينـ يـصـبـحـونـ مـغـرـورـينـ وـمـتـطـلـبـينـ وـمـتـضـخـمـينـ بشـكـلـ مـفـرـطـ، «إـيكـارـوـسـ» علىـ سـيـلـ المـيـاثـلـ صـنـعـ أـجـنـحةـ منـ الـرـيشـ مـشـيـةـ بـالـشـعـمـ؛ لـيـحلـقـ كـالـطـيـورـ وـيـكـوـنـ عـالـىـ كـالـآـلهـةـ، وـيـسـبـبـ غـرـورـهـ وـبـالـرـغـمـ مـنـ تـحـذـيرـ وـالـدـهـ - حـلـقـ قـرـيـباًـ جـداًـ

يُقال: إن نموذج الطفل المُقدس يرغب أن ينال كل شيء دون أن يفعل أي شيء، كالرسام الذي يريد أن يُحب ويحظى بالتقدير دون أن يحرك إصبعاً، والمُدير الذي يريد أن يجعل في مكتبه مستمتعاً بكرسيه الجلدي وسيجاره، ويسحب مرتبه كل شهر بينما بقية الموظفين تحت خدمة أوامرها.

الطفل المُقدس - في صورته السلبية - يعتبر نفسه الأهم في العالم والأكثر قوة، غالباً ما يُهين أو يقتل من أي أحد يحاول تحقيق أي إنجاز، إنه يجلس على عرشه العالمي، غير مدرك أن الموصولة قرية، وتقرب أكثر كلما تمادي هو في تكبره.

القطب السادس من الجانب المُظلم للطفل المُقدس: الأمير الضعيف

القطب الآخر لظل الطفل المُقدس هو «الأمير الضعيف»، الصبي في المراحل الأولى، ولاحقاً الرجل الذي تُسيطر عليه روح الأمير الضعيف، فيصبح شخصية ضعيفة، لا يتحلى بأي حماس للحياة، ويفقد لروح المُبادرة، إنه الطفل الذي يحتاج دائماً أن يُدلّل، الذي يُملّ أوامره على الآخرين لكن عن طريق صمته أو إظهار مدى ضعفه وحساسيته، إنه يرى كل شيء في الوجود وكل ما يحدث مُعيّناً ومُجهداً، ولا يستطيع تحمل أبسط الضغوط.

والمزيد من العمل، وفي الوقت ذاته لا يرضي أبداً بما يُنجزه الرجل، مهما كان هذا الإنجاز.

فيُصبح الرجل المُسكين عبداً - كما كانت أمه - لطغيان الطفل الرضيع ذي العامين بداخله.

ولأن الرجل - المُسيطر عليه من قبل الطاغي الداخلي - لا يقدر على تلبية كل طلبات هذا الطاغي الداخلي اللانهائية، ولا يستطيع تحمل كل هذا الضغط، غالباً ما يمرض الرجل المُسكين، وأخيراً تصيبه أزمة قلبية، فهذه هي الطريقة التي تعامل بها مع الطاغي الداخلي، تتمرد ضده لشعورياً بمرضنا.

عندما يخرج «الطاغي ذو الكرسي العالمي» عن السيطرة، يظهر كأشخاص مثل «ستالين» و«هتلر» والمحظيين الآخرين الذين يتحكمون فيهم جنون عظمتهم، كذلك يظهر الطاغي في صاحب الشركة الذي يفضل أن يرى شركته تخسر على أن يعالج تكبره ومتطلباته اللانهائية التي يرغب لها أن تكون بمثابة أوامر إلهية.

كلنا يمكننا أن تكون نماذج مُصغرة من هتلر، لكننا سنُدمر وطننا بهذا.

المُقدّس، ينتقل الصبي من الانفجارات الطّغىانية إلى السلبية الخانعة، أو من الضعف الظاهر إلى العدوانية الشديدة.

التواصل مع الطفل المُقدّس بصورة إيجابية:

للتواصل مع الطفل المُقدّس بصورة إيجابية، يجب أن نقدره لكن دون أن نتركه يُسيطر علينا.

يجب أن نحب ونُعجب بالجمال والإبداع اللذين يقدّمهما هذا الجزء من النفس الذكورية؛ لأننا إن لم نتواصل مع هذا الشمودج الأساسي، سنفقد القدرة على رؤية الإمكانيات الإيجابية للحياة، سنفقد القدرة على الاستفادة من فرص التجديد والإنعاش التي تقدّمها الحياة.

الناشط الاجتماعي، الفنان، المسئول الإداري، المعلم، وأي واحد في موقع يتطلب القيادة والريادة، يحتاج أن يكون علاقة قوية بالروح المرحة والمبدعة للطفل الداخلي؛ ليتمكن من التعبير عن إمكاناته الكامنة، وليقدر على ممارسة دوره على أكمل وجه، وليتتمكن كذلك من أن يُسجع ويدعم التجديد والإبداع في الآخرين من حوله.

الأمير الضعيف ليس لديه العديد من الأصدقاء، نادراً ما يُشارك في ألعاب الأطفال الآخرين، غالباً لا يحقق نجاحاً في المدرسة، غالباً ما يكون ممروقاً - أي مُصاباً بوسواس المرض أو توهם المرض - وتكون أبسط أمانية هي أوامر لو لديه، فتصبح الأسرة كلها ونظامها مبنية حول راحته.

يظهر زيف ضعف «الأمير الضعيف» في الاعتداء اللغطي الحاد على إخوته، وسخرية العدوانية تجاههم، وكذلك أساليبه الماكرة في التلاعيب بمشاعر أبويه، ولأنه أقنع والديه أنه ضحية الحياة وأن الآخرين يعتدون عليه، دائمًا ما يُعاقب الوالدين إخوته ويعذر ونه هو.

الأمير الضعيف هو المُضاد القطبى لطاغي الكرسى العالى، وبالرغم من أنه نادراً ما يُظهر نوبات الغضب التي يقوم بها الطاغي، إلا أنه يعتلي عرشاً أصعب في الملاحظة.

وكما هو الحال في كل الاضطرابات ثنائية القطب، الـ «أنا» الممسوسة من قطب مُعين، تنسحب تدريجياً أو تقفر فجأة إلى القطب الآخر، وباستخدام التعبير الرمزي لثنائية المغناطيس لشرح هذه الظاهرة، يُمكّنا القول: إن قطبية المغناطيس تعكس على حسب اتجاه التيار الكهربائي، وعندما يحدث هذا الانعكاس في الصبي العالى في الجانب المُظلم للطفل

عملائهم ومرضاهem هم أنفسهم مُفصلون عن روح الطفل المقدس، إنهم يحقدون بصورة ما على الجمال والانتعاش والقدرة الخلاقة التي يمنحها الطفل لعملائهم.

كان الرومان يؤمنون أن كل إنسان يولد ويدخله «عقريته» سواء كان رجلاً أو أنثى، وكان هذه الروح العبرية هي ملاك حام يُلزِم الإنسان منذ ولادته، وكانت أعياد ميلاد الرومان تُقام ليس للاحتفال بالشخص نفسه، لكن لتكريم وتقدير هذه العبرية التي ولدت معه.

أي إن الرومان كانوا يعلمون أنـ «أنا» لم تكن مصدر الفن والمُوسقى والإبداع في نفس الرجل، بل كانت هذه الروح للطفل المقدس، وهي جزء من نفسيته.

يجب علينا دائمًا أن نسأل أنفسنا سؤالين: السؤال الأول: ليس عن إذا ما كُنا نُعبر عن روح الطاغي أو الأمير الضعيف بداخلنا، بل كيف وأين نُعبر عن هذه الروح بالفعل؛ لأننا جميعنا نُعبر عنها بصورة أو بأخرى، فنحن جميعنا نفعل هذا على أقل تقدير - عندما نشعر بالإرهاق الشديد أو الذعر.

السؤال الثاني: ليس عن إذا ما كان الطفل المقدس كامنًا بداخلنا أم لا، بل السؤال عن إذا ما كُنا نقدر ونحترمه أم لا،

التواصل العميق مع هذا النموذج يحمينا من الشعور بالملل واليأس، كما يُمكّنا من رؤية جميع الإمكانيات البشرية من حولنا في كل مكان ومجال.

لقد ذكرنا سابقاً أن المُعالجين النفسيين غالباً ما يُقللون من قدر العظمة بداخل عملائهم - أي عظمة الطفل المقدس -، وصحيح أن في بعض الحالات يتطلب الأمر من الرجل أن يفصل نفسه - عاطفياً وعقلياً - عن الطفل المقدس، إلا أنها لم تُقابل العديد من الرجال - على الأقل من الرجال الذين يسعون للخضوع للتحليل النفسي - الذين تُسيطر عليهم طاقتهم الإبداعية بصورة سلبية، بل على العكس، مُعظمهم يحتاجون إلى بناء علاقة إيجابية قوية مع هذه الروح الخلاقة.

نحن نُريد أن نُشجع العظمة في الرجال، نريد أن نُشجع الطموح والطلعل إلى الأعلى.

نحن نؤمن أنه لا يوجد في الواقع من يرغب أن يكون «عادياً واعتياً»، ففي الغالب تعرف العادي هو المتوسط، ولا أحد يعرف قيمة نفسه ويريد أن يبقى مجرد «متوسط».

يبدو لنا أننا نعيش الآن في زمن لعنة العادي والاعتادي، زمن يتميز بقبول المتوسط في كل شيء، كذلك يبدو لنا أن المُعالجين النفسيين الذين يُقللون من شأن العظمة في داخل

«رقاء؟» «لماذا ورق الشجر يتساقط؟» «لماذا تموت الكائنات الحية؟» ليس هذا فقط، بل يريد كذلك معرفة كيفية وما هي الأشياء كلها.

غالباً ما يبدأ القراءة في سن مبكرة، ساعياً للإجابة على أسئلته الخاصة، في الأغلب يكون ناجحاً دراسياً ويحب الاشتراك في الماقشات الفصل مع زملائه ومدرسيه.

غالباً ما يكون هذا الصبي موهوباً أيضاً في أكثر من مجال أو هواية، قد يكون موهوباً في الرسم أو التلوين، أو يُجيد اللعب ببراعة على أحد الآلات الموسيقية، قد يكون أيضاً بارعاً في إحدى الرياضيات أو الرياضة بشكل عام.

ال الطفل مُبكر النضوج هو مصدر ما يُسمى بـ «مُعجزات الأطفال»، إنه مصدر فضولنا، حب استطلاعنا ورغبتنا للمُغامرة، إنه يحثنا لتصبح مُستكشفين للمجهول الغامض والغريب، إنه يجعلنا نتساءل ونتفكّر بشأن العالم حولنا والعالم داخلنا.

الصبي الذي يؤثر عليه نموذج الطفل مُبكر النضوج، يريد أن يعرف ما يُزعجه ويسعده، وكذلك ما يُزعج ويسعد الآخرين، يريد أن يعرف لماذا يتصرف الناس بالطريقة التي يتصرفون

فإن كُنا لا نشعر به في حياتنا الشخصية وفي عملنا، يجب علينا أن نسأل أنفسنا لماذا وكيف تcumه ونمنعه، ومن ثم تعالج هذه المسألة.

ال طفل مُبكر النضوج:

هناك تمثال رائع للساحر والوزير المصري القديم «إمحوت» في صغره.

يصور التمثال إمحوت الطفل وهو جالس على عرش صغير وفي يده مخطوطة يقرؤها، ملامح وجهه تُعبر عن اللطف والاستغراف في التفكير، وكأنما يشع وجهه بنور داخلي، وضع جسده يُظهر تركيزه العالي، ثقته في نفسه وذاته.

ذلك ليس مجرد تمثال تصويري، إنه تعبير واضح عن نموذج «ال طفل مُبكر النضوج».

نموذج الطفل مُبكر النضوج يظهر في الصبي عندما تكون لديه رغبة عارمة في التعلم ومشاركة ما تعلمه مع الآخرين، وعندما يسبق عقله سنّه، يمكننا أن نرى في عين الطفل لمعة الشغف للمعرفة، وفي جسده نشعر بطاقة الاستكشاف، هذا الصبي - ولاحقاً الرجل - يريد أن يعرف بـ «لماذا» عن كل شيء، إنه يسأل والديه دوماً عن كل شيء: «لماذا السماء

لماذ الطفولة - يُمكّنه أن يظل قائمًا في الرجل البالغ؛ فيؤدي إلى اضطرابات وتصرات صبيانية للرجال في أفكارهم وسلوكهم ومشاعرهم.

«المُخادع المُتحذلق» كما يُوضّح الاسم هو نموذج الذكورة الصبياني الذي يقوم بالخدع والاحتيال في حياة الشخص نفسه وكذلك في حياة الآخرين، إنه ماهر جداً في التظاهر بشخصية ما وإنقاذ الآخرين بها، إنه يغوي الناس لتصديقه وتصديق الأعيان، ثم يسحب البساط من تحتهم، إنه يُقنّعنا لاتباعه إلى الفردوس، ثم يُسقينا السم، إنه دائمًا يبحث عن المُغفل الذي يُصدّقه، هذا المُخادع هو المُهرج (الجوكر) العملي، يستمتع باستغفالنا أمام أنفاسنا وأمام الآخرين.

جانب الحذقة في شخص المُخادع هو الجانب الذي يستمتع بإثارة قلق الآخرين، فالصبي أو الرجل الذي يقع تحت تأثير المُتحدى لا يكفي عن التفاحر بقدراته، فهو يرفع دائمًا يده في الفصل، ليس لأنَّه يريد أن يُشارك في النقاش، لكن لأنَّه يريد أن يُقنع زملاءه أن أكثر ذكاءً منهم، فهو يريد أن يخدعهم ليؤمنوا أنهم لا يساوون شيئاً مقارنة به.

المُتحدى لا يستخدم مكْرَه فقط لِيُبالغ في قدراته العقلية وذكائه، بل قد يدعى معرفة كل شيء عن أي موضوع أو نشاط،

بهای، ولماذای شعر هو بیما یشعر به.

غالباً ما يميل هذا الصبي للانطوائيّة، فهذه العُزلة تمنحه الوقت والمساحة للتفكير والتأمل، وتحمّنه الفرصة لرؤيه خبايا الأشياء، يُحقق هذا الصبي الاستقلال العقلي والفكري عن المحيطين به مبكراً جداً عن باقي الأطفال، وبالرغم من أنه انطوائي وتأملي، يتمتع أيضاً بقدرات انساطية^(١) ويستطيع بسهولة التواصل مع الآخرين لمُشاركتهم أفكاره ومواهبه، ولديه رغبة قوية في مُساعدة الآخرين بمعرفته وحكمته، وغالباً ما يكون سندًا عاطفياً لأصدقائه، وكذلك مُساعدتهم في واجباتهم المدرسية.

نموذج الطفل مُبكر النضوج في الرجل يُقيِّم حب استطلاعه وفضوله حيًّا، ويُحفز دائمًا ذكاءه وشراعته للمعرفة؛ لذلك عندما يكبر، يقوده ليُصبح «الساحر»، وهو النموذج الناضج للطفل مُبكر النضوج.

- * القطب الموجب للجانب المظلم للطفل مبكر النضوج: المُخادع المُتحدى (الذى يعرف كل شيء)
- الطب ثانى القطب للطفل مبكر النضوج - كجامعة ظلال

(١) الشخصية الانبساطية عكس الانطوانية، فهي شخصية تميل للمشاركة في المواقف الاجتماعية وتحب صنع العلاقات وتقبل للضحك والفكاهة.

الرجل البالغ الذي لا يزال تحت سيطرة هذا الوجه الظليل للطفل مُبكر النضوج يرتدي تفوقه في بذلاته الرسمية، حاملاً حقيقة عمله الجلدية وظاهرًا بشخصية «أنا استثنائي ومتُشنَّغل جدًا فلا يمكنني الحديث معك»، غالباً ما يضع على وجهه ملامح التفوق وابتسامة مغروبة.

يحاول دائمًا التفوق في النقاشات - حتى الودود منها - ويحولها إلى محاضرات، ويُحول الجدلات إلى مشاجنات، دائمًا يُقتل من شأن من لا يعرفون ما لا يعرف، أو من لديهم وجهات نظر مختلفة.

ولأن المُخادع هو المظلة التي يعمل تحتها المُتحذلق العارف بكل شيء، فهو عادة يخدع الآخرين - وربما يخدع نفسه أيضًا - بشأن عمق معرفته أو مقدار أهميته.

لكن المُخادع له جانب إيجابي أيضًا، فهو مُحترف في تضليل الشخصيات المُتتضخمة ووضع حد لـ«أنا» المنفوشة في أنفسنا، فيمكنه أن يلاحظ سريعاً ما هو الجزء المتفوّح في «أنا» الآخرين ولماذا هو مُتضخم، ويدرك لماذا تنتصر بعضه مُفْرِطة، ومن ثم ينقض على هذا التضخم؛ ليُرجعنا لحجمنا البشري الحقيقي ويرينا عيوبنا.

هناك صبي من عائلة إنجليزية ثرية أتى إلى الولايات المتحدة في صيف ما لقضاء شهر في مُعسكر أولاد صيفي، وراح يقضى معظم وقته في الحديث عن رحلاته ومُغامراته في أوروبا وأسيا مع والده الدبلوماسي على الأولاد الآخرين، وعندما كان الأولاد يسألونه عن التفاصيل أو عن مدينة معينة، كان يقول لهم الصبي الإنجليزي: «يا لكم من حمقى أيها الأميركيان، لا تعرفون سوى حقوق الذرة!» وكان يقول باستعراض تفوقه بلهجة إنجليزية غليظة، ولا داعي لذكر أن زملاء الأميركيان كانوا يشعرون بالخزي والغضب.

الصبي أو الرجل الذي يقع تحت سيطرة المُتحذلق يكون لديه الكثير من الأعداء، فهو يُهاجم - لفظيًّا - الآخرين الذين يعتبرهم أقل شأنًا منه، وبالتالي في المدرسة الإعدادية يُمكن رؤيته تحت مجموعة من الصبيان الغاضبين الذين يضرّبونه، فيخرج من هذه المواجهات بعين سوداء مع اكتئان تام بتفوّقه.

في حالة استثنائية قابلناها، كان يؤمّن شاب ممسوس بحالة الـ«عالم بكل شيء» أنه هو المعجِّي الثاني للمسيح، والشيء الوحيد الذي كان يتعجب منه هو لماذا لا يعرفه ولا يصدّقه أحد.

عن عدم، فقط لبعض دقائق، بضع دقائق كافية لتبرهن لمن يتنظرك ما مدى أهميتك، فتذهب للسيارة مُستعداً للانتصار، فلا تجد مفاتيحك، إنها مُحتجزة بداخل السيارة في مكان التشغيل، التكبر يؤدي إلى الفشل، هكذا يعمل المُخدّع ضد نفسه على المدى البعيد.

والمُخدّع ي العمل من خلالنا ضد الآخرين أيضاً، ربما أنت المُهرج العملي، تقود الآخرين لمقابلتك الخبيثة دون رحمة، حتى يأتي من يقودك لمقلب يُلقيك به درساً، على سبيل المثال: ربما تكون بائع سيارات وتحتل على عمالك بشأن سعر السيارة الحقيقي، ولا تعلم أن الإدارة في الوقت نفسه تحتل عليك في عملك.

كنا نعرف طالباً جامعياً واقعاً تماماً تحت سيطرة هذا التأثير للمُخدّع، فلم يكن يكفي عن فضح نقاط ضعف الآخرين وأذيهم عن طريق طرفة الساحرة وغير الساحرة، فكان يضحك على خطاء أساتذته في الفصل، ويضحك عندما يتعثر لسان مدير الجامعة، وكانت لديه أطمام سياسية، يأمل في قيادة حركة طلابية تدعم مُطلبات قضيته، لكنه - بسلوكه - أصبح عدواً للذين احتاجهم كأتباع وداعمين ومُشتارين، وبالتالي فإن سلوكه المُخدّع في النهاية نال منه وجعله وحيداً ومهروهاً، وقد اكتشف بعد فوات الأوان أثناء التحليل سيطرة هذه الطاقة

في الحقيقة كانت هذه وظيفة «مهرج الملك» في العصور الوسطى في أوروبا، فعندما كان الجميع في الحفلات والمناسبات يمدح الملك، وحتى الملك نفسه يبدأ في مدح نفسه، كان المُهرج يقف في المنتصف بين جميع الحضور ويُطلق ريحًا!

وبهذا كانه يقول: لا تتضخم وتتفاخر كثيراً، كلنا في النهاية بشر بغضّ النظر عن مركزنا.»

أعضاء العصابة الصغار في قصة ويست سايد (West Side Story) الذين يتصرفون بطريقة حمقاء ومُخدّعة لتبرير إجرامهم وأفعالهم المُدمرة أمام الشرطي المسؤول عنهم، هم في الحقيقة يُظهرون الجانب المُظلم من مجتمعهم، الجانب الذي دفعهم للقيام بهذه الأشياء.

كيف يعمل المُخدّع؟ تخيل أنك تستعد لتقديم ما تعتبره أهم وأعظم مُحاضرة في حياتك، وأنك مليء بالفخر باستكشافاتك الشخصية العبرية، فتجلس على الحاسوب لطبع ملاحظاتك التي كتبتها من قبل، فلا تعمل الطابعة، لقد خدعتك واستغفلت مُخدّعك الداخلي.

أو أنك تستعد للذهاب لاجتماع مهم، وترى أن تتأخر قليلاً

هذا الصبي أو الرجل يسعى دائمًا لإيجاد رجل ليكرهه وليدمره، إنه يصدق أن كل الرجال في السلطة فاسدون واستغاليون، لكن - كالرجل الواقع تحت تأثير الأمير الضعيف - يعيش هذا الرجل دائمًا على هامش الحياة، ولا يقدر على تحمل مسؤولية نفسه وأفعاله.

طاقة المُخادع تأتي من حقده وغيرته، فكلما كان الإنسان بعيدًا عن إمكانياته وموهبه وقدراته، كلما حقد على الآخرين، فإن كنا نحقد كثيراً، هذا يعني أننا نرفض تقبل عظمتنا الواقعية الخاصة، نرفض الطفل المقدس بداخلنا، وما يجب فعله في هذه الحالة هو أن نتواصل مع ما يميزنا، مع جمالنا، مع إبداعنا وطاقتنا الكامنة، الحقد دائمًا يكون عقبة أمام الإبداع.

أي إن المُخادع هو النموذج الذي يُسع ليهًا الفراغ عند الرجل أو الصبي الذي يفتقد التواصل مع «طفله المقدس الداخلي».

المُخادع يُصبح نشطًا بداخلنا من خلال التنشئة، فعندما يتم التقليل من شأننا من قبل والدينا أو أشقائنا الأكبر سنًا، وعندما يتم استغالنا عاطفياً، حينها لا نشعر بتميزنا، فنفتح تحت سيطرة المُخادع المُتحدى، فنحاول الهجوم على تميز الآخرين، حتى عندما يكون هذا الهجوم غير ضروري وغير مبرر.

السلبية عليه، وتمكن أخيرًا من التخلص من هذا التأثير عن طريق دراسة قصص الهند الحمر عن المُخادع، فتمكن من التوقف عن سلوكياته التي كانت تقوده للفشل والتدمير الذاتي.

يجب علينا أن نفهم هذه الطاقة غير الناضجة جيدًا، فالرغم من أن وظيفتها في جانبيها الإيجابي هي فضح الأكاذيب، لكن عندما تُترك هذه الطاقة دون أي ضوابط تحول لجانبيها السلبي وتُصبح مُدمرة لأنفسنا وللآخرين؛ لأن هذا الوجه السلبي للطاقات الذكرية غير الناضجة - الصبيانية - يتعامل بعذائية تجاه مُحاولات الآخرين الصادقة وحقوقهم وجمالهم.

المُخادع - مثل الطاغي ذي الكرسي العالي - لا يريد أن يفعل شيئاً بنفسه أو يبذل مجهوداً يُذكر، هو يريد أن يكون فقط، وأن يكون ما ليس لديه الحق أن يكونه، إنه بلغة سينولوجية «عدواني سلبي» Passive Aggressive.

هذه هي الطاقة التي تسعى لتدمير الرجال العظام، بل والتي تستمتع بتدمير رجل ذي أهمية، لكن المُخادع لا يطبع ليجلس مكان العظيم الذي سقط، فهو لا يريد أن يتحمل هذه المسؤولية، بل إنه لا يريد أن يتحمل أي مسؤولية على الإطلاق، إنه يريد القيام فقط بالعمل الكافي لتدمير حياة الآخرين.

المُخادع يزرع في الصبي أو الرجل الصبياني عقدة السلطة،

كذلك، وغالباً ما يكون آخر الأطفال استيعاباً لكيفية تكاثر المخلوقات الحية.

لكن بلادة البليد غالباً ما تكون غير حقيقة، فقد يعترف بهم أكثر بكثير مما يُظهر، وتصر فاته الخراء قد تكون قاتعاً لإخفاء ع祌مة داخلية يشعر أنها مهمّة جداً أو ضعيفة جداً التظاهر للعيان، وبالتالي قد يكون البليد مُتحذلّقاً مُخداعاً خفيّاً.

الطفل الأوديبي:

جميع الطاقات الذكرية غير الناضجة مرتبطة بشكل مفرط - بطريقة أو بأخرى - بالأم، في نفس الوقت الذي تعجز فيه عن الارتباط العميق مع الذكر الناضج الداخلي.

بالرغم من أن الصبي الذي يؤثّر عليه نموذج الطفل الأوديبي - أي الطفل المتعلق بالأم - يفتقد عمق الصلة مع الذكرة الناضجة، إلا أنه يستطيع التعبير عن الجانب الإيجابي من هذا النموذج، فهو محبو وشغوف، لديه رغبة في المعرفة والفهم والتواصل مع مشاعره العميقية الداخلية ومع الآخرين ومع الأشياء جمِيعاً من حوله، فهو يمتاز بدفعه المشاعر والشفقة تجاه الآخرين، كذلك يمكنه أن يختبر من خلال

المُخادع ليس لديه قدوة أو أبطال يطبع أن يُصبح مثلهم؛ لأن وجود قدوة لنا يعني أننا مُعجبون بهم، أو بما يقولون به، ونحن لا نستطيع أن نُعْجَب بأحد إلا إن كان لدينا ثقة في أهميتها الخاصة وطاقاتها الكامنة.

* القطب السادس للجانب المُظلم للطفل مبكر النضوج:

البليد

القطُب الآخر للجانب المُظلم للطفل مبكر النضوج هو «البليد الساذج»، والصبي أو الرجل الواقع تحت تأثير هذا النموذج الظليل يفتقد للشخصية والثقة والإبداع، مثل الأمير الضعيف.

يبدو عليه أنه مُملٌ ومتّقيٌ، لا يستطيع تعلم جدول الضرب، أو حساب باقي المال أو معرفة الوقت من الساعة، دائمًا ما يقال عنه: إنه «مُتعلم بطيء» كما أنه يفتقد حس الدُّعابة ولا يفهم مغزى النكات، جسدياً، قد يبدو ضعيفاً ومتّخراً أيضاً، يفتقد القوة الجسدية والتنسيق العضلي، فغالباً ما يُصبح مصدرًا للسخرية عندما يكون أداة الرياضي مُثيرًا للشفقة.

أحياناً يكون هذا الطفل ساذجاً أيضاً، أو على الأقل يبدو

ومن هذه اللحظة، بدأ الشاب في توجيه طاقته الروحانية تجاه نموذج الأم العظيمة، التي عرف من خلال زلة لسانه أنها أمّ، أمّ الحقيقة، فقد بدأ في فصل نموذج الأم المثالي عن الأم الحقيقة وكذلك عن النساء جميعاً؛ مما ساعده في عدم تحميлем العبء الثقيل وغير الواقعى لنموذج الإلهة، ومن حينها لم تتحسن علاقته مع أمّه وخطيئته وحسب، بل تطورت أيضاً حياته الروحانية بشكل مذهل، فقد تمكّن من تحويل شوقه الداخلي للانسجام إلى كنز روحي.

* القطب الموجب للجانب المُظلم للطفل الأوديبي: ابن أمّه

ظلّ الطفل الأوديبي (أي الجانب المُظلم له) يتكون من «ابن أمّه» أي مُدلّل أمّه. وكذلك «الحالم».

نموذج ابن أمّه كما نعرف جماعياً يعبر عن الصبي أو حتى الرجل الذي يُلاصق أمّه جسدياً، ولكن بشكل أعمق عاطفياً وسيكولوجياً، وكأنه - الصبي - يريد أن يتزوجها رمزياً، وأن يستولي عليها من والده؛ لذلك إن كان الأب غائباً، أو كان الأب ضعيفاً تُصبح عقدة التعلق بالأم هذه أقوى، وقد يُسيطر

على رجله بالأم - العلاقة الأولى الأساسية لنا جمِيعاً - بوادر ما ندعوه الروحانية، فحبه الصوفي للانسجام، وتقديره العميق لكل شيء يأتي من شوقة العميق لطاقة الأم المعطاءة لا مُنتهية الجمال.

هذه الأم ليست أمّه الحقيقة، بل النموذج المثالي للأم، فأمّه الحقيقة غالباً ما ستُخيب آماله في تلبية احتياجاته للحب المثالي والحنان الفياض والعطف اللامتناهي، وهذه الأم النموذجية هي أعظم تعبير عن الجمال والحب في العالم، وهو ما سماه الإغريق «إيرروس»، إنها الطاقة التي يُحاول الطفل الأوديبي التراصُل معها داخلياً، إنها نموذج «الإلهة» كما ظهرت في العديد من أساطير وثقافات الشعوب المختلفة.

شاب صغير أتى إلينا للتحليل ذات مرة وكان هدفه - جزئياً - التعامل مع مشاكله مع الأم، وقد قدم له عقله اللاواعي فكرة مُنبية رائعة، عندما كان في مُتصفح عملية التحليل في رحلته، ذهب ليزور أمّه، وقد وقعوا في جدل من جدالاتهم الاعتراضية، وعندما لم يستطع الشاب تفهُّم وجهة نظر أمّه قال: «يا إلهي، كم هي عظيمة هذه الأم!» وقد توقف الحديث بينه وبين أمّه فوراً، وضحكا ضحكة يملؤها التوتر؛ لأنَّهما عرفاً أهمية زلة لسانه تلك.

على الملك أوديب.

المغزى السيكولوجي من هذه القصة أن أوديب تمت مُعاقبته من قِبَل الآلهة لأنَّه قتل أبيه وتزوج أمِّه؛ لذا فقد عوقب بسبب تضخم ذاته التي حلَّت محلَّ الأب.

من الناحية العملية الواقعية، فكل طفل لديه الأب والأم، وَهُن يتعلّق كثيًراً بأمه - كأوديب - يصبح مؤذياً لمن حوله ويُدفع ثمن ذلك غالياً.

شيء آخر هام يحدث لـ «ابن أمِّه»، غالباً ما يقع في فخ البحث الدائم عن الأم وجمالها وحناها من أثني إلى أخرى، فهو لا يمكن أن يقعَنَّ أبداً بامرأة واقعية؛ لأنَّه يبحث عن الآلهة المثالية، وهنا نحصل على مُتلازمة «دون جوان»، فالطفل الأودبي عندما تضخم رغباته خارج النطاق الحقيقي، لا يتمكَّن من أن يلتزم بشريكة واحدة.

كما أن الصبي تحت تأثير هذا الجانب المُظلم غالباً ما يكون مُفبرط الشهوانية الجنسية، قد يُمارس الاستمناء بصورة مُفرطة، ويقع في إدمان الأفلام الإباحية؛ لأنَّه يبحث عن الكمال والجمال في الصور اللامتناهية لجسد المرأة، إنه يسعى لمُمارسة ذكورته واتباع شهواته، لكن بدلاً من

عليه تماماً هذا الجانب الظليل من نموذج الطفل الأودبي.

مصطلح «عقدة أوديب» ابتكره فرويد، فقد رأى في القصة الإغريقية للملك أوديب أساساً ميثولوجياً لهذه الطاقة الذكرية غير الناضجة، تدور القصة على التحوُّل التالي:

الملك ليارييس وزوجته جوكاستا رُزُفوا بطفل اسمه أوديب، ثم ظهرت نبوءة تقول بأنَّ أوديب سيقتل أبيه عندما يكبر، فأخذ الملك ليارييس الطفل الصغير ووضعه على قمة جبل خارج المدينة، لكن كعادة جميع الأطفال المُقدسين، تم إنقاذ أوديب، فقد وجده راعي غنم ورباه حتى كبر.

في أحد الأيام، كان أوديب يمشي في إحدى الطرق في الريف، وكادت إحدى العربات أن تدهسه، فدخل في شجار مع صاحب العربية وقتله، وكان صاحب هذه العربية - دون أن يعرف أوديب - أبيه الملك ليارييس، ثم ذهب أوديب إلى مدينة طيبة، وهناك سمع أن الملكة تبحث عن زوج لها، كانت الملكة هي جوكاستا أمِّه دون أن يعرف، فتزوجها واعتلى عرش أبيه.

لم يُدرك أوديب الحقيقة إلا بعد سنوات عديدة، فقضى

الإنسانية بعيدة المتناول في الواقع، لكنها موجودة داخل خياله، وبالتالي، عندما يكون الأطفال الآخرون يلعبون، يجلس هو على مقعد أو صخرة، ليمارس أحلامه الخاصة.

الحالم لا يتحقق الكثير من النجاحات، ودائماً تبدو عليه آثار الانزعال والاكتئاب، أحلامه تكون إما حزينة وميلانكولية أو مثالية وفرودوسية.

الحالم - كجميع الأقطاب الظلية السابقة - يمتاز بعدم الصدق، لكن عدم صدقه غالباً ما يكون بصورة غير واعية، فانعزاله وأحلام يقظته قد تتم عن سمات القطب الآخر للطفل الأودبي، ابن أمه.

في الواقع إن ما يُعبر عنه هذا الطفل - بطريقة غير مباشرة - هو فشله في الحصول على هبات الأم، عظمتها التي تبحث عن تملك الأم مخفية خلف اكتئابه.

البطل:

هناك الكثير من الالتباس القائم حول نموذج «البطل»، في العادة يظن الناس أن اتخاذ موقف بطولي تجاه قضية معينة، أو تجاه الحياة في العموم، هي الطريقة الأكثر ثباتاً، لكن هذا الفتن

مُمارستها في حدود المعقول والواقعي، هو يُريد أن يُمارسها بصورة أسطورية، مع كل النساء الجميلات، أو مع نموذج الأنثى ذاتها.

لذا فالعالق في إدمان الأفلام الإباحية والاستمناء، ابن أمه، مثل جميع النماذج غير الناضجة للذكرة، هو لا يريده أن يفعل شيئاً، لا يُريد أن يبذل المجهود الحقيقي المطلوب للحصول على امرأة حقيقة، ولا يتقبل التعامل مع المشاكل والتعقيدات العاطفية الموجودة في علاقة حميمية حقيقة، إنه لا يرغب في تحمل المسئولية.

* القطب السالب للجانب المُظلم للطفل الأودبي: الحالم

القطب الآخر للجانب المُظلم للطفل الأودبي هو «الحالم»، والحالم يأخذ دوافع الروحانية للطفل الأودبي إلى أقصى الحدود، وفي حين أن «ابن أمه» يُظهر سمات سلبية شخصية، لكن على الأقل هو يسعى بفاعلية للبحث عن الأم، أما «الحالم» فإنه يدفع الصبي إلى أن يُصبح معزولاً تماماً عن جميع العلاقات الإنسانية؛ لأن الحالم يعتبر جميع العلاقات

صحيح بشكل جزئي فقط.

البطل في الحقيقة هو مجرد صورة مُتقدمة للنفسية الصيانية، إنه النموذج الأكثر تطوراً والذي يُعبر عن قمة التطور السيكولوجي للطاقة الذكرية للصبي، هو النموذج الذي يظهر بشدة في مرحلة المراهقة، لكنه في النهاية نموذج غير مكتمل الضسوج، وعندما يتم الاحتفاظ به في الرجل البالغ يمنعه من الوصول للنضوج الذكري الكامل.

عندما نرى الوجه القليل للبطل المُتنمّر الباطجي، يُصبح هذا الجانب السلبي لهذا النموذج أكثر وضوحاً.

* القطب الموجب للجانب المُظلم للبطل: المُتنمّر المتهور

الصبي أو الرجل الذي يقع تحت تأثير نموذج المُتنمّر يسعى لنبيل إعجاب الآخرين، فمعظم سلوكياته تُعبّر عن استعراض تفوقه وحقه في السيطرة على مَنْ حوله، إنه يرى أن مركزيته على الساحة هي حقه الطبيعي، وعندما يتم تحدي مركزه الخاص، يمكن رؤية الهجوم الغاضب الذي يقوم به، إنه يُهاجم لفظياً وجسدياً كل من تسول له نفسه أن يشك أنه

فعلاً، هذا الهجوم على الآخرين وظيفته بالتحديد هي إخفاء هُبته وانعدام شعوره بالأمان وضعف ثقته بنفسه.

الرجل البالغ الذي لا يزال تحت تأثير هذا الجانب السلبي من نموذج البطل، دائمًا ما يكون غير متعاون ولا يُشارك في النشاطات الجماعية، إنه مندوب المبيعات، مُضارب البورصة، الثوري الحاتق، إنه الجندي الذي يقوم بمخاطرات لا داعي لها في المعركة، وإن كان القائد فهو يتطلب ذلك أيضاً من رجاله، على سبيل المثال العديد من القصص عن حرب فيتنام كانت تحكي عن الضباط البطوليين، الشباب الطامحين للترقيه الذين كانوا في الغالب يأمرون رجالهم الجنود بأن يمخاطرروا بحياتهم بصورة غير ضرورية لإثبات شجاعتهم، والكثير من هؤلاء الضباط قُتّلوا نتيجة تهورهم البطولي.

نرى مثلاً لذلك في الدور الذي لعبه الممثل «توم كروز» في فيلم «Top Gun»، لقد كان طياراً مُحارباً شاباً شجاعاً يملؤه الحماس ولا يستمع لأحد، لقد كان شاباً يحاول إثبات شيء، إنه المُتهور الذي يقوم بمخاطرات لا داعي لها بطائرته، ولقد كانت ردّ فعل الجميع من حوله هي الرفض والاشمئزاز، حتى صديقه المقرب الذي يُحبه، اضطر أن يُصارحه في النهاية بشأن خطورة ما يفعله على نفسه وعلى فريقه.

إننا نرى بالفعل أن البطل الواقع تحت هذا الجانب الظليل للمُنتَهُور - الذي يظن أنه لا يُفْهَر - يُسبِّب لنفسه المتاعب ويُوْقِع نفسه دائمًا في المخاطر، وفي النهاية يقتضي على نفسه أو على الأقل يُسبِّب لنفسه أضرارًا جسيمة.

الجزء الظليل جورج باتون - أحد قادة جيوش القوات الأمريكية في الحرب العالمية الثانية - بالرغم من أنه كان مُبدعًا وشجاعًا ومصدر إلهام لجنوده، إلا أنه آذى نفسه بمخاطراته الدائمة، وبتحديه الطفولي للجزء البريطاني مونتجومري، وكذلك بخطاباته الحماسية الصبيانية، فبدلًا من أن يتم اختياره لمهمة تليق بموهبه وإمكانياته - لقيادة الجيش في الحرب على ألمانيا على سبيل المثال - تم تجنيبه، تحديدًا لأنه بطل وليس محاربًا مُكتمل النضوج.

وكما هو الحال مع بقية نماذج الصبيانية غير الناضجة، يكون البطل مُرتبطًا بأمه ارتباطًا مُفْرِطًا، لكن البطل لديه رغبة قوية في التخلص من هذا الارتباط؛ لذا يظل البطل عالقاً في «حركة ضد الأثنى»، مُحاولاً هزيمتها وفرض ذكرته.

في قصص القرون الوسطى عن الأبطال والوحوش، دائمًا ما نعرف مجرى الأحداث حتى يذبح البطل التنين ويتزوج

الفيلم في الحقيقة يحكي عن تحول صبي لرجل، وبعد أن ساهم البطل عن طريق الخطأ في موت أحد مُساعديه في إحدى المُناورات الخطرة، وعاني من الألم النفسي جراء ذلك، وبعد أن خسر السباق على المركز الأعلى للرجل الأكثر نُضُجًا «Iceman»، حينها فقط بدأ التحول من المراهقة والتهور الصبياني إلى النضوج الرجولي.

الفرق بين نموذج البطل الصبياني ونموذج المحارب الناضج هو الفرق بين شخصية كروز في الفيلم وبين Iceman.

الرجل الذي تُسيطر عليه قوة المُنتَهُور يُبالغ في تقدير أهميته وإمكانياته، أحد المسؤولين الكبار في إحدى الشركات أخبرنا ذات مرة أنه عندما يُقابل شبانًا أبطالًا في شركته، دائمًا ما يقول لهم من وقت لآخر: «أنتم جيدون أيها الشبان، لكنكم لستم بالمستوى الذي تظنون انكم عليه، ربما ستصلون لهذا المستوى فعلاً يومًا ما، لكنكم لم تصلوا إليه بعد».

يبدأ البطل في الظن أنه منيع وخالد، أن الحلم المستحيل ليس مستحيلاً له، يظن أنه يُمكّنه أن يقضى على العدو الجبار الذي لا يُفْهَر، لكن عندما يكون الحلم بالفعل مستحيلاً، والعدو فعلًا لا يُفْهَر، يُصبح حينها البطل في ورطة.

السلطة؛ جميعهم يُهاجمون - بوعي أو دون وعي - لمعان
البطل في الرجال.

عصرنا ليس العصر الذي يريد أبطالاً، عصرنا عصر الحقد،
الذي يسود فيه الكسل والأثانية.

وكل من يُحاول أن يلمع أو يجرؤ على أن يتميز عن العامة،
يُهُرّ للأسفال من قبل زملائه الباهتين المعدومين.

نحن نحتاج لبعث البطولة مجدداً في عالمنا اليوم، فكل جزء
من المجتمع البشري - أيًّا كان مكانه على الكوكب - يبدو
أنه يُجَرِّ لحافة الفوضى في اللاوعي، وفقط قوة البطل اللامعة
الواعية هي التي تقدر على منع هذه الكارثة، لن يُنقذ هذا العالم
سواء ولادة جديدة للشجاعة في نفس الرجال والنساء، فالبطل
بالرغم من الخطر الذي يحيط به، وبالرغم من فرصه التي تكاد
تكون معدومة، هو الذي يسحب سيفه ويقفز للمجهول داخل
فم التنين، لداخل قصر الشر.

ما هي نهاية البطل؟ عالمياً في جميع القصص والأساطير
تكون نهاية الموت، ثم الصعود للجنة والتحول إلى إله.

موت البطل هو موت الطفولة، موت السيكولوجية
الصبيانية، وهو كذلك ولادة الرجل والسيكولوجية الرجولية،

الأميرة الجميلة، لكننا لا نعرف ماذا يحدث بعد هذا الزواج،
هذا لأن البطل - كنموذج - لا يعرف كيف يتعامل مع الأميرة
- أو الأخرى - حينما يفوز بها، لا يعلم ماذا يفعل عندما تعود
الأمور لطبيعتها.

تمكَّن نقطَة ضعف البطل في أنه لا يُعرف ما هي حدود قدراته
وكيف يُعترَف بها، فالصبي أو الولد الواقع في الجانب الظليل
للبطل لا يستطيع تقبُّل فكرة أنه كائن فان، فإنكار الموت -
الذي لا مفر منه لأي كائن حي - هو تخصُّصه.

في هذه النقطَة يُمكِّننا التمُّن للحظة في الطبيعة البطولية
للتقاليف الغربية، فهدفها الرئيس كما يبدو هو «التحكم في
الطبيعة» لاستخدامها واستغلالها، وقد أصبحت مشاكل
التلوث والكوارث البيئية عقوبة واضحة على هذا المشروع
غير الناضج، حتى أساس الطب الحديث مبني على أن
المرض بل والموت يُمكن تفاديهما، نظرتنا الحديثة للعالم
والحياة تفتقد بشدة الاعتراف بحدود القدرات البشرية ونطاق
ضعفها، وعندما لا نواجه حدودنا الحقيقية تتضخم، وستدفع
ثمن هذا التضخم عاجلاً أم آجلاً.

مجدداً، نرى من موقعنا أن الأخصائين النفسيين وكذلك
الأقارب والأصدقاء والزملاء في العمل والذين هم في مناصب

لكن إن كنا على تواصل إيجابي مع الطاقة القوية للبطل؛
بسندفع أنفسنا خارج حدودنا، سنتمكّن من تخطي ما يُمكّتنا
الوصول إليه كصبيان، ومن هنا، إذا قدرنا على التحول؛
بسنكون جاهزين لل مباشرة إلى البلوغ، إلى الرجلة الناضجة.

* القطب السالب للجانب المُظلم للبطل: الجبان

الصبي المُسيطر عليه من قِبَل نموذج الجبان - الذي هو
القطب الآخر للجانب المُظلم للبطل - يفتقد القدرة على
الدفاع عن نفسه في المواجهات الجسدية، قد يهرب أو يتهرّب
عن شجار ما، ويعذر نفسه بداعٍ أن تقادى الشجار «أكثر
رجلة»، لكنه سيشعر بالعار سريًّا بالرغم من مُبرراته.

ولن يتتجنب الجبان الشجار الجسدي فقط، بل إنه في
الأغلب يميل للسماح لآخرين باستغلاله والتّنمُّر عليه عاطفياً
وفكرياً أيضاً.

عندما يضغط أحد ما على الجبان - الذي لا يرى البطل
في نفسه - أو يواجهه بصلابة، غالباً ما سيهار الصبي، إنه
يُنسّاك لأي ضغط عليه من الآخرين، سيشعر أنه مُحتلٌ ومُهانٌ
كممسحة الأرجل، لكن عندما يكتفي من هذا الاعتداء، سيظهر
الجانب الخفي لظلّه الآخر، المُتنمر المُتهور، وسيثور المُتنمر

فموت البطل في حياة الصبي أو الرجل يعني في الحقيقة أنه
واجه محدوديته أخيراً، لقد واجه العدو، والعدو هو نفسه،
واجه جانبه المُظلم، جانبه غير البطولي على الإطلاق، أي
إنه حارب التّنين ومحرّق بناره، خاض الثورة وشرب مرّ عدم
إنسانيته الخاصة، لقد تغلّب على الأم ثم اكتشف عدم قدرته
على حُب الأميرة.

موت البطل يُشير إلى أن الصبي أو الرجل قد عرف التواضع
ال حقيقي، وهذا يعني نهاية وعيه البطولي.
نحن نؤمن أن التواضع الحقيقي يتّشكّل من عاملين: الأول
هو معرفة حدود قدراتنا، والثاني هو تقبّل المساعدة عندما
نحتاجها.

إن كنا واقعين في الجانب «المُظلم الموجب للبطل»:
المتهور - كما كانت شخصية توم كروز - سنكون تحت سيطرة
المشاعر المُتضخمة المُتعالية والتصرفات المُتهورة للمُتهور
المُتنمر، سنodos على الآخرين بعدم مُبالاتنا وغرورنا، وفي
النهاية سنُدمّر أنفسنا، وسنُتبّدّل من الآخرين.

إن كنا واقعين في الجانب «المُظلم السلبي للبطل»:
الجانب، ستفتقد العزمية والحافز لتحقيق أي شيء ذي قيمة
في الحياة.

وجوده عن الآخرين، ليتمكن في النهاية من التواصل مع الآخرين بصورة ناضجة.

يقوم البطل برمي الصبي أمام محدوديته، أمام ما يبدو جاراً، أمام المستحيل، ليُشجعه ليحلم الحلم المستحيل الذي قد يكون في نهاية المطاف ممكناً وليس مستحيلاً، إنه تحلي الصبي بالشجاعة والعزيمة.

فبالبطل يدعم الصبي ليواجه الوحش الذي لا يُفهَّم، والذي قد يقدر الصبي بالفعل على هزيمته.

٤- السينكولوجية الربجلية:

من الصعب جداً للإنسان أن يُحقق إمكانياته الكامنة كاملة، فالصراع مع الجزء الطفولي بداخلينا يخلق دافعاً معاكساً، يدفعنا بعيداً عن تحقيق كل إمكانياتنا الكاملة، لكن بالرغم من ذلك علينا أن نقاوم هذا الدفع بكل ما أوتينا من قوة، وأن نبني أهرام الصبيانية أو لاثم أهرام الرجلة الناضجة، فتلك الأهرام تُشكّل الهيكل الأساسي لذاتنا الذكورية.

شعب المايا القديم نادراً ما كانوا يُحطمون الهياكل والمباني القديمة من ماضي مُدتهם، ومثلهم يجب علينا لا نمحو أهرام

بداخله ويشن هجوماً لفظياً أو جسدياً حاداً على «عدوه»، هجوم سيباغت الآخر في الأغلب.

بعد أن ناقشتنا سمات وصفات الجانب الظليل من نموذج البطل المُمتهور والجبان؛ يجب علينا أن نسأل أنفسنا سؤالاً مهمّاً: لماذا يوجد نموذج البطل في تركيبتنا النفسية من الأساس؟ لماذا يُشكّل البطل جزءاً مهمّاً من تطورنا الشخصي كرجال؟ ما الأهمية التطورية التي يُقدمها هذا النموذج؟

ما يفعله نموذج البطل هو أنه يُحرر الهياكل الناعمة والحساسة لأنّا عند الطفل، ليمكنه من تخطي ارتباطه بأمه في أواخر مرحلة الطفولة، ليُجهزه لمواجهة الأخطار والمهامات الصعبة التي ستكون من نصيبيه في الحياة، وكان البطل يبدأ في تحرير الطاقات الذكورية للصبي من مخزنه، تلك الطاقات التي ستستقلّ عندما ينضج؛ مما يُمكنه من تحقيق استقلاله وإثبات كفاءته.

يمكن للبطل الصبي من أن يختبر ويُجرب إمكانياته اليافعة وقدرته على تخطي الحدود ويُجرب نفسه في ظروف الحياة القاسية بل والعدائية.

يمكن للبطل الصبي من أن يبدأ في إثبات نفسه وأن يُميز

وَجَمِيعُ هَذِهِ النَّمَادِجُ تَتَدَبَّرُ، وَفِي الْوَضْعِ الْمُبَالِيِّ يُثْرِي
عَنْهَا الْبَعْضُ، فَالْتِلْكِ الصَّالِحُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُهَارَّاً
وَسَاحِراً وَمَحْجاً أَيْضًا، وَكَذَلِكُ هُوَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَلَأَةِ نَمَادِجُ
الْآخِرِيِّ.

النماذج الصيامية تتدخل أيضًا وتؤثر على بعضها البعض كما أينا، الطفل المقدس يؤدي طبيعياً إلى ظهور الطفل الأودبي، وهو يشكّلان سويةً نواة كل ما نراه جميلاً وساحراً ودافناً وحنّناً وروحانياً في الرجل، كذلك تحتاج الآنا لوعي الطفل مبكر النضوج لتفرقة نفسها عن هذه الطفقات، ومن هؤلاء الثلاثة يظهر البطل، الذي يتحرر من سيطرة الآنا في اللاوعي، ويُؤسس هوية الصبي كشخصٍ مُفرد، البطل يجهز الصبي ليُصبح إنساناً ناضجاً.

النماذج هي طاقات وكيانات خفية، يمكن تشبيه النماذج بالمعنطيات تحت ورقة، عندما تُرشبُ بِرادة الحديد فوق الورقة، تلتَّب سريعاً لتشكل أنماطاً تتبع خطوط القوة المغناطيسية، لمكنتنا رؤية البرادة على الورقة لكننا لا نرى المعنطيات تحت الورقة، أو بشكل أكثر دقة؛ لا يُمكِّننا أن نرى القوة المغناطيسية المُحركة، نحن نرى فقط دليل وجودها المرئي.

كذلك هو الأمر بالنسبة للنماذج السكلولوجية، تقرّ هذه

الصبيانية؛ لأن هذه الأهرام كانت وستظل المولدات للطاقة من مخازننا البدائية، وبالتالي يجب علينا أن نبني بأحجار صلبة فوق هذه الأساسات، وأن نبني قالبًا فوق قالب تجاه تحقيق النفع الذكوري، حتى نستطيع أخيراً أن نقف على قمة منصتنا العالية، ناظرين إلى ما يبنيه كانانا ملوك الجهات الأربع.

هناك عدد من الطرق التي يمكن أن نستخدمها في مشروع البناء هذا، مثل تحليل الأحلام وملاحظة تغيرها، التخيل الفعال^(١) (الذي من خلاله تتمكن الأنماط من التحاور مع نماذج الطاقة بداخلنا ليقدر على الانفصال عنهم أو التواصل معهم)، كذلك عن طريق الأساليب المختلفة للتحليل النفسي، التأمل في الجوانب الإيجابية لهذه النماذج الأساسية، الإرشاد الحيادي والنفسي من قبل الحكماء، الطرق المختلفة للمذاهب الروحانية، بالإضافة إلى طرق أخرى، وكل هذه الطرق والأساليب مهمة في العملية الصعبة لتحويل الصبيان إلى رجال.

الرابعة نماذج الأساسية للطاقة الذكورية الناضجة التي حددها لهم هي: الملك، المُحَارِّب، الساحِر، المُحِب.

(١) أسلوب التخييل الفعال هو أسلوب ابتكره كارل بيون للتواصل مع محتويات الوعي عن طريق التخييل، الكتابة، الرسم أو التحاوار. وفي الفصل الأخير من هذا الكتاب سنتدرب على استخدام هذا الأسلوب في التواصل مع النهاذ السكيو-لوجية الداخلية. المترجم.

الأغلب يتم اتباع نصائح هؤلاء الراغبين، لكن يجب الانتباه أن آراء السلبين تكون أحياناً هي الأكثر صدقاً.

وبعد أن تُسمع كل الآراء ويتم مُناقشتها بصورة كافية، يطلب الرئيس التصويت ويتم اتخاذ القرار، وغالباً ما يترك الرئيس رأيه للنهاية.

الآن خاصتنا تشبه رئيس المجلس، والأعضاء هم النماذج السيكولوجية المختلفة بداخلنا، يجب أن يتم الاستماع إلى كل نموذج، يجب أن يعبر كل منهم عن وجهة نظره، لكن في النهاية يجب على الآنا الإشراف واتخاذ القرار النهائي في حياتنا.

السيكولوجية الذكورية الناضجة - كما رجحنا من قبل - هي في الأغلب من النوادر في عالمنا، وهي بكل تأكيد نادرة اليوم على الأقل، الظروف المعيشية المادية والسيكولوجية التي عاش فيها معظم البشر في معظم الأماكن هي صاعقة، والبيئة العدائية دائمًا ما تؤدي إلى تشوه وانحراف الكائن الحي، دعونا نتعرف بسوء الوضع الذي نحن فيه، ففقط حينما نسمح لأنفسنا أن نرى الحجم الواقعي لأي مشكلة نتمكن من اتخاذ الإجراءات اللازمة، وما يلزم فعله حالياً هو فعل ما يمكن فعله لتحسين حياتنا وحياة الآخرين.

النماذج خفية، لكن يمكننا أن نرى تأثيرها في الفن والشعر والمُوسيقى والقصص والأساطير والدين وحتى الاكتشافات العلمية، نرى هذا التأثير في أنماط سلوكياتنا وأفكارنا ومشاعرنا، كل إبداعات البشر هي مثل بُراة الحديد، يمكننا أن نلاحظ فيها الأنماط والأشكال التي تُشكلها طاقات هذه النماذج، لكننا لا نرى هذه الطاقات نفسها.

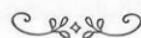
هذه النماذج تتدخل وتؤثر على بعضها بعضاً، لكن يمكن تمييزها عن بعض لداعي التوضيح والتبسيط، من خلال التخيل الفعال وأساليب التواصل الأخرى، يمكن أن تُخلط هذه النماذج لتمكن من الحصول على التوازن المطلوب بين طاقاتها في حياتنا على حسب احتياجاتها.

«جين شينودا بولين» قام باقتراح مُفيد في هذه النقطة للتعامل مع هذه النماذج، ذلك بأن نبدأ أولاً بفصلها وتفكيكها عن بعضها، ثم خلطها ودمجها، تماماً كما تذر اجتماعات مجلس الإدارة الجيدة، في هذه المجتمعات يطلب الرئيس من كل عضو أن يُعبر عن رأيه بصرامة عن السؤال المطروح، والرئيس الجيد يرغب دائمًا في أن يُعبر كل عضو عن رأيه بصورة كاملة ومُوضحة بالأسباب، بعض الآراء ستكون مختلفة، وبعضها ربما سيكون غبياً، كذلك قد يجدون بعض الأعضاء أنهم هدامون وغير مُفیدين، بعضهم الآخر قد يأتي دائمًا بأفكار رائعة، في

هناك مقوله مهمه في علم النفس تقول: إن علينا تحمل مسئولية ما نحن لسنا مسئولين عنه، بمعنى أننا بالفعل لسنا مسئولين - كجميع الأطفال - عما حدث لنا في الطفولة وأدى إلى أذيتنا وإعاقتنا سيكولوجيًّا، مما أدى إلى إيقاعنا في مستوى غير ناضج للذكورة، لكن لن يفعنا أيضًا جعل هذا مبررًا السوء شخصيتنا وعدم اكتمالنا، وجعله مبررًا لأفعالنا الضارة.

لقد أصبح عصرنا الآن عصرًا سيكولوجيًّا بدلاً من أن يكون مؤسسيًّا كما كان في الماضي، فما كان يُقدم لنا من المؤسسات والهيابك الاجتماعية من خلال العمليات الطقوسية، أصبح من الواجب الآن أن نُقدمه لأنفسنا بأنفسنا، فشققتنا أصبحت ثقافة الفرد بدلاً من الجماعة.

تدفعنا حضارتنا الغربية لأن نسلك الطريق وحيدين، أن تُصبح - كما قال يونج - «مُفتردين» عن بعضنا بعضًا، أي إن هذه المعرفة العميقه التي كانت تُشارك بصورة غير واعية بين الجميع - كعملية بناء هوية ذكرية ناضجة - لم تعد مُتاحه لنا إلا من خلال البحث الشخصي الوعي، وهذه هي المهمة التي سنبدأ بها الآن.



الفصل الثاني اكتشاف سيكولوجية الرجل النماذج الأربعة للذكر الناضج



الملك

طاقة نموذج الملك هي طاقة مركزية وأساسية في داخل جميع الرجال، والعلاقة التي تُشكّلها مع الثلاثة نماذج الأخرى للذكر الناضجة، هي نفس العلاقة التي تُشكّلها طاقة نموذج الطفل المقدس مع الثلاثة نماذج الأخرى للذكورة غير الناضجة، وهذه الطاقة - أي طاقة الملك - هي الأهم، وتُعتبر الأساس الذي تنشأ منه النماذج الأخرى بتوافق مثالى.

فالملك الصالح اليعظاء يكون بطبيعة الحال أيضًا مُحاربًا جيدًا، ساحرًا إيجابيًّا، ومحبًّا ممتازًا، لكن بالرغم من هذا فنموذج الملك يظهر في معظمنا في مرحلة متأخرة، غالباً بعد جميع النماذج الأخرى.

النموذج الأبدى الذى يجلب النظام والكرم للعالم ولحياة البشر.

كما لاحظ السير «جيمس فرازير» وآخرون، فالملوك في العالم القديم للحضارات القديمة كانوا غالباً ما يُقتلون طقوسياً عندما تبدأ قدرتهم على التعبير عن طاقة الملك في التدهور، فما كان مهماً هو إلا يرتبط كرم وعطاء طاقة نموذج الملك بشخص الملك العجوز الفاني، فظهور الملك الجديد، كانت تتجدد هذه الطاقة وتتجسد ليس فقط في الملك الجديد، بل في المملكة كلها وفي حياة الجميع بها.

هذا النمط - أي العملية الطقوسية للقتل وإعادة الإحياء - وراء قصص الموت ثم البعث والخلود في العديد من الأديان والأساطير، وهناك خطر على الرجال الذين قد تمسمهم هذه الطاقة أن يسلكوا أيضاً طريق هذا النمط القديم ويموتون بُبَكْرا.

في الفصل الأول ذكرنا أن موت نماذج الصبيانية - وخاصة نموذج البطل - هو بالفعل ولادة الرجل، أي نهاية عهد السيكولوجية الصبيانية وبداية عهد نفسية الرجل، ماذا يحدث إذن عندما يُقتل البطل في الصبي المراهق؟

يمكّنا القول بأن نموذج الملك هو نموذج الطفل المقدس لكن بصورة أكثر عمقاً ونضوجاً وحكمة وتعييضاً، فالملك غير آناني على عكس الطفل المقدس الذي غالباً ما يكون متمحورة حول نفسه فقط، الملك الصالح يتمتع بالحكمة والتواضع، في حين أن الطفل المقدس - خصوصاً في حالة الطاغي على الكرسي العالي - يمتلك نزعات طفولية مُتعالية يعتبر بها نفسه مثالياً وكاملاً، يقترب نموذج الملك للكمال الحقيقي في صورته البشرية داخل نفس كل رجل.

طاقة نموذج الملك قد تُعتبر طاقة نموذج الأب في العديد من الأشكال، لكن من واقع خبرتنا فإن الملك هو الأساس الذي ينشأ منه نموذج الأب، وهو أكثر شمولاً وأساسية من نموذج الأب.

تاريخياً، فإن الملك يُعتبر مقدساً، لكن التقديس ليس لشخصه البشري، وإنما للمنصب نفسه، أو يُمكّنا القول: لطاقة الملك نفسها، جميعنا نعرف النساء الشهير الذي كان يُقال عندما يموت الملك ويستعد آخر لأخذ عرشه: «مات الملك، عاش الملك!»

أي إن الإنسان الذي يُجسد طاقة الملك أو يحتفظ بها مؤقتاً لخدمة البشرية، هو مجرد واء لهذه الطاقة، محطة مؤقتة لهذا

وفي مُنتصف الحديقة يقف الإمبراطور بنفسه، بثوبه الأحمر والذهبِي الأنيق، لا مكان لدِي لأذهب إليه، الحراس يلحقون بي من الخلف، وأنا مُضطَر للذهاب للإمبراطور نفسه، لا يمكنني أن أفعل أي شيء سوى أن أركع أمامه، وأن أستسلم له، أشعر بتواضع كبير، وكأن مرحلة في حياتي انتهت.

الإمبراطور ينظر لي بنظرة عطف أبوية، إنه ليس غاضبًا مُنْي على الإطلاق، يُخالجني شعور بأنه عاش الكثير ومر بالكثير، مر بكل مغامرات الحياة: الفقر والغنى والنساء والحروب والخيانات والمعاناة والفرح، ومر بكل تجربة يمكن للإنسان أن يعيشها، هذه الحياة الغنية والمليئة بالخبرات والحكمة التي اكتسبها هي ما تجعله يعاملني بعطف وحنان.

يقول الإمبراطور بلطف شديد: «يجب أن تموت، سيتم إعدامك بعد ثلاثة ساعات».

أنا أعلم أنه على حق، هناك قوة تربطنا، كأنه كان في موقفه هذا تماماً من قبل، كأنه يعلم تماماً هذه التجربة، فأستسلم لقدري بشعور من السلام الغامر وحتى السعادة.

في هذا الحلم نرى الآنا البطولية للصبي المُمثَلة في الجندي الصاحب وهي تُقابل أخيراً حدودها، فالجندي يواجه مصيره المحتموم في حضرة الملك، فما يحدُث للصبي هو أن يكون

الحلم التالي لشاب يافع على حافة تحوله من الطفولة للمرجولة يُظهر هذه اللحظة لموت البطل، ويُظهر الشكل الذي قد تتخذه في النهاية الطاقة الذكورية الناضجة الجديدة، إن الحلم يُظهر نشوء طاقة الملك، التي لم يتم استيعابها كاملة إلا بعد سنوات من هذا الحلم، هذا هو الحلم:

«إنني جندي صاحب في الصين القديمة، أُسْبِب العديد من المشاكل، وأؤذِي العديد من الناس، وأعبث بالنظام العام لمصالحي الشخصية، أبدو كأنني مُرتزق أو خارج عن القانون.

في الأرياف، تم مُلاحقي في الغابة من قِبَل مجموعة من جنود الجيش الصيني، بالتحديد من حراس الإمبراطور الصيني، جمعينا نرتدي نوعاً من الدروع المُصفحة، ولدينا أقواس وأسهم وربما سيف أيضًا، وأثناء هروبي في الغابات، أرى حفرة في الأرض، كأنها مدخل لكهف، فأنزل إليها سريعاً لأنفسي، وحالما أنزل للحفرة أرى أنها نفق طويل، وأجري خلال النفق، يراني الحراس ويلحقون بي داخل النفق.

في نهاية النفق، أرى نوراً أزرق خافتًا من بعيد يأتي من أعلى، ربما هي فتحة في الصخر.

عندما أقترب، أرى أن النور يسقط على غرفة خفية تحت الأرض، وهذه الغرفة هي في الحقيقة حديقة شديدة الخضراء،

والاطمئنان الروحي والشفاء الخلاق، فقد رأى داخل نفسية المرضى تلك الأساطير القديمة عن حروب الملك العظيم السيد قوى الفوضى والظلام، ومن ثم انتصار الملك العظيم وتحقيقه للسلام وتنصيبه على عرش مركز العالم.

فقد أدرك بيرري أن نموذج الملك هو في الواقع ما سماه «النموذج المركزي»، الذي تتنظم حوله بقية النفسية، ورأى بنفسه أن في اللحظات التي كان مرضاه غير واعين تماماً، أي عندما كانت الحواجز تزول بين الهوية الوعائية والعالم القوي اللاوعي، في هذه اللحظات كانت الصور الخلاقة والمُنظمة والكريمية والمُعندية للملك تستطع، فيتقل الناس من الجنون إلى صحة داخلية أفضل بكثير.

ما حدث لمرضى بيرري موازٍ لما حدث في حلم الشاب اليافع بالإمبراطور الصيني، الأنا الطفولية استسلمت أخيراً، فسقطت داخل اللاوعي وتقابلت مع الملك، السيكولوجية الصينية تحلت وظهرت السيكولوجية الرجالية التي أعادت تنظيم وتركيب النفسية والشخصية.

علاقة حسنة مع روح الملك الكامنة بداخله، و«يتوحد مع الألب» كما يقول جوزيف كامبل.

جون بيرري - المعالج النفسي الشهير - اكتشف قدرة نموذج الملك على العلاج عن طريق التعرف على الشخصية في أحلام ورؤى المصابين بالفصام، وفي نوبات الذهان - نوبات مقطعة من الهذيان والهلوسة والاضطراب العقلي - كانت صور الملك المقدس تظهر للمرضى من أعماق اللاوعي لديهم.

وفي كتابه «جذور التجديد في الأساطير والجنون»⁽¹⁾ يصف حالة شاب يافع ظل يرسم صوراً لأعمدة إغريقية، ثم ربّطها بما سماه «المملك الأبيض»، وفي حالة أخرى يصف أحد المرضى رؤية عن حفل زواج بين ملكة البحر والملك العظيم.

أدرك بيرري أن ما كان يراه مرضاه ما هي إلا صوراً مطابقة تماماً للصور الموجودة في الأساطير القديمة والطقوس التي تحكي عن الملك المقدس، ولاحظ أن حالة مرضاه تحسن عندما يتواصلون مع طاقة الملك هذه، فهناك شيء ما في نموذج الملك - كما ظهر في الأساطير القديمة وفي أحلام ورؤى المرضى - يؤدي إلى نشوء مستوى عالي من النظام النفسي

(1) انظر قائمة القرارات، جزء الملك، المترجم.

* وظيفتا الملك في صورته المُتكاملة:

هناك وظيفتان أساسيتان لطاقة الملك وهما اللتان تجعلان هذا التحول من الصبيانية للرجلة ممكناً، الوظيفة الأولى هي فرض النظام والتنظيم، والوظيفة الثانية هي توفير الخصوبة والمباركة.

في الواقع يُحدد واقعنا وعالمنا، فنحن ننظم حياتنا وعالمنا عن طريق المفاهيم وعن طريق الأفكار، ونحن لا نُنكر إلا عن طريق الكلام، ففي هذا السياق، يمكن القول: إن الكلمات هي ما تصنع عالمنا وحياتنا.

كما ورد في الأسطورة المصرية، الجبل البدئي - جبل أول الزمان - فرش الأرض، ومن هذا التنظيم المركزي؛ ظهرت كل الحياة، كل الآلهة وكل البشر وكل إنجازاتهم الثقافية، بحسب قصة الخلق المصرية القديمة، ومع ظهور الفراعنة خلفاء الآلهة - كما كانوا يُطلقون على شعبهم - انتشرت الحضارة في جميع الأ направ، حضارة الفراعنة التي تمركزت على الجبل البدئي، كانت قصة المصريين القدماء عن بداية حضارتهم.

وفي حضارة ما بين النهرين، نجد أحد الملوك العظام المؤسسين لهذه الحضارة، وهو «سرجون الأكدي»، الذي بني هذه الحضارة وسمى نفسه «الرجل الذي يحكم الأركان الأربع».

ففي العالم القديم، لم يتشر العالم فقط من المركز، بل كان مُقسمًا هندسياً إلى أربعة أركان، لأن العالم دائرة مُقسمة لأربعة أرباع: الأهرامات المصرية - التي تُشكل بنفسها صورة

نموذج الملك - كما قال بيبرى - هو «النموذج المركزي»، فمثل الطفل المقدس، الملك الحسن هو مركز العالم، يجلس على عرشه على الجبل المركزي، أو كما يقول قدماء المصريين: «جبل أول الزمان»، ومن هذا المكان المركزي تخرج كل أفعال وإبداعات الملك إلى مقدمة المملكة لتشملها كلها، ويعتبر العالم هو النطاق داخل الواقع الذي يحكمه ويُظممه الملك، وخارج حدود هذا النطاق هناك الغوضى وقوى الشر والظلم والمجهول.

هذه الوظيفة للملك موجودة في كل مكان في أساطير العالم القديم، في أساطير المصريين القدماء، كما أوضح جيمس بيرستد وهنري فرانكفورت.

الأساطير تقول أن العالم نشأ من مُحيط اللاشكّل والفوضى، نشأ على هيئة جبل مركزي أو هضبة، نشأ العالم بأمر بالكلمة المقدسة من الإله الأب «بتاح» إله الحكمة والنظام، فالكلام

ويتم تفعيل هذه القدرة عن طريق سن القوانين، أي إن الملك البشري يصنع القوانين التي يستقبلها من خلال طاقة نموذج الملك نفسها، ثم يُمررها لشعبه.



صورة لأحد ملوك الفرس من مخطوطه «الشاهدانة»،
الملحمة الفارسية الشهيرة

للتل المركزي - تُشير زواياها الأربع للاتجاهات الأربع، أي إلى «الأركان الأربع»، ويذكر هذا النمط المُتعلق بالعدد أربعة مراضاً وتكراراً في العديد من الثقافات الأخرى، منها حضارات البحر المتوسط والحضارة الصينية القديمة، وحتى حضارة الهنود الحمر الذين كانوا في الأغلب معزولين عن أي تأثير حضاري خارجي.

عندما لاحظ كارل يونج هذا النمط وارتباطه بالوظيفة التنظيمية؛ استعار اسم «الماندلا»^(١) من ثقافة التبت البوذية للتغيير عن المركز التنظيمي الشامل المُتكامل، ولاحظ أنه عندما ظهرت صور الماندلا في أحلام ورؤى مرضاه، كانت دائمًا تمنع الشفاء والعطاء، كانت هذه الأشكال تُشير دائمًا إلى التجدد، مثلما أظهرت صور بيرري عن الملك التي تُشير إلى أن الشخصية أو النفسية المُضطربة سابقاً وجدت الآن طريقة تُصبح أكثر نظاماً وهدوءاً.

إن طاقة نموذج الملك ومن خلال الملك الحقيقي، تُقدم للمملكة والشعب هذه القدرة التنظيمية للعالم المقدس،

(١) الماندلا لفظ يعني الدائرة أو القرص، وهي دائرة تحتوي على مثلثات ومتلائمة ومترابيعات وخطوط ونقط تداخل وتشابك، وهي تمثل النظرة إلى الكون والشكل الشامل له، فهي دائرة مقدمة. للمزيد عن الماندلا كرمز أو نموذج بدلي يمكن الإطلاع على: النماذج البدنية والآوعي الجمعي - كارل يونج (الفصل السادس)

و أيضاً: الإنسان و رموزه - ص ٢٨٠ - كارل يونج، المترجم

كانت تظهر في شكل الإله بتاح أو الإلهة ماعت، الذي يعني النظام الصحيح أو الطريق الصحيح، في الحضارة الإغريقية كانت تتمثل في روح «اللوجوس» الكريمة والخلاقة والمُنظمة، وهي «الكلمة» التي تبنتها الحضارة المسيحية في إنجيل يوحنا، أما في الهندوسية، هذا النظام النموذجي يُسمى دارما، وفي الصين يُسمى «التاو»، أي الطريق.

واجب الملك البشري الفاني لا يقتصر فقط على استقبال هذه الطاقة التنظيمية وتقديمها لشعبه، لكن - وعلى نحو أكثر أساسية - واجبه أن يتحلى بهذه الروح بنفسه، أن يعيشها في حياته، فأول مسؤولية للملك هو أن يعيش طبقاً لـ«معات» أو التاو أو الدارما، وإن حقق هذا الهدف في نفسه، تقول الأسطورة دائمًا: إن النظام سيمتد للمملكة كلها والشعب وستزدهر المملكة، وإن لم يعش الملك روح «التاو» في نفسه، لن يحدث شيء جيد لشعبه وللمملكة ككل، وعندما لا يكون المركز التنظيمي الذي يُمثله الملك على طريق الحق، تنبأ الأساطير أن النهاية قربة، نهاية الملك وربما المملكة كلها.

عندما حدث ذلك في المملكة الوسطى لمصر القديمة، نجد النبي «نيفیر روحو» يتمنى وصف الكوارث الاجتماعية والاقتصادية التي ستتحقق بمصر بسبب حكم الملوك الظالمين،

يوجد بمتحف المؤسسة الشرقية في ولاية شيكاغو، نسخة طبق الأصل من صورة شهيرة عن الملك البابلي الشهير «حامورابي»، تصور الملك وهو يُقدم لشعبه وزرائه «أعمدة القانون»، وشكل العاًمود هو في الحقيقة إصبع مُوجه للأعلى، كأنه يقول «اسمعوا، هذه هي القوانين وهكذا سُتُدار الأمور»، ويظهر حامورابي في الصورة وهو يستقبل هذه القواعد من الإله «ساماش» إله الشمس وملك الآلهة جميعاً، هذه الصورة تُبرهن واضح عن هذا النموذج وطاقته التي لا تنضب، بينما تُعبر هذه الطاقة الأبدية عن نفسها لملك بشري فاني، وتُعطيه مِفتاح السلام والهدوء والنظام.

تجلّت هذه الظاهرة أيضًا في العديد من الأساطير القديمة وحتى الأديان السماوية، على سبيل المثال ظهرت في قصة النبي موسى في الكتاب المقدس، وهو يستقبل «التوراة» من يهوه^(١) على جبل سيناء المُقدس.

هذا النظام الغامض في المملكة وفي القصور والمعابد، وفي قوانين البشر والمُحرمات السرية والعائلية، وفي العادات والتقاليد للشعوب المختلفة، هي تعبير واقعي عن القدرة التنظيمية لروح الملك المُنظمة، في الحضارة المصرية القديمة

(١) يهوه هو اسم الله في التوراة.

كما هو واضح من النبوءة، فالملك البشري - وهو يعمل بالطاعة الناضجة لنموذج الملك - حقق النظام في حياته الشخصية أولاً، حينها فقط تمكن من فرض النظام والرخاء في مملكته، وقد حقق هذا داخل نطاق المملكة وحتى على حدودها، على الحد الذي يفصل بين المعلوم والمجهول، بين النظام والفوضى، وهنا نرى الملك كمحارب أيضاً، محارب يُدافع عن النظام ضد «الأعداء».

هذه القصة التي تحكي عن الملك الذي يفرض السيطرة والنظام ويُحارب الفوضى والفساد هي إحدى الواقع التاريخية المُتكررة، وكذلك هي حقيقة في الأساطير وفي العالم الغامض للأوعي.

على سبيل المثال قصة الحضارة البابلية عن الإله «مردوخ» الذي كان كبير آلهة بابل، وهو يُحارب قوى الفوضى والظلم المُمثلة في التنينة «تيمات» وجيشه من الشياطين الوحوش، ثم يبحها وخلق العالم والنظام من أشلاءها، وكذلك في الأسطورة الكنعانية عن «بعل» الذي حارب وحشى الفوضى التوأمين.

على الصعيد المعاصر، نرى تفسخ الأسرة واحتلالها عندهما يكون الأب غائباً أو ضعيفاً، أي عندما تكون طاقة الملك

الذين لا يُمثلون طريق الحق، الذين لم يعيشوا طبقاً لـ«معات»، كتب نيفير روحه:

«سيُعيد رع تأسيس هذا العالم من جديد، ستنهار الأرض، ونور الشمس سيُحجب، ستتجفف أنهار مصر، ويموت كل شيء جيد، سيأتي الأعداء من الشرق والغرب، سيُصبح الرجال في حربٍ دائمة فُتُّصْبِح حياتهم وأرذلهم في خطر، سيتسول الجميع للغذى، سيُدير البشر ظهرهم بينما يقتل أحدهم الآخر، قد يرى الإنسان ابنه - أو أخيه - عدواً، وربما يقتل الإنسان أباًه».

ثم يتَّبَعُ نيفير روحه بظهور ملك جديد، ملك يُجسد روح طريق الحق، هذا المَلِك سيُعيد النظام في مصر:

«ثم سيأتي ملك من الجنوب، ابن أرض النوبة، ولد في جنوب مصر، سيأخذ التاج الأبيض ويلبس التاج الأحمر، سيوحد العظيمين، وسيُعطي كلاًًا منهم ما يُريد له، افرحوا أيها الناس في زمانه، فسيكتب ابن الإنسان اسمه للأبد، وكل ما يُعاديه أو يُريد له شرًا سيحرس من الخوف، كل الأعداء سيسقطون تحت سيفه ويُحرقون بناره، سيُبني الجدار الحامي للحياة والصحة والرخاء، وسيسود النظام والعدل، وسيُطرد الشر خارج البلاد، افرحوا فسيظهر الملك».

وسينهمر المطر أو - كما في مصر - سيفيض النيل ومعه
الخصوصية الأرض.

في قصة الملك ديفيد كان الملك لديه العديد من الزوجات وأنجب منها العديد من الأطفال، النقطة هنا هي أنه عندما كان هؤلاء الرجال يزدحرون جسدياً وعقلياً، كانت المملكة تزدهر أيضاً، فقد صورت الأسطورة الملك الفاني على أنه نموذج الملك بالطاقة الذكورية، وأرضه أو مملكته صورت بالطاقة الأنثوية، وكان هناك زواجاً رمزياً بين الملك وأرضه.

عندما كان الملك يمرض أو يُصبح ضعيفاً أو واهناً، كانت المملكة تفتقر، فالملط لا يهطل، والمحاصيل لا تنموا والقطيعان لا تستكاثر، والتجار يخسرون أموالهم وبضاعتهم، وفي النهاية يقضي الفيضان على الأرض ومعه يموت الشعب.

لم تكن الخصوبة بالمعنى المادي فقط هي التي تأتي من الوظيفة الثانية للملك، لكن أيضاً البركة والمباركة هو حدث سيكلولوجي أو روحي، فالملك الصالح كان دائماً يدعم ويُكرم من يستحق، وكان يفعل هذا عن طريق رؤيتهم في حشده الملكي بالقصر، أو سيكلولوجياً عن طريق ملاحظتهم وتقديرهم وإعلاء شأنهم، فالملك الصالح دائماً ما

غير كافية لوضع النظام، وفي هذا الوضع غالباً ما تُتجزء العائلة للغوضى.

أما الوظيفة الثانية الأساسية للملك الصالح هي الخصوبة والمباركة، الشعوب القديمة كانت دائماً تربط الخصوبة - سواء كانت للمحاصيل أو قطعان الحيوانات أو البشر - بالقدرة الخلاقية للآلهة.

على سبيل المثال، في قصة «بعل» بعد أن قضى على تنين الغوضى الكامن في البحر، نظم بعل مياه العالم لتسقط الأمطار وتجري الأنهار، وهذا التنظيم جعل - كما ورد في الأسطورة - الزراعة والرعي ممكنتين للبشر.

في الأسطورة المصرية القديمة عن ترنية آتون (الشمس)، فآتون هو من أمر الأرض لتكون خصبة، وقد وضع النيل في مصر لتروي العصافير وتنمو القطيعان، ولعيش جميع البشر بنعمة الحياة.

في هذه الأساطير، كان ما يحدث للملك يحدث للمملكة، فإن حافظ الملك على نفسه قوياً وصحيحاً جسدياً، ومتقبلاً ورعاياً عقلياً، إذن فالمحاصيل ستنمو والقطيعان ستتكاثر، وسيزدهر التجار وسيُولد العديد من الأطفال للشعب،

نِكَامَلُهُمْ وَتَوَحَّدُهُمْ دَاخِلِيًّا، فَهَذَا هُوَ تَأْثِيرُ الْمُبَارَكَةِ، الْمُبَارَكَةُ شَفِيفٌ وَتُكَمِّلُ مَا هُوَ ناقصٌ، هَذَا مَا يَحْدُثُ عِنْدَمَا يَتَمْ تَقْدِيرُنَا وَمُكَافَأَتُنَا بِمَا نَسْتَحْقُقُ بِسَبَبِ قُدرَاتِنَا وَمُوهَبَاتِنَا.

بِالْتَّأْكِيدِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ - كَالْعَدِيدِ مِنَ الرِّجَالِ فِي مَنَاصِبِ مُشَابِهَةِ الْيَوْمِ - هُمْ بَعِيدُونَ عَنِ الصُّورَةِ النَّمُوذِجِيَّةِ لِلْمَلِكِ الصَّالِحِ، لَكِنَّ هَذَا النَّمُوذِجُ الْبَدَائِيُّ يَعِيشُ مُسْتَقْلًا عَنِّا، وَيُسْعِي - مِنْ خَلَالِنَا - لِيُظْهِرَ فِي حَيَاتِنَا وَبِوَاسِيْتَنَا، يُبَارِكُنَا وَيَمْنَحُنَا الدُّعَمَ وَالْإِبْدَاعَ.

مَا هِيَ سِماتُ وَخَصَائِصِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ؟ بَنَاءً عَلَى الْأَسَاطِيرِ وَالْقَصصِ الْقَدِيمَةِ، مَا هِيَ الصَّفَاتُ الَّتِي يَجُبُ أَنْ يَسْتَحْلِيَ بِهَا الْمَلِكُ الصَّالِحُ؟

نَمُوذِجُ الْمَلِكِ فِي تَكَامُلِهِ يَمْتَلِكُ خَصَائِصَ النَّظَامِ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّضْطِيقِ الْمُنْطَقِيِّ، وَالْوَحْدَةِ وَالتَّكَامُلِ النَّفْسِيِّ، فَهَذِهِ الطَّاقَةُ تُنْظِمُ الْمَشَاعِرَ الْفَوْضِيَّةَ وَالسُّلُوكِيَّاتِ الْخَارِجَةَ عَنِ السُّيْطَرَةِ، هَذِهِ الطَّاقَةُ تُمْنَحُ الْهَدْوَةَ وَالسَّلَامَ، وَتُعْطِي الْخُصُوبَةَ وَالْمَرْحَةَ وَالْحَيَاةِ، إِنَّهَا تَجْلِبُ الْاِسْتَقْرَارَ وَالْتَّوازِنَ، طَلاقَةُ الْمَلِكِ تُدَافِعُ عَنِ نَظَامَنَا وَوَحدَتَنَا الدَّاخِلِيَّةِ، وَتُدَافِعُ عَنِ أَهْدَافَنَا وَقِيمَتَنَا، وَتُحْمِيَ هُويَّتَنَا الْذَّكُورِيَّةَ النَّاضِجَةَ.

يُكْرَمُ الرِّجَالُ الَّذِينَ يَسْتَحْقُونَ، بِوَضُعِهِمْ فِي مَنَاصِبِ السُّلْطَةِ وَالْمَسْؤُلِيَّةِ فِي مَمْلَكَتِهِ.

وَكَانَتْ لِلْمَلِكِ حَاشِيَّةٌ لَيْسَ فَقْطَ لِكَيْ يَرَاهُ النَّاسُ - بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذَا كَانَ مِهْمَّا لِيَرَى النَّاسُ تَمثِيلَهُ الْفَعْلِيُّ عَنْ طَاقَةِ نَمُوذِجِ الْمَلِكِ - بَلْ لِكَيْ يَرَى هُوَ النَّاسُ، لِكَيْ يَرَى مِنْ يَسْتَحْتَنُ وَيُبَكِّرُهُ وَيُكَافِئُهُ.

هَنَاكَ لَوْحَةُ جَدَارِيَّةٍ فَرَعُونِيَّةٍ جَمِيلَةٍ يَظْهُرُ فِيهَا أَخْنَاثُونَ فِي شُرْفَهِ الْمَلْكِيَّةِ، يَسْقُطُ عَلَيْهِ شَعَاعُ الشَّمْسِ السَّاحِرِ لِأَيْهِ آتَوْنَ (الشَّمْسِ) وَهُوَ يَرِيمِي بِخَوَاتِمِ مِنْ ذَهَبٍ لِأَفْضَلِ أَتْبَاعِهِ وَأَكْثَرِهِمْ بُنَلًا وَكَفَاءَةً وَإِخْلَاصًا، فَبِنُورِ الْحَكْمَةِ الْذَّكُورِيَّةِ، هُوَ يَعْرُفُ رِجَالَهُ وَيَعْرِفُ بَهُمْ، وَهُوَ كَرِيمٌ وَمِعْطَاءٌ تَجَاهُهُمْ، إِنَّهُ يَمْنَحُهُمْ بِرَبْكَتِهِ وَدَعْمِهِ، أَنْ «نَبَارَكُ» هُوَ حَدَثٌ عَظِيمٌ وَلِهِ تَوَابِعٌ عَظِيمَةٌ سِيكُولُوجِيَّا بِالنَّسَبَةِ إِلَيْنَا، حَتَّى أَنَّ هَنَاكَ دَرَاسَاتٌ أَظَهَرَتْ أَنَّ أَجْسَادَنَا تَتَغَيَّرُ بِالْفَعْلِ كِيمِيَّاً عِنْدَمَا نَشَعِرُ أَنَّا مُقْدَرُونَ وَعِنْدَمَا نُمَدَّحُ.

الشَّابُّ الْيَوْمِ تَنَقْصُهُمْ بِشَدَّةٍ مُبَارَكَةُ الرِّجَالِ الْأَكْبَرِ، تَنَقْصُهُمْ بِشَدَّةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ طَاقَةِ الْمَلِكِ، إِنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ أَنْ يُبَارَكُوا، أَنْ يُبَرِّأُوا وَيُنَكِّرُوا مِنْ قِبَلِ الْمَلِكِ، فَعِنْدَمَا يَحْدُثُ ذَلِكَ سَيِّدُّي إِلَى

هذه هي الطاقة بداخلك التي تمنحك القدرة على البقاء هادئاً عندما يفقد الجميع من حولك صوابه، صوت السلام وكلمة التشجيع التي تشعر بها في أوقات الصعوبات والفوضى، هذه الطاقة تمثلة في القرار الصالح الذي يؤخذ بعد تفكير منطقى واضح، القرار الذى ينظم الفوضى في العائلة أو العمل أو المجتمع أو حتى العالم، إنها الطاقة التي تسعى للاستقرار والسلام، والغذاء والنمو لجميع الناس، وليس فقط للناس بل للبيئة والعالم الطبيعي، فالملك الصالح يرعى كل المملكة بما فيها من موارد طبيعية وبشر.

هذه هي الطاقة التي تمثل ميثولوجياً في «راعي الشعب»، هذا هو الصوت الذي يُنادي بهدوء بحقوق الإنسان لجميع البشر، هذه هي الطاقة التي تُعاقب من يستحق وتحمّل من يستحق، إنه صوت المركز، صوت جبل «أول الزمان» المركزي داخل كل رجل.

* الجانب المُظلم للملك: الطاغية والضعف

بالرغم من أن مُعظمنا قد اختبر بعضًا من هذه الطاقة الذكرية الناضجة في حياتنا، ربما كانت داخلنا في اللحظات التي شعرنا فيها أنها هادئون ومتقدرون ومتكمالون بدرجة عالية، أو ربما

الملك الصالح ينظر للعالم بنظرة صارمة لكنها طيبة، يرى ضعف الآخرين كما يرى مواهبهم وحسنتهم، كما يدعم ويُكرم الآخرين، يُرشد ويُعنى الضائع والمحتاج ويدفعهم لتطوير أنفسهم، طاقة الملك لا تتضمن الغيرة، فالملك الصالح واثق من قدراته ومكانته، ويدعم ويشجع الإبداع والإنتاج في الآخرين.

طاقة الملك عندما تظهر كمحارب، فهي تُعبر عن القوة الشرسة عندما يتطلب الأمر ذلك، عندما يتم تهديد النظام والأمان، وهذه الطاقة لديها أيضًا قوة السلطة الداخلية الخاصة بالساحر، والحب والطف الخاص بالمحب.

هذه هي الطاقة التي تظهر في الرجل عندما يتخذ الأفعال المادية والسيكولوجية المطلوبة لضمان الرخاء والراحة لزوجته وأطفاله، هذه هي الطاقة التي تشجع الزوجة أن تعود للتعليم لتحقيق حلمها القديم، هذه هي الطاقة التي تُعبر عن نفسها في الأب الذي يستقطع من وقت عمله ليحضر تدريب البيانو الخاص بابنه أو ابنته، هذه هي الطاقة التي تعمل من خلال المدير الجيد عندما يُنظم العمل لموظفيه المتمردين دون معاقبتهم أو فصلهم.

الطاغي يكره أي حياة جديدة ويحقد عليها؛ لأنه يشعر أن هذه الحياة هي خطر على قبضته الضعيفة على المملكة، فالطاغية ليس المركز ولا يشعر بالأمن ولا الهدوء أبداً، وهو ليس خلائقاً، إنما هدام فقط، فإن كان واثقاً في قدرته وسلامه ونظامه الداخلي، كان سيتعامل بترحيب وكرم لولادة حياة جديدة داخل مملكته، لو كان هيرودس ملكاً صالحًا يتحلى بهذه الأشياء؛ لأدرك أن الوقت قد حان ليترك منصبه ليتجسد النموذج - نموذج الملك - في الملك الجديد، يسوع المسيح.

الطغاة البشر ستتجدهم في المناصب الملكية - سواء كانت في البيت، في مكتب العمل، في البيت الأبيض أو الكريملين - ويعتبرون أنفسهم طاقة الملك ذاتها، دون أن يفهموا أنها طاقة أبدية، وقد تعمل من خلالهم مؤقتاً فقط.

مثال آخر في تاريخ العصور القديمة نجده في الإمبراطور الروماني «كاليغولا»، فالرغم من أن الأباطرة الذين سيقوده كانت لديهم القوة والسلطة الجبارية على الشعب وعلى مجلس الشيوخ، وكانوا يتحكمون بصورة كاملة في دول البحر المتوسط، وكانوا يرفعون لمرتبة الإله بعد أن يموتون، لكن كاليغولا الأحمق قام بفعل غير مسبوق، حين أعلن نفسه إلهًا بينما كان ما زال حياً، وتفاصيل جنونه واعتدائه على الجميع

شعرنا بها من وقت لآخر من خلال أبينا، من خلال عمّ طيب أو جدّ حكيم، زميل في العمل أو مدير أو مدرس، إلا أنه يجب علينا الاعتراف بأن خبرتنا وتواصلنا مع هذه الطاقة في صورتها الكاملة النموذجية محدودة جدًا، ربما شعرنا بفتات أو نفحات منها، لكن الحقيقة المؤسفة هي أن هذه الطاقة بصورتها الإيجابية شحيحة جدًا في حياة معظم الرجال، فمعظمنا اختر ما تُسميه ظل الملك أو الجانب المُظلم للملك.

كما هو الحال في جميع النماذج، الظل أو الجانب المُظلم للملك يظهر بقطفين مُتعاكسين، القطب الموجب تُسميه الطاغية، والقطب السالب تُسميه الضعيف.

يمكن أن نرى الطاغية بصورة واضحة في القصة المسيحية عن ولادة المسيح، فبعد أن ولد المسيح الطفل مباشرة، علم الملك هيرودس بأن الطفل - الذي قيل: إنه سيأخذ عرشه - ولد يوجد في المملكة التي يحكمها، فأرسل جنوده إلى بيت لحم ليبحث عن «الملك الجديد» - الحياة الجديدة - ليقتلها، ولأن المسيح هو طفل مُقدس، ينجو في الوقت المناسب، لكن الملك الشرير يقتل كل طفل ذكر موجود في المملكة، حينما تولد «حياة جديدة» بداخلنا، هيرودس الذي بداخلنا والموجود في حياتنا الخارجية أيضًا سيُهاجم.

هجوم الأب الواقع في جانب الطاغية المُظلم قد لا يقتصر فقط على الاعتداء اللغظي أو السيكولوجي، قد يحتوي أيضًا على الاعتداء الجسدي، فالتأديب قد يتحوّل لضرب، وقد يكون هناك اعتداء جنسي أيضًا.

جاءت إلينا امرأة ذات مرة تخضع للتحليل النفسي والاستشارة؛ لأنها كانت تواجه العديد من المشاكل في علاقتها الزوجية، وصفت لنا مشكلتها أثناء جلسات العلاج بهذا الوصف الدقيق: احتلال بيتها من قبل طاقة الطاغية بصورتها الجنسية، بعد طلاقها من زوجها، تزوجت من رجل آخر وعاشرها معها ومع ابنتها الراشدة، وبيدو أن الزوج الجديد لم يعجب قط «بزوجته» الجديدة، ولا حظ فورًا جمال وضعف ابنته زوجته، فبدأ يطلب منها القيام بأعمال جنسية، كالنوم بجانبها فقط، ثم انتهى الأمر بأن يُرغّمها على ممارسة الجنس معه، وكان يهدد الأم بأنها لو منعت عنه ابنتها فسيتركهم ولن يجدوا أي ملاذ مادي، وللأسف لم تأخذ الأم أي خطوة في توقيف الاعتداء الفاحش على ابنتها، وكانت تكتفي بتنظيف الفوضى التي كانت على مرتبة السرير والملاعة من الليلة السابقة.

وساديه مُثيرة للدهشة، يمكن رؤية هذه التفاصيل وكيفية نشأة ظل الملك كطاغية في حالة كالبيغولا في كتاب «روبرت جريفز»، Claudius I، والمسلسل التلفزيوني القائم على الكتاب.

الطاغي يستغل ويهين الآخرين، إنه عديم الرحمة والشفقة عندما يسعى لنيل ما يظن أنها أهدافه، وإهانته للأخر ليس لها حدود، إنه يكره كل الجمال كل البراعة كل القوة كل الموهبة وكل طاقة الحياة، وهو يفعل ذلك بسبب - كما ذكرنا سابقاً - أنه يفتقد النظام الداخلي، إنه خائف - أو في الواقع مرعوب - من ضعفه الخفي وقلة حيلته الباطنة.

يتمثل الجانب المُظلم من الملك بصورة الطاغية عندما يشن الأب حرباً على أبنائه وبناته بشأن قوتهم، مواهيبهم وقدراتهم، إنه يخاف عذوبتهم والجديد بداخلهم، والحياة التي تقipض من خلالهم، إنه يسعى لقتلها، يفعل ذلك عن طريق الاعتداء اللغظي، والتقليل من هواياتهم واهتماماتهم، وقتل آمالهم وأحلامهم ومواهيبهم، أو بالطريقة الأخرى عن طريق تجاهل إنجازاتهم الشخصية وعدم دعمهم في خيارات آمالهم، مثلاً عن طريق إبداء عدم الاهتمام عندما يرجع الأطفال على سبيل البيثال من المدرسة ويطلعونه على عمل فني لهم أو درجة عالية في امتحان.

نظام معه، نظرياً كان المعروف في هذه العصور أن كل النساء في المملكة هن ملوك الملك، لكن هذا من المفترض أن يعني أنهم يخصصون طاقة نموذج الملك وليس الملك البشري نفسه.

لم يكتفي الملك ديفيد بذلك بل قتل زوجها أيضاً، لكنه حسن حظ المملكة، كان ديفيد له وعيٌ مُمثل في الرسول ماتان، الذي جاء إليه ولامه، وحيث أنها فقط ندم الملك ديفيد وتاب عن فعلته.

الملك الطاغية يظهر في داخلنا جمعيناً في بعض الأوقات، عندما يتم الضغط علينا فوق طاقتنا، عندما نشعر بالإجهاد لئام، أو عندما نبدأ في التضخم سيكولوجياً، لكننا يمكننا أن نراه بشكلٍ مُركّز في بعض التركيبات الشخصية، أكثرها على سبيل المثال هي ما يُطلق عليه الشخصية الترجسية، مؤلاء الناس يشعرون بالفعل أنهم مركز الكون - بالرغم من أنهم ليسوا مُتمرّكزين داخلياً - وأن الجميع موجودون فقط خدمتهم.

حتى إننا يُمكّنا أن نرى الملك الطاغية بوضوح في بعض المهن الحياتية: تُجّار المُخدّرات والقوادين وزعماء المafافيت، كل هؤلاء أمثلة، إنهم يسعون لإعلاء منصبهم ومركزهم وتحقيق ما يظنون أنه مصلحتهم الشخصية على



تصویر فنی للملک آرثر للرسام Trevor Stubbley من کتاب The Book of Merlyn للمؤلف T.H. White (۱۹۹۷)

في قصة «الملك ديفيد وباثشيا»⁽¹⁾، باشيشيا كانت زوجة رجل آخر اسمه «يوريا»، كان الملك ديفيد في أحد الأيام يتمشى على سطح القصر، وحينها رأى باثشيا وهي تستحم، وقد أثاره المنظر لدرجة أنه أرسل جنوده لإحضارها وأرغمهها أن

(١) املك ديفيد المقصود هنا هو النبي «داود»، والذي يتم تحويل اسمه في الانجليزية إلى دايفيد أو ديفيد، والقصة مذكورة في سفر التكوين، وفقاً للعقيدة اليهودية واليسوعية، وتختلفم في ذلك العقيدة الإسلامية التي تزعم الآئمة عن مثل هذه السلوكيات.

وجود هذا الجانب السلبي - أي جانب «الضعيف» في الطاغية - يفسر هذه الرغبة الدائمة للطاغية أن يُحبَّ وأن يُعبد: «أحبوني، اعبدوني، انظرواكم أنا عظيم وهم!» هذه الظاهرة التي نراها في الكثير من أصدقائنا ومُديرينا.

إنه يفسر أيضاً هجوم الطاغي على المستضعفين، فهو لاءٌ لهم الذين يُسقط عليهم الملك ضعفه الخفي الداخلي.

اللواء «باتون» - بالرغم من محاسنه - لديه خوف خفي من ضعفه وجُنْبِه الشخصي، يظهر هذا في الفيلم *Patton* عندما يزور إحدى المستشفيات الميدانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وهو ينتقل من سرير لآخر لطمئن على الجرحى والمُصابين ويُكرِّمهم بميداليات ونياشين، وهذا ما يفعله الملك المُتكامل الصالح عادةً، ثم يصادف في أحد الأسرة رجل يُعاني من اضطراب نفسي بسبب الحرب، فيسأله ما هي مشكلته، فيقول له الجندي: إنه مُصاب بـ«نهاية عصبي»، وبידلاً من أن يتعامل باتون بعطف وشفقة تجاهه كما يفعل الملك الذي يعلم مقدار الألم والضغط الذي يواجه رجاله، يثور غضب باتون ويصفع الجندي على وجهه، وينعته بالجبان و«هبيه»، ثم يأمر بإرساله من المستشفى إلى خط الهجوم الأول في المعارك.

حساب الآخرين، لكننا قد نرى الملك الطاغية في وظائف اجتماعية اعتيادية أيضاً، على سبيل المثال: إن كان لديك مُقابلة، فيجب على من يقوم بها أن يجعل الحوار يدور حول خبراتك وتدرك وطموحاتك لنفسك وللشركة، لكن عوضاً عن ذلك هو يُمضي المُقابلة في الحديث عن نفسه وإنجازاته وسلطته وعن مُرتبه وقواعده، ولا يسألك عن نفسك.

الكثير من الناس ليسوا مهتمين بالشركات التي يعملون فيها، العديد منهم يعتبرها وظيفة لكسب المال فقط، وهنا نجد المُديرين الذين يهمهم التقدم في السلم الوظيفي الشخصي الخاص بهم أكثر بكثير مما يهمهم خدمة المجتمع والعمل على مصلحة «المملكة»، وليس لديهم تفانٍ أو إخلاص للعمل أو الشركة، لكن لأنفسهم فقط.

الرجل الممسوس من روح الطاغية حساسٌ جدًا للنقد، عندما يُقابل أنفه التهديدات سيشعر بالضعف والخوف، لكنه لن يُظهر هذه، ما ستره - إلا إن كنت تعلم ما تبحث عنه في الإشارات - هو الغضب، لكن تحت هذا الغضب هناك الكثير من قلة القيمة والضعف والتوجس المخيف.

خلف الطاغية هناك القطب المُظلم لجانب الملك، الضعيف، والضعيف إن لم يربط نفسه بطاقة الملك؛ سيشعر أنه لا قيمة له.

قائد هذه المجموعة المتمردة كان يُدعى أن الله يأتيه كل ليلة وبحدوثه في منامه، وأن الله أخبره في حلم ذات مرة أن الكاهن أُريد قتله بسبب تمرده، كانت البارانويا تكبر وتعاظم في مُدبر هذا الانقلاب، فبدأ بمضايقة الكاهن ليلاً ونهاراً عن طريق رسائل الكُرْه والعدائية التي تتضمن تهديدات واضحة، صُحب وضجة أثناء الخدمة والقداس، ومُحادثات في تجمعات الكنيسة عن مدى سوء الكاهن ومدى فشله في وظيفته، ولأن الكاهن لم يكن على صلة جيدة بروح نموذج الملك بداخله، أزلق تدريجياً تحت سيطرة الطاغي الضعيف، وأصبح أكثر استبداداً وقسوة وديكتاتورية في إدارة شؤون الكنيسة، يعطي نفسه المزيد من الصالحيات، وبدأ في استخدام أساليب «خببية» لطرد المُتمردين خارج الكنيسة، ولكن في نفس الوقت، لازمته كوايس شنيعة كل ليلة، كانت تكشف تلك الكوايس مخاوفه وضعفه الخفي.

كانت البارانويا تنتشر في الجهتين، وكلا الكاهن وقائد التمرد كانوا في عالم مُظلم من الفوضى والقلق، عالم بعيد تماماً عن التعاليم الروحانية التي كان يُعلّمها الكاهن لرعايته، إنه انتصار جديد للملك المُظلم.

يمكنا أن نرى بوضوح علاقة الطاغي بنسخته الصبيانية «الطاغي على الكرسي العالي»، فكلا الجانين المُظلمين

بالرغم من أن باتون لا يعي ذلك، فما رأه هو جانبه الضعيف الخفي مُسقط على شخص آخر، وكأنه رأى لمحه من «الضعيف» بداخله.

الرجل الواقع تحت سيطرة الضعيف يفتقد للهدوء والثقة والاطمئنان بداخله؛ مما يقوده للبارانويا (الذعر الدائم).

الرجل الواقع تحت سيطرة الظل ثنائي القُطب للملك، لديه بالفعل الكثير ليخاف منه ويقلق؛ لأن سلوكياته الاستبدادية التي غالباً ما تتضمن القسوة والوحشية تجاه الآخرين، تُحفز اتخاذ موقف مُماثل من الآخر، فهذا الأسلوب الداعي للعدائي بداعي «القضاء على الآخر قبل أن يقضى عليك» هو نتاج البارانويا، وهو أسلوب مُدمِّر للسلام الداخلي والهدوء والنظام النفسي، ويدفع الشخص لتدمير نفسه وتدمير غيره، ويدفع الآخرين إلى الانتقام حتى إن لم يكونوا مضطرين لهذا الشر مُسبقاً.

أحد الكهنة خضع للتحليل النفسي ذات مرة بعد أن نشأت أزمة في كنيسته، فقد تشكلت مجموعة من المنشقين عن الهيكل الكنيسي وقرروا - بداعي حقدتهم - التخلص من هذا الكاهن وتدميره.

الطريقة الأخرى التي يتشكل بها الملك المُظلم تحدث عندما يعتدي الآبوان على الطفل الصغير، ويهاجمان عظمته من البداية، حينها تنشرط ع祌ة الطفل المُقدس الطاغي على الكرسي العالى وتسكن في اللاوعي للاحتفاظ بها في أمان، وحينها قد يقع الصبي تحت قوة «الأمير الضعيف»، ثم عندما يُصبح الصبي بالغاً ويعمل تحت طائلة «الضعف»، وفي ظل الضغط الهائل للحياة، قد تنفجر عظمته المكبوتة ظاهرة إلى السطح، فتظهر بصورة بدائية وعشوائية غير مُنظمة تماماً، تنفجر انفجاراً هائلاً، هذه هي حالة الرجل الذي كان يبدو هادئاً ومسالماً، لكنه عندما يترقى أو يحصل على منصب أعلى يتحول لشخص آخر كأنه هتلر صغير، هذا هو الشخص الذي ينطبق عليه تماماً مقولته: «السلطة تفسد، والسلطة المُطلقة مفسدة مطلقة».

التواصل مع الملك في صورته الإيجابية:

أول خطوة في التواصل الإيجابي مع طاقة الملك هي أن نفصل الأنماط التي خاصتنا عن هذا النموذج.

يعملان بطريقة طفولية، الشعور بالعظمة طبيعى - لحد ما - في حالة الطفل المُقدس، فمن المقبول للطفل المُقدس أن يشعر بهذه العظمة والرغبة في أن يُحبَّ من الجميع وحتى الملوك. ما يجب على الآبدين فعله - وهذا صعب التنفيذ جداً - هو أن يقدموا للطفل المُقدس داخل طفلهم فقط المقدار الصحيح من الحُب والاعتناء، ليتمكنوا من إزالة طفلهم من على «كرسيه العالى» بسهولة، ووضعه في العالم الحقيقى، يجب على الآبدين أن يساعدوا طفلهم ألا يُشخص نفسه كالطفل المُقدس، وبالطبع قد يقاوم الطفل محاولة إزالته من على عرشه، لكن يجب على الآبدين أن يتبرعاً عن طريق توفير الرعاية له لكن أثناء إزالته من كرسي العظمة رويداً رويداً.

فإن عشوا الطفل جداً ولم يساعدوا شخصيته أن تتطور وتكبر خارج نطاق هذا النموذج الصبياني، فربما لن ينزل أبداً من على كرسيه العالى، ويتضخم التفسي بمساعدة وقوة الطاغي على الكرسي العالى، عندما يكبر سيظن أنه سير القىصر، وعندما نتحدى شخصاً كهذا ونقول له: «يا إلهي، من تظن نفسك؟ أتظن نفسك القىصر؟» ربما يقول: «نعم بالفعل»، هذه إحدى الطرق التي يتشكل بها الملك المُظلم - أي ظل الملك - في الرجال.

أو هرم، أما الطريقة الأخرى هي التحدث عن مدى ارتباط أنفصال الأنماط عن النموذج في شكله المُتكامل، ففي حالة الارتباط، تكون النتيجة هي تضخم الأنماط، بالإضافة إلى الثبات على مستوى طفولي من التطور، أما في حالة الانفصال التام، تكون الأنماط ممنوعة تماماً من التواصل مع النموذج، وفي هذه الحالة – في حالة الملك – تكون الأنماط مُتعطشة لطاقة الملك.

الملك المُظلم كطاغية، تكون أناته في حالة ارتباط تام بهذا النموذج المُظلم، فلا يكون لديه أي هدف أسمى من نفسه، إنه أولوية نفسه، فأنا الرجل – في هذه الحالة – لم تستطع أن تحافظ على المسافة الكافية بينها وبين نجم النموذج، فاقتربت كثيراً من الحرارة حتى امتلأت بالغازات المشتعلة، وكان الكوكب يدعّي أنه النجم، فيُضيّع المركز الحقيقي للنظام، هذه هي الحالة التي نراها في العديد من الأساطير عندما يرغب إله صغير أن يأخذ عرش الإله الأعظم، أو في حالة بعض الأديان، حالة الشيطان الذي يتمدد على الله.

المشكلة الأخرى في التواصل مع طاقة الملك كما ذكرنا، هي عندما نبتعد تماماً عن نموذج الملك الذي يعطي الحياة، في هذه الحالة نسقط في خانة ما يُسمى بـ «اضطراب الشخصية الاعتمادية»، وهي حالة تُسقط فيها طاقة الملك – التي لا تقدر

يجب علينا أن نترك ما يُسميه علماء النفس «مسافة ذهنية» بيننا وبين الملك، في صورته الإيجابية المُتكاملة وكذلك جانبه المُظلم.

العظمة الواقعية للبالغين، على عكس التضخم والكبر الطفولي، تتطلب إدراك العلاقة الصحيحة مع هذا النموذج الناضج وباقى النماذج الناضجة الأخرى، هذه العلاقة تشبه علاقة الكوكب بالنجم الذي يدور حوله، فالكوكب ليس مركز الدوران، النجم هو مركز الدوران، أما وظيفة الكوكب هي الحفاظ على المسافة الصحيحة بينه وبين النجم، فالمسافة هي التي تُحدد إن كان النجم سيساعد على وجود حياة على الكوكب أو يقضى عليها تماماً، الكوكب يستمد الحياة من نور النجم، كذلك «أنا» الرجل الناضج يجب أن تعلم أنها مجرد راعية للهدف الأسمى أو القضية، مهما كانت وظيفتها أو منصبها الحالي، يجب على الأنماط أن تعلم أنها خادمة ونافلة لطاقة الملك ليس لمصلحتها هي، بل لمصلحة المملكة – أيًا كان شكلها – وجميع من بها.

هناك طريقتان يمكننا النظر بهما إلى القطب الموجب والقطب السالب للجانب المُظلم لأي نموذج: الطريقة الأولى – كما رأينا سابقاً – هو رؤية هيكل النموذج كمثلث

ما يُعتبر حالياً مدينة New Mexico، فأثناء الغزو الأسباني لإمبراطورية الآزتك، «كورتيز» قائد الحملة ورجاله كانوا قد هربوا من مدينة «تينوشتيلان» في الليل هروباً من الهجوم الباطش الذي كان يقوم به الجيش المكسيكي على المدينة منذ ستة أيام، في فجر اليوم السابع، الرجال المُتعجبون والمرعبون المُبقون من جيش كورتيز نظروا من أعلى التل في «أوتومبا» فرأوا مجموعة كبيرة من جيش المكسيكيين قادمين باتجاههم بشراسة، بدأ أن موت الأسبان لا مفر منه، لكن في خضم المعركة، لمح كورتيز راية القائد المكسيكي من على بُعد، وأنه يعلم أن حياته وحياة جنوده على المحك، قرر كورتيز التقدم سريعاً، ونجح في اختراق جنود الأعداء، وعندما وصل أخيراً للقائد المكسيكي، قتلته كورتيز بضررية واحدة، وكانت المفاجأة أن الجيش المكسيكي - الذي كان لديه التفوق العددي - أصابه الذعر وفرّوا هرباً؛ فلحق بهم الإسبان وذبحوا العديد منهم.

هذه المُعجزة التي قلبـت الطاولة على جيش المكسيك وغيـرت مسار المعركة، سببـها أن الجنـود المكـسيـكيـن كانوا يرون قـائـدهـم كالـتـركـيز الـكـلـيـ والـوحـيد لـطاـقةـ الـمـلـكـ، وعـنـدـما قـتـلــ هذاـ القـائـدـ؛ ظـنـواـ أنـ طـاقـةـ الـمـلـكـ قدـ تـخـلــتـ عـنـهـمـ، أيـ إنـ شـعـورـهـمـ الدـفـينـ بـالـضـعـفـ وـقـلـةـ الـحـيـلـةـ صـعـدـتـ عـلـىـ السـطـحـ

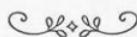
على أن تتوافق معـهاـ بـداـخلـناـ - عـلـىـ شـخـصـ آخرـ فـيـ الـخـارـجـ، فـنـزـىـ أـنـفـسـنـاـ عـاجـزـينـ وـغـيرـ قـادـرـينـ عـلـىـ الشـعـورـ بـالـأـمـانـ وـالـسـلـامـ وـالـهـدوـءـ، بـدـونـ اـهـتمـامـ وـحبـ هـذـاـ الشـخـصـ الـذـيـ نـسـقطـ عـلـىـ طـاقـةـ الـمـلـكـ.

هـذـاـ يـحـدـثـ فـيـ النـظـامـ العـالـئـيـ، عـنـدـمـاـ يـصـبـعـ الـأـزـوـاجـ خـافـقـينـ جـدـاـ مـنـ تـقـلـبـاتـ أـمـرـجـةـ الرـوـجـاتـ أـوـ الـعـكـسـ؛ فـيـتـحـاـشـونـ أـنـ يـتـخـذـواـ أـيـ قـرـارـ هـامـ خـوـفاـ مـنـ الغـضـبـ الـذـيـ قـدـيـدـ مـنـ الـأـخـرـ، هـذـاـ يـحـدـثـ أـيـضـاـ فـيـ حـالـةـ الـأـطـفـالـ، عـنـدـمـاـ لـيـؤـهـلـهـمـ الـوـالـدـانـ لـتـطـوـيرـ شـخـصـيـةـ اـسـتـقلـالـيـةـ كـافـيـةـ وـلـاـ يـمـكـنـانـ مـنـ تـكـوـينـ ذـوقـ أـوـ تـفـضـيـلـ شـخـصـيـ، وـيـقـيـ الأـطـفـالـ دـائـمـاـ تـحـتـ جـنـاحـ الـأـبـوـيـنـ. أـمـاـ فـيـ حـالـةـ الـعـمـلـ، يـحـدـثـ هـذـاـ عـنـدـمـاـ نـكـونـ مـعـتـمـدـينـ بـشـكـلـ مـفـرـطـ عـلـىـ سـلـطـةـ وـقـوـةـ الـمـدـيرـ.

وـيـحـدـثـ ذـلـكـ أـيـضـاـ عـلـىـ نـطـاقـ وـاسـعـ، عـنـدـمـاـ يـرـىـ الشـعـبـ نـفـسـهـ كـعـبـدـ وـيـسـلـمـ كـلـ طـاقـةـ الـمـلـكـ خـاصـتـهـمـ لـفـوـهـرـيرـ - أـيـ هـتـلـرـ -، هـذـهـ الـحـالـةـ مـنـ تـعـصـبـ طـاقـةـ الـمـلـكـ - الـتـيـ تـمـيـزـ جـانـبـ الـضـعـيفـ - تـشـكـلـ نـفـسـ الـخـطـورـةـ الـتـيـ تـشـكـلـهـاـ حـالـةـ إـفـراـطـ الـطـاـقةـ.

أـحـدـ الـأـمـثلـةـ عـنـ الـعـاقـبـ الـمـدـمـرـةـ لـلتـنـازـلـ عـنـ طـاقـةـ الـمـلـكـ عـلـىـ نـطـاقـ وـاسـعـ، هـيـ وـاقـعـةـ حـدـثـتـ فـيـ مـدـيـنـةـ «ـأـوـتـومـبـاـ»ـ قـرـبـ

بالأمل، سندرك أننا نشارك بفاعلية في خلق عالم أكثر عدلاً وهدوءاً وإبداعاً، سيكون لدينا مسئولية وإخلاص ليس فقط تجاه عائلتنا وأصدقائنا وشركتانا وقضاياانا وأديانتنا، بل أيضاً تجاه العالم ككل.



عندما مات قائدتهم، فاستسلموا لقوة الفوضى، لو أن هؤلاء المُحاربين كانوا يُدركون فقط أن طاقة الملك موجودة بداخلهم كلهم، لما كانت ستحتل المكسيك أبداً.

عندما نفقد التواصل مع الملك الداخلي الخاص بنا، ونُسلم قوته - وحياتها معها - إلى الآخرين، حينها يمكن التنبؤ أن هناك كارثة على النطاق الكبير ستحدث، ليس على المستوى الشخصي فقط بل على المستوى الجماعي، فهو لا «الذين يجعلهم ملوكنا قد يقودوننا لمعارك خاسرة، يستغلون عائلاتنا، ويقتلوننا بشكل جماعي»، كما حدث في الأحداث المُرعبة لألمانيا النازية، أو قد يتخلون عننا تماماً ويتزروننا لضعفنا الخفي.

لكن عندما نتواصل مع طاقة الملك بصورة صحيحة، كخدام لملوكنا الداخلي الذاتي، حينها ستظهر الطاقة في حياتنا وتُعبر عن نفسها بخصائص الملك الصالح، الملك المُتكامل؛ سيركع الجندي المُترقب بداخلنا أمام الإمبراطور الصيني بداخلنا، سنشعر أن مستوى قلقنا انخفض، سنشعر بالتمرز والهدوء، ستكون لدينا القدرة على مباركة أنفسنا والآخرين، س تكون قادرین على الاعتناء بالآخرين بصورة حقيقة وعميقة، ستقدر الآخرين ونرى إمكاناتهم ونشرع فيهم

المُحارب

نحن نعيش في زمن لا يشعر فيه الناس بالراحة تجاه طاقة المذكورية في شكل المُحارب، وهذا مُبرر لأسباب قوية وصحيحة، النساء خصيصاً يرفضن هذه الطاقة في الرجال، ويحق لهن ذلك، فقد كُنَّ أكثر ضحايا هذه الطاقة في جانبيها المُظلم.

في جميع أنحاء العالم، الحروب ومدى وحشيتها وانتشارها في هذا القرن أدت إلى أن ينظر الناس للطاقة الهمجومية بنظرة خوف وريبة، هذا الزمن في الغرب هو زمن «الذَّكر الناعم»، وهو كذلك زمن يعلو فيه صوت الراديكالية التسوية بالهجوم على طاقة المُحارب.

والملهم والجدير بالملامسة، أن هؤلاء الذين يُحاولون بحماسة التخلص من جذور الطاقة الهمجومية المذكورية، يقعون تحت سيطرة جانبيها المُظلم، إننا لا يمكننا مجرد التصويت على نفي ودحض نموذج المُحارب، فككل النماذج البدائية، يعيش نموذج المُحارب بالرغم من تعاملنا الواعي معه، وككل

«روبرت أندرى» الذى نشر كتابين مُثيرين للجدل، «The Territorial Imperative» و«African Genesis»، ادعى - بأكثر الطرق مباشرة وصراحة - أن الغائز هي التي تحكم البشر، وهي ذاتها نفس الغائز التي تحكم مشاعر وسلوكيات الحيوانات، ومنها الرغبة في القتال، كذلك وجدت العديد من الدراسات الحديثة في علم الرئيسية أن الطيف الكامل للسلوكيات البشرية يمكن رؤيتها بوضوح في الرئيسية كلها، أو على الأقل نبذات عن هذه السلوكيات.

ما هو تفسير ظاهرة الأغنياء الذين يذهبون للغاية في عطلات نهاية الأسبوع ليلعبوا ألعاب حرب، يختبئون بين الأشجار، وينظمون هجمات ضد بعضهم باستخدام بنادق الطلاء (Paintball Guns) ساعين لقتل بعضهم، وكذلك الذين يذهبون لأماكن طبيعية معزولة ليتمرنوا على النجاة ويكونوا على حافة الخطر والموت، ما هي الطاقة الخفية خلف عصابات المدينة التي تنظم الميليشيات؟ ما هو سبب شهرة أفلام مثل «رامبو» وأفلام «أرنولد شوارزنيجر»، وشهرة أفلام الحرب مثل «Apocalypse Now- Platoon - Full Metal Jacket» والعديد من

الأفلام المُماثلة الأخرى؟

النماذج المكبوتة، عندما يُكتب المُحارب يختفي تحت السطح، لكنه لا يستسلم للأبد، فسرعان ما يعود مرة أخرى للسطح، وعندئذ يظهر بعدوانية مضاعفة سواء على مستوى المشاعر أو بشكل جسدي، كبركان تحمل الضغط الهائل لقرون واستجتمع الحمم في جوفه، وحان وقت انفجاره.

إن كان المُحارب هو شكل غريزي من أحد أشكال الطاقة، فيجب الاعتراف به وإيقاؤه.

«جين جودال» عالمة الحيوانات الشهيرة التي عاشت مع قبائل الشامبانزي لسنوات عديدة في أفريقيا، أصدرت تقريراً في البداية يقول: إن هذه المجموعات محبة ومسالمة وطيبة، وذاعت شهرة هذا التقرير بشكل كبير في السبعينات، عندما كان الملاليين من الناس يُحاولون استيعاب لماذا تعتبر الحروب طريقة جذابة للبشر لحل خلافاتهم الكبيرة، ويُحاولون إيجاد طريقة أخرى أكثر سلاماً.

لكن بعد عدة سنين من تقريرها الأول، قامت السيدة جودال بنشر دلائل على وجود أشياء أعمق مما ظهرت في البداية، لقد اكتشفت حرباً وقتلاً واستغلالاً للأطفال وخطفها وسرقة من قبل قبائل الشامبانزي «المُسالمة».

إناث أيضًا - تبقى حية وقوية؛ لأنها جزء أساسى في الهيكل السيكولوجي الذكوري، وهي بالتأكيد مُتجذرة في جيناتنا.

عندما نبحث في تقاليد المُحارب بعمق، يُمكنا رؤية ما حققه تلك التقاليد في التاريخ.

على سبيل المثال، المصريون القدماء كانوا شعباً طيباً ومسالماً لقرون عديدة، وكانوا في أمان في وادي النيل، بمعزل عن أي أعداء محتملين، فقد كان حاجز الصحراء المحيطة بمصر وحاجز البحر المتوسط في الشمال يُقيِّي الأعداء بعيداً، فتمكنَّ المصريون من بناء مجتمع وحضارة مُستقرة بشكل مُذهل، كانوا يومئذ بتناغم الكون وكل ما فيه، الكون المُنظم من «ماعت».

ثم في حوالي السنة الـ ١٨٠٠ قبل الميلاد، تم احتلال مصر من خلال دلتا النيل من قِبَل مجموعات من القبائل العدوانية إسمنون الهكسوس، وكان لدى المُحاربين الهكسوس أحسنَّة حرب وعربات حرب، وكانت في هذه الأيام أسلحة حرب فعالة ومُدمِّرة، وكان المصريون خصماً ضعيفاً؛ لأنهم لم يعتدوا هذه العدوانية والقوة الوحشية، في النهاية احتل الهكسوس مُعظم أراضي مصر وحكموها بالحديد والنار.

يمكنا أن نستنكر وندين العنف في الأفلام، لكن هذا لن يعني أن روح المُحارب حية بداخلي^(١).

كل ما علينا فعله هو إلقاء نظرة على تاريخ جنسنا البشري، التاريخ الذي حُدد بشكل كبير عن طريق الحروب، إننا نرى عادات المُحارب العظيم ومجده في مُعظم الحضارات.

في عالمنا المعاصر، قد حُددَ شكل العالم كله - جغرافياً واقتصادياً وسياسياً - عن طريق حربين عالميتين، ويبدو أن هناك حرباً ثالثة تلوح في الأفق، يبدو أن هناك مشكلة كبيرة هنا، بعض علماء النفس يرجحون أن هذا العداء البشري الذي ينتج من غضب طفولي، هو رد فعل طبيعية للطفل تجاه سماه أليس ميلر «التربية السامة»، التي تستغل الأطفال الذكور والإثنيات.

نحن نؤمن جدأً بوجهة النظر هذه، خصوصاً في ضوء انتشار ما سميته «الجانب المُظلم للمُحارب» أو ظل المُحارب، لكننا نؤمن أن المُحارب يجب ألا يرتبط بالغضب البشري، بل على العكس، وكذلك نؤمن أن هذه الطاقة التي هي ذكرورية في مُعظمها وليس كلها - فهناك أساطير وتقاليد لمُحاربات

(١) في نفس هذا السياق، يمكن التأمل أيضاً في انتشار وشعبية الألعاب الإلكترونية الخاصة بالحرب والقتال، خصيصاً في أوساط الشباب. المترجم.

في الهند، طبقة من المُحاربين تُسمى الكشاتريya Kshatriya، لمكنت من السيطرة على شبه القارة الهندية، ووضع الأساس لنشوء الهند لتكون المركز الروحي للعالم، أما في الشمال في بلاد فارس، تمكّن الملوك المُحاربون الزرادشتيون من نشر دينهم إلى الشرق الأدنى، هذا الدين الذي أثر بشكل ملحوظ على العديد من الأديان التي نشأت في هذه المنطقة.

ذلك العبرانيون في التوراة، كانوا في الأساس شعباً من المُحاربين يتبعون الملك المُحارب داود، حتى الأباطرة الرومان المُحاربون - كالإمبراطور الفيلسوف «ماركوس أوريولوس» - قاموا بعمل مماثل في أوروبا، ودعونا لا ننسى إمبراطورة، التي تمكنت مجموعة صغيرة من المُحاربين العظام بها أن يمنعوا - في السنة الـ ٥٠٠ قبل الميلاد - الغزو الفارسي لأوروبا، مُنقذين بهذه الشجاعة أسس وبراهم الديمقراطيات الأوروبيية.

في أمريكا الشمالية، الأميركيون الأصليون عاشوا وماتوا بطاقة المُحارب في حياتهم، وكانت هذه الطاقة تُرشدهم في كل صغيرة وكبيرة في أفعالهم، فكانوا يعيشون حياتهم بنبل وشجاعة، ويمقدرون هائلة على تحمل الصعاب والآلام، ودافع

في القرن السادس عشر قبل الميلاد - أي بعد حوالي ٢٠٠ سنة من الاحتلال - استجمع المصريون قوتهم وحاربوا دفاعاً عن أنفسهم وأرضهم، وظهر فراعنة من الجنوب تمكّناً من توحيد طاقة الملك الأصلية لديهم مع طاقة المُحارب المولودة حديثاً، وسار هذا الجيش العظيم شمالاً للقضاء على الهكسوس وطردتهم، ولم ينجحوا فقط في استرجاع أراضيهم وسحق الأعداء، بل امتدوا شمالاً تجاه فلسطين وأسيا وأسسوا إمبراطورية عظيمة، خلال هذه العملية، نشر المصريون حضارتهم - الفن والعلم والدين والأفكار - في أرجاء المنطقة كلها من خلال فتوحاتهم.

الملوك الفراعنة الْعُظَماء كـ«تحتمس الثالث» و«رمسيس الثاني» لم يؤمنوا ويحموا مصر فقط، بل قدموا أفضل ما في حضارتهم للعالم أجمع.

بفضل اكتشاف وتوالصل المصريين القدماء مع المُحارب بداخلهم، تم تعليمنا - نحن الحضارة الغربية وباقى العالم - مفاهيم الثورية والأخلاق، وكذلك مفاهيم ما زالت أساسية حتى اليوم كالحساب بعد الموت والجنة والجحيم.

قصة مشابهة يمكن ذكرها عن حضارتين ما بين النهرين، التي تمكنت - من خلال طاقة المُحارب أيضاً - من البعث بمعروفة مهمة للغاية لحضارات مستقبلية.

الصحيح أيضًا أن طاقة المُحارب غالباً ما تنحرف عن مسارها الإيجابي، وعندما يحدث هذا تكون النتيجة مُدمرة، لكن يظل علينا أن نسأل: لماذا هي موجودة بداخلنا؟ وما وظيفة المُحارب في تطور الحياة البشرية؟ وما ضرورة وجودها في النفس البشرية للإنسان؟ ما هي خصائص المُحارب؟ وكيف يمكن لهذه الخصائص أن تساعدنا في حياتنا الشخصية وفي عملنا؟

المُحارب في صورته المُتكاملة:

خصائص المُحارب في صورته الإيجابية المُتكاملة تمتد لأسلوب وطبيعة حياته ككل، ما سماه الساموراي «الدو»، هذه الخصائص تُشكل المسار السيكولوجي أو الروحاني للمُحارب خلال حياته.

لقد ذكرنا سابقاً الهجومية - شكل إيجابي للعدوانية - كأحد سمات المُحارب، والهجومية هي موقف حيادي يدفع للنشاط، الشحن والتحفيز، هي الدافع الذي يقودنا للهجوم والتخلّي عن الموقف الدفاعي أو السلبي تجاه مهام الحياة وصعبتها.

كان الساموراي ينصح دائمًا «بالقفر» داخل المعركة بالروح الكاملة للـ «كاي» Ki أو الطاقة الأساسية بكل ما أوتي الإنسان من عزيمة، تقاليد المُحارب الياباني كانت تقول: إن

هؤلاء المُحاربون عن شعبهم ضد بطش العدو الهائل - المُحتلين البيض - قافزين إلى المعارك بعزيمة وهم يقولون: «اليوم يوم جيد لنموت فيه!»

ربما علينا أيضًا النظر دون انحياز إلى المُحاربين العظام في هذا القرن، ومنهم الجزر الات: «باتون» و«ماكارث»، فقد كانوا استراتيجيين بدرجة عالية، ورجالاً بشجاعة عظيمة، ووهو برأفسهم لأهداف أسمى من حياتهم الشخصية، ومن ثم علينا أن نعيد النظر في التقليد الياباني العظيم للساموراي، فقد كانوا على أشد درجة من الإخلاص والانضباط، وبنى هؤلاء الرجال الأمة اليابانية وحافظوا على استمرارية ثقافتهم، وهم الآن في العصر الحديث يحتلون العالم بالعلم والتكنولوجيا.

إذن فمن الواضح أن طاقة المُحارب - أيًا كان شكلها - هي بالفعل موجودة عالميًّا في داخلنا كرجال، وفي الحضارات التي نحن جزء منها ومن بنائها، إنها عامل أساسى في قدرتنا على بناء العالم، وهي كذلك ضرورية للحفاظ على ثقافتنا ومعرفتنا ونشر القيم والإنجازات البشرية العظيمة إلى جميع أنحاء العالم.

بسبب وضوح تفكيره، يكون المُحَارِّب استراتيجيًّا ماهراً وتكتيكًا رهيبًا، يُمكِّنه تقدير وضعه وظروفه بدقة، ثم يؤقلم نفسه مع الوضع الحالي.

أحد الأمثلة على هذا هو تكتيك «حرب العصابات»، إنه تقليل قديم لكنه أصبح كثير الاستخدام منذ القرن الثامن عشر، المُتَمَرِّدون الكولونياليون استخدموه هذا الأسلوب في الحرب الثورية الأمريكية، كذلك الشيوعيون في الصين، ولاحقًا في فيتنام، تحت قيادة الاستراتيجي المُحَترِف Ho Chi Minh استخدموه هذا الأسلوب في القضاء على أعدائهم من الجيوش البطئية وحققوا نجاحًا باهراً وحديثًا، تم استخدام هذا الأسلوب من قبل المُحَارِّبين الأفغان في المُقاومة ضد الاحتلال السوفيتي.

المُحَارِّب يعرف متى يواجه أعداءه بالطرق التقليدية ومتى يحتاج لأساليب مُبتكرة، فهو يُقيِّم بدقة شديدة قوته الذاتية ومهاراته وإمكانياته، وإن وجد أن الهجوم المباشر التقليدي لن يُجدي نفعًا يقوم بالمراؤغة، ويجد نقطة الضعف في خصميه، ثم «يقفز» إلى المعركة.

هناك موقعًا واحدًا فقط يجب على الإنسان اتخاذُه تجاه معركة الحياة: الموقع الأمامي، كما كانت التقاليد تقول: إن هناك اتجاهًا واحدًا فقط: إلى الأمام.

في المشهد الافتتاحي الشهير لفيلم *Patton*، نرى الجنرال وهو بزيه الحربي الكامل، وعدة مُسدسات حول خصره، وهو يُعطي خطابًا تحفيزياً لجيشه، «باتون» يُخْبر جنوده بأنه ليس مهتماً بالمحافظة على الموقع في المعركة، فيقول: «لا أريد أن ألتقي أي رسائل تقول: إننا نحافظ على موقعنا، نحن نتقدم للأمام دومًا، فلستنا مهتمين بأي شيء سوى القضاء على العدو، سنركلهم حتى الموت ونخترقهم كما يُخترق البط».

الهجومية المُلائمة في الظروف المناسبة - الظروف التي تكون مُفيدة لتحقيق الهدف المطلوب - هي نصف المعركة.

كيف يعرف المُحَارِّب مقدار الهجومية المطلوب بحسب الظروف؟ يعرف هذا عن طريق فطنته، عن طريق التفكير الواضح والمُتزن، فالمحارب يجب أن يكون يقظاً وواعياً دائمًا، يعرف كيف يُركِّز عقله وجسده، يجب أن يكون - كما يقول الساموراي - «مُتأملاً بوعي»، إنه «صياد» في تقاليد الهندوسي، فكما يقول «دون جوان»: المُحَارِّب يعرف ما يريد، ويعرف كيف يحصل عليه.

علم أن يُذكر بسرعة البرق، وأن يبحث ويكتشف دائمًا النقاط غير المهمية في جسد ووضعية خصمه، ثم يهجم في الوقت المناسب؛ فيحرز النقاط.

أحد طلاب الجامعة الشاب صرخ ذات مرة أن أداءه الدراسي تحسّن بشكل ملحوظ بعد أن بدأ يتدرّب على المبارزة، فقد تعلم أن يلاحظ بسرعة ودقة شديدة الأجزاء المهمة في المحاضرات والفصول المعقّدة، وأن يكشف نقاط الضعف في الحجج المطروحة، ثم يتحدى هذه النقاط بحدة نظر وثقة كبيرة في النفس لم يشعر بها من قبل؛ مما جعل أساتذته ورملاءه يتخلون عن حججهم أو يهذبون أفكارهم، قد عرف ما يحتاج، وعرف كيف يحصل عليه.

تؤكّد جميع تقاليد المُحاربين أن ما يمكن المُحارب من تحقيق نقاء الذهن ووضوح التفكير هو إدراكه لموته المحتموم، المُحارب يعلم ما مدى قصر الحياة ومدى هشاشتها، الرجل الذي يُرشده المُحارب يعلم تماماً كم هي قليلة أيام حياته، وبدل أن تصيبه هذه الحقائق بالاكتئاب، يدفعه هذا الإدراك لإنتاج قدر فائض من قوة الحياة، ويجعله هذا الإدراك يعيش أيامه مفعماً بالعزيمة والطاقة.

وهنا يمكن فرق هام بين البطل والمُحارب، فالبطل - كما ذكرنا - لا يعرف حدوده وقدراته، فهو رومانسي تجاه نقاط ضعفه، المُحارب - من الناحية الأخرى - بفضل وضوح عقله وحكمة تفكيره، يمكن من التحليل الواقعية، ويقوم بتقييم قدراته وحدوده في أي ظرف.

في التوراة هناك قصة تعطي مثلاً عن هذا، فالملك داود الذي كان يحارب جيوش الملك شاؤول الأكبر قوة وعدداً، تجنب أولًا المواجهة المباشرة مع جنود شاؤول؛ مما جعل شاؤول يتبع من ملاحظته، فداود وجندوه كانوا يستخدمون تكتيكيًا يُشبه حرب العصابات، كانوا غير متمركزين في مكان معين، وسرعان وفراوغين، ثم قَيَّم الملك داود وضعه بواقعية، وهجر مملكة شاؤول وذهب لملك فلسطين، ومن هذا الموقع، كان لديه آلاف الجنود الفلسطينيين تحت أمره، ووضع نفسه في موقع السيطرة أمام شاؤول.

أحياناً مقوله: «إلى الأمام، دائمًا إلى الأمام» تعني التحلي بالحنكة، واستخدام وتغيير التكتيكات، تعني المرونة وأصطدام اللحظة المناسبة.

المُبارزة بالسيف الحديثة (الشيش) تستخدم هذه المرونة، والمُبارز لا يُدرّب جسده فقط، بل يُدرّب عقله أيضًا، فهو



أخيل البطل الأسطوري في قصة طروادة، (على اليمين)
وهو يداوي جراح زميله «باترولوس».

أحد الرسومات للفنان «سوسياس» على إماء خنزير إغريقي
من سنة ٥٠٠ قبل الميلاد.

عامل مُهم آخر يؤدي إلى التعامل بحسن في أي موقف
حياتي - بجانب الهجومية ونقاء الذهن وإدراك الموت - هو
التدريب، فطاقة المُحارب تسعى للمهارة والقوة والدقة،
وتسعى للتحكم الداخلي والخارجي: السيكولوجي

كل فعل يفعله المُحارب يراه مُهمًا وهذا جدوى، كل عمل
يقوم به كأنه الأخير، سيَافو الساموراي كانوا يتعلمون أن
يعيشوا حياتهم كأنهم أموات بالفعل، يقول دون جوان: عندما
نعيش حياتنا وكأن الموت يُراقبنا في كل لحظة، حينها سنرى
أن ليس هناك أي وقت لفعل شيء دون معنى.

لا يوجد وقت للتردد، فهذا الإحساس باحتمالية الموت
يدفع الرجل المُتواصل مع طاقة المُحارب لأن يأخذ القرار
الحادي، هذا يعني أنه دائمًا «يعيش» حياته، ولا ينسحب منها
أبدًا، إنه لا يُفكِّر أكثر من اللازم» أبدًا؛ لأن التفكير المُفرط
يقود للشك، والشك يقود للتردد، والتردد يقود لعدم الفعل،
وعدم الفعل يمكن أن يقود لخسارة المعركة، أي إن المُحارب
يتتجنب «الشك في الذات» كما نُعرفه، فأفعاله تنتج من طبيعة
بغوفية، كأنها أفعال لا إرادية بدون وعي، لكنها أفعال درَبَ
نفسه عليها من خلال العمل الدؤوب والانضباط الصارم،
وفي الحقيقة يتم تدريب جنود القوات الخاصة بهذه الطريقة،
فجندي القوات الخاصة الجيد هو من يقدر أن يأخذ القرار
المُناسب في جزء من الثانية، ثم يقوم باتخاذ الفعل الحاسم.

الانضباط يعني أن لديه صرامة في التحكم ببراعة عقله وجسده، ولديه القدرة على تحمل الألم النفسي والجسدي، المُحَارِّبُ مُسْتَعْدٌ لِيُعَانِي مِنْ أَجْلِ مَا يُرِيدُ تَحْقِيقَه.

سواء كنت صياداً - حرفيًا - جائماً لساعات في نفس الوضوعية في أوقات البرد القاسي مُنتظراً الفريسة، أو كنت مدرب تراثيلون، أو كنت طالباً في كلية الطب، أو كنت مديرًا يتحمل الهجمات الطائشة لأعضاء مجلس الإدارة، أو كنت زوجاً تحاول أن تحل الصعوبات مع زوجتك، تعلم أن الانضباط لعقلك - وربما لجسدك أيضًا - ضروري.

طاقة المُحَارِّب تمتاز أيضًا بما نسميه الالتزام بهدف «فوق الشخصي»، أي إخلاصه لشيء ما (قضية، إله، مهمة، شعب) أعظم قدرًا من نفسه ومصلحته الذاتية.

في قصص الملك آرثر الشهير، يظهر الفارس «لانسيلوت» مثلاً على هذا، فالرغم من أنه مخلص تماماً للملك آرثر و«جوينفير»، هو ملتزم بشدة بأسس الشهامة والفروسية، ومؤمن بالدور النبيل لرفع الظلم عن المظلومين، لكن بالطبع، بسبب حبه لـ «جوينفير» يحاول لانسيلوت تدمير ما يرمز لهدهه فوق الشخصي، لكنه يفعل هذا - للمفارقة - بداعي حبه، الذي

والجسدي، طاقة المُحَارِّب تسعى لتدريب الرجال ليُصبحوا «كل ما يمكن أن يُصْبِحُوه» - أي تحقيق إمكاناتهم القصوى سواء في التفكير أو الشعور أو الحديث أو الأفعال.

على عكس أفعال البطل، أفعال المُحَارِّب لا تكون مبالغة أبدًا، لا تكون درامية بدافع الدراما، المُحَارِّب لا يتصرف أبداً بدافع إثبات نفسه فقط، المُحَارِّب لا يبذل مجهدًا أكبر مما يجب عليه، ولا يتكلم كثيراً، شخصية «بول برینر» في فيلم The Magnificent Seven هي مثال عظيم عن التحكم الذاتي، فهو يتكلم قليلاً، يتحرك بقدرة جسدية هائلة، وهو فوق هذا متخصص في حرفة التكنولوجيا، وهذا جانب آخر من جوانب مهارات المُحَارِّب، برعاته في استخدام «التكنولوجيا» التي تدعمه في الوصول لهدفه، إنه يُطُور مهارته في استعمال «أسلحته» التي يستخدمها لتنفيذ قراراته الحاسمة.

قدرة المُحَارِّب في التحكم والتنظيم تبدأ من تحكمه وتنظيمه لعقله ومواقفه، فإن استقاموا يستقيم له كل شيء. الرجل الذي يتواصل مع طاقة المُحَارِّب بصورة إيجابية لديه «عقلية إيجابية» كما يُقال في التدريب على المبيعات، يعني هذا أن لديه روحًا لا تُهزم، أن لديه شجاعة فائقة، أنه لا يخاف، أنه يتتحمل مسؤولية أفعاله، وأن لديه انضباطاً ذاتياً.

لماذا؟ رحل الساموراي لأنّه كان غاضبًا أنه يُصيَّع عليه، ففي هذه اللحظة كان سيقتل المُجرم بداعٍ غضبه الشخصي وليس بداعٍ للتزامه بالثأر لمُعلمه، كان دافع القتل سينبع من آنَّه ومشاعره الشخصية، وليس من المُحارب بداخله؛ لذا ليكون مُخلصاً لطاقة المُحارب كان عليه أن يرحل ويدع المُجرم يعيش.

إذن فإن إخلاص المُحارب، وحس الواجب يدخله هما «الثأر شيء أعلى وأعظم من نفسه ومتطلباته، أما إخلاص البطل كما رأينا يكون دائمًا لنفسه؛ ليثير إعجاب نفسه وثير إعجاب الآخرين، في هذا السياق أيضًا، المُحارب يُعتبر زاهدًا» فهو يعيش حياة مُعاكسة تماماً لحياة مُعظم البشر، فهو يعيش ليس لتحقيق احتياجاته الشخصية وإرضاء رغباته المادية، لكن ليشحذ نفسه ليُصبح سلاحًا روحانيًا فعالًا، سلاحًا مدرّباً ليتحمل ما لا يمكن احتماله في خدمة الهدف فوق الشخصي. نحن نعرف قصة نشأة المسيحية والبوذية، المسيح كان عليه أن يقاوم الإغراءات التي صورها له الشيطان في البرية، وبودا كان عليه أن يتحمّل الإغراءات الثلاثة تحت شجرة البو، فقد كانوا مُحاربين روحانيين.

هو شخصي وفرق شخصي في ذات الوقت، لكنه يفقد بالفعل تواصله مع طاقة المُحارب ويفشل في أن يُصبح فارسًا نبيلاً. الالتزام بهدف فوق شخصي يكشف سمات أخرى لطاقة المُحارب، أولاً: أنه يجعل كل العلاقات الشخصية نسبية، أي يجعلها أقل أهمية من الهدف فوق الشخصي، وبالتالي فنفسية الرجل الذي يتواصل مع المُحارب بصورة صحيحة تكون مُنظمة حول التزامه بهدف المركزي فوق الشخصي، هذا الالتزام يقضى على الكثير من التفاهم البشري، فالعيش تحت نور أفكار مُتسامية وواقع روحانية مثل الله والديمocrاطية والحرية والوطنية والعدل أو أي هدف فوق شخصي عظيم آخر، يُحوّل تماماً تركيز الإنسان وأسلوب تفكيره وحياته، فتُصبح هذه التفاهمة ومضيئه الوقت والمصالح الشخصية الضيقة - التي يهتم بها في العادة مُعظم البشر - لا تعنيه.

هناك قصة قديمة عن ساموراي كان يعيش مع معلم عظيم، ثم تم قتل معلمه من قبل رجل من الأعداء، وأقسم الساموراي على الثأر لمُعلمه، بعد تتبع القاتل لسنوات طويلة، وبعد تقديم تضحيات شخصية هائلة، والمرور بصعوبات ومخاطر مُدمّرة، وجد الساموراي أخيرًا القاتل، عندما سحب الساموراي سيفه ليقتل الرجل، بقصت الرجل بسرعة على وجهه؛ فتراجع الساموراي وأغمد سيفه واستدار ورحل.

هذه الطريقة المُنفصلة في التعامل مع موقف خطر تجعل الموقف موضوعاً - تُوضع الموقف - وتسمح للتفكير بشأنه أن يسلك طريقاً أوضح وأكثر استراتيجية، فيتمكن حينها المُحارب من أن يُفكّر ويُقرّر ويتصرف بترتبط أقل بمشاعره الشخصية، فيتصرف بقوة وثقة وفاعلية عند إزالة عائقه الشخصي.

كثيراً ما نحتاج في حياتنا لأن «نأخذ خطوة للخلف» - كما يقول - تجاه موقف معين؛ لنجعل على منظور مهم أو جديد، ليتمكن من التصرف، المُحارب يحتاج المساحة لتحركك بسهولة، يحتاج للانفصال خارجياً عن عدوه، وداخلياً عن مشاعره السلبية، الملاكمون في الحلبة يفصلهم الحكم عندما يصبحون قربين جداً.

المُحارب يكون غالباً مُدمراً، لكن طاقة المُحارب الإيجابية تُدمر ما يجب تدميره فقط؛ ليتمكن شيء جديد وأكثر حياة وفائدة من الظهور، العديد من الأشياء في عالمنا تحتاج للتدمير، الفساد والطغيان والاستبداد والبيروقراطية الهرمية المُفرطة التي تؤثر على أداء الشركة، أساليب الحياة والوظائف التي لا تهب المعنى العميق والعلاقات الزوجية السامة، وباستخدام هذا التدمير، تبدأ طاقة المُحارب في عملية

ذلك في الإسلام، فالرسول محمد كان مُحارباً، وكذلك أتباعه وصحابته، فقد خاضوا العديد من الحروب لنشر الإسلام والدفاع عنه ضد الأعداء.

هذا الإخلاص التام للهدف فوق الشخصي أو الفكرة العظيمة لدرجة نُكران الذات، يقود الرجل لسمة أخرى من سمات المُحارب، فهو معزول عاطفياً طالما هو متواجد في نموذج المُحارب، هذا لا يعني أن الرجل المتصل بنموذج المُحارب في صورته المُتكاملة يكون قاسياً أو وحشياً، بل يعني أنه لا يتخد القرارات أو يقوم بتطبيقها عملياً بداعف الارتباط العاطفي لأي أحد أو لأي شيء سوى هدف العظيم، إنه - كما يقول دون جوان - «غير مُحتاج»، ويعني أن تكون غير مُحتاج هو أن تتوافق مع العالم من حولك بزهد، بانفصال عاطفي، وهذه الخاصية هي أحد أنسن نقاط الذهن أيضاً، فهو ينظر لمهامه وقراراته وأفعاله من منظور غير عاطفي.

تدريب الساموراي كان يتضمن التمرين التالي: في أي وقت تشعر فيه بالخوف أو اليأس، لا تقل لنفسك: «أنا خائف» أو «أنا يائس»، لكن قل «هناك شخص ما خائف» أو «هناك شخص ما يائس»، «والآن ماذا يمكن أن يفعله هذا الشخص حيال ذلك؟»

لكن عندما يعمل المُحارب وحده - غير مُرتبط بهذه النماذج الأخرى - تكون التبعات للرجل الذي يتواصل مع طاقة المُحارب كارثية، حتى إن كان تواصلاً إيجابياً مع المُحارب في صورته الإيجابية المُتكاملة، فكما قلنا: المُحارب في طاقته الخام يكون معزولاً عاطفياً، فإخلاصه للهدف فوق الشخصي يفصله عن أهمية علاقاته الإنسانية، يمكن رؤية هذه المشكلة في موقف المُحارب تجاه الجنس.

النساء - بالنسبة للمُحارب - لا تكمّن أهميتها في بناء علاقة قوية وحميمية معه، بل هي للسعادة، وهذه الظاهرة تفسّر انتشار المؤسسات حول المُعسكرات الحربية في الحروب، وهي أيضاً تفسّر الظاهره الشنيعة لاغتصاب النساء في الأرض المحتلة.

حتى إن كان للرجل المُحارب عائلة، فإخلاص المُحارب التام للمهام الوظيفية الأخرى يؤدي في الأغلب إلى مشاكل عائلية، قصة زوجة الجندي الوحيدة المنبوذة هي قصة نراها مراراً وتكراراً في الأفلام؛ لأنها تُعبر عن نمط حقيقي.

ويحدث نفس الشيء خارج الجيش أيضاً، في علاقات عائلات الرجال الذين تتطلب وظائفهم قدراً كبيراً من الإخلاص للهدف فوق الشخصي، وساعات طويلة من العمل

بناء جديد وحضارة جديدة وفن جديد وأساليب روحانية جديدة وعلاقات جديدة.

عندما تصل طاقة المُحارب بالطاقات الناضجة الأخرى، يسطع شيء باهر، عندما يتصل المُحارب بالملك، يُصبح خادماً وحامياً للمملكة، وتكون قراراته الحاسمة، نقاء ذهنه وانضباطه وشجاعته بالفعل خلافة وكريمة.

تداخل المُحارب مع نموذج الساحر هو ما يُمكنه من تحقيق البراعة والتحكم الهائل في قدراته ومهاراته النفسية والعقلية والجسدية، فأستاذية الساحر هي ما تُمكّن المُحارب من توجيه قوته في سبيل تحقيق أهدافه.

اختلاط المُحارب مع طاقة نموذج المُحب يَبهِ العطف والشفقة، والشعور بالتواصل مع الأشياء جميعاً، فطاقة المُحب هي ما تُعيد تواصل المُحارب مع البشر، بكل ضعفهم وهشاشتهم، فالمحب يجعل المُحارب يحتفظ بالعاطف والشفقة حتى أثناء القيام بمهامه الهجومية.

التحالف بين المُحارب والمُحب يُتّسِع تأثيرات أخرى على طاقة المُحارب، الإمبراطور ماركوس أوغيليوس كان فيلسوفاً، وينسون ترشل كان رساماً، المُحارب الفنان الياباني ميشيمَا كان شاعراً، حتى الجنرال باتون كان شاعراً.

(زوجته وأولاده مُهينة وناقدة ومُسيطرة ومُصممة لإبقاء مسافة كبيرة بينه وبين أفراد عائلته، بينما هم يحاولون دائمًا التواصل بهم بحب وحنان، التأثير المُدمر لهذه الطريقة في «التعامل» مع العائلة تُصبح في النهاية واضحة للجميع، خصوصاً للابن الأكبر، لدرجة أنه أصبح لا مجال لإنفاء حقيقة أن تصرفات «سانتيني» العدائية هي ناتج لعدم قدرته الشخصية على العطف والشعور بالمحنة الحقيقة، «سانتيني العظيم» تحت سيطرة نموذج السادي (القطب المُوجب للجانب المُظلم للمُحارب) دائمًا يستخدم سيفه العاطفي تجاه الجميع، تجاه بناته اللواطى أو دون أن يُعَاملن كبنات وليس كجنديات، تجاه ابنه الأكبر الذي يحتاج للدعم والإرشاد وليس القسوة، وحتى تجاه زوجته، هناك مشهد مُرّق يحدث في المطبخ، عندما ينفجر الجميع أخيراً، سانتيني يعتدي على زوجته بالضرب، ثم يقوم أولاده بهاجمتها.

بالرغم من أن الانفصال المشاعري في حد ذاته ليس سيئاً بالضرورة، إلا أنه يفتح الباب لشيطان القسوة، فلأن المُحارب سيف جداً في مجال العلاقات المبنية على الحب، يحتاج الرجل المُحارب أن تكون مشاعره تحت السيطرة، لكن دون كبت وإلا ستتسلل القسوة من خلاله دون أن يُلاحظ.

المُجهد والتضحيات الشخصية، الوزراء والأطباء والمحامون والتجار ورجال الأعمال وغيرهم تكون لديهم حياة شخصية وعاطفية بايضة، تشعر زوجاتهم بالوحدة والرفض وعدم الاهتمام، يشعرون أنهن يتنافسن بدون أمل مع الحب الحقيقي للرجل؛ عمله.

بالإضافة إلى أن هؤلاء الرجال - الذين يتخذون الموقف السلبي للمُحارب بشأن الجنس - غالباً ما يقيّمون علاقات مع مُمرضاتهم وسكرتيراتهم، والنساء الأخريات في مكان العمل؛ لأن هؤلاء النساء يُعَجِّبن من بعيد بالعزيمة والفاعلية الذكورية للمُحارب دون أن يروا وجهه الآخر.

* الجانب المُظلم للمُحارب: السادي والمازوخى

انعزل طاقة المُحارب عن العلاقات الإنسانية يؤدي إلى مشاكل حقيقة كمار جحنا، هذه المشاكل تُصبح مُدمرة للرجل عندما يكون عالقاً فيظل ثانٍ القطب للمُحارب (الجانب المُظلم للمُحارب)، في فيلم The Great Santini يقوّم روبرت دوفال بطبع دور مُحارب طيار يُدير شئون عائلته كأنها نموذج مُصغر للثكنة العسكرية، ف تكون معظم تصرفاته وتعليقاته تجاه

وغاياً جدًّا، فترى لدى الرجال «شهوة للقتل» - حرفة أو رمزية - عندما يكونون في معارك وحروب حقيقة، أو في طرòف حياة مُخيفة أخرى، هناك مشهد في فيلم Apocalypse Now يظهر فيه الطاقم في السفينة المدفعية الأمريكية عندما يواجهون زورقاً صينياً، فيذعنون ويقتلون كلَّ من على الزورق، وحين يهدأون يكتشفون أنَّ مَنْ قتلوا هم مجردون بجموعة من القرويين الأبراء الذاهبين للسوق، هناك أيضًا مشهد مماثل في فيلم Platoon ويظهر فيه الجنود وهم يطلقون النار على قرية فيتنامية مسكونة.

بجانب هذه القسوة والرغبة في التدمير والقتل، تظهر سمة أخرى، وهي كره الضعف والهشاشة، كره «الضعيف» الذي يُمثل في الحقيقة الجزء المازوخى المخفى وراء السادى.

ترى هذا النوع من السادية يظهر في المُعسكرات وأماكن العمل تحت ما يُسمى «الإذلال الطقسي» الذي من المفترض - كما يُدعى الساديون - أنه مُصمم ليحرِّم الأشخاص من كبريائهم ويقوي إخلاصهم لهدفهم الأسماى، غالباً ما تكون دوافع القادة المُسيئون ممثلاً في المُحارب السادي بداخلهم الذي يسعى لإهانة وإذلال رجاله.

هناك نوعان من القسوة: القسوة مع الرغبة الدموية، والقسوة بدون الرغبة الدموية، مثال على النوع الأول: هو التدريب الذي كان النازيون يستخدمونه في تدريب ضباط SS، وكان يتضمن أن يتبنّى الضباط المرشحون جراءً - كلامًا صغيرة - ويعتنون بها بجميع الطرق، يعالجونها عند المرض، يطعمونها ويلعبون معها، ثم في لحظة عشوائية يُحدّدها قائد الضباط، يؤمر هؤلاء الرجال أن يقتلوا جراهم، وأن يفعلوا ذلك بدون إيماء أي شعور أو تردد، وقد أثبتت هذا التمرين فاعليته في تكريس السادية وبرودة المشاعر الإنسانية؛ لأنَّ هؤلاء الرجال أصبحوا بالفعل آلات التدمير التي تُدير عمليات القتل في مُعسكرات الموت، فكانوا يقتلون المعتقلين الأبراء، بمنهجية وبدون أي مشاعر، كما كانوا يُذنبون الملائين من البشر بوحشية تامة، بينما يرون أنفسهم كـ«أشخاص طيبين» يقومون بخدمة لوطن والمُجتمع.

صورة عصرية للمُحارب الذي يتحول لآلٍ قتل باردة هي بالطبع شخصية «دارث فيدر» من أفلام Star Wars، وكم هو أمر مُرعب عدد الشبان الذين يرون أنفسهم فيه.

أحياناً تكون قسوة السادي انتقامية مع رغبة دموية، والروح الانتقامية لدى المُحارب تنشأ فيه عندما يكون خائفاً جدًّا

ما تميل لإحياء الجزء المازوخى العجان من الجانب المُظلم للبطل - أي القُطب السالب لظل البطل -، فالرجل الواقع تحت تأثير الظل ثانى القُطب للمُحارب لأنه غير واثق من قدراته الذكورية - القدرات النفسية وربما حتى الجنسية - لا يزال يقاوم ما يراه أنه القوة الأنثوية المُفرطة، ويُحارب كل ما يعتبره ناعمًا، ويظل على هذا الموقف حتى بعد سن الرشد، فهو لا يزال خائفاً من أن تتبلعه قوة الأنثى، مما يقوده لوحشية العاشرة.

قد لا تحتاج للبحث بعيداً لنرى الجانب المُدمر للمُحارب وهو يبعث في حياتنا، فعليها الاعتراف بوجوده في مكان العمل عندما يقوم مدير بمحاط أو التعرش أو طرد أحد موظفيه، أو يسيء معاملتهم بأي طريقة مُمكنة، يجب علينا أيضاً أن نعرف بوجود السادي في المنزل، نظراً للإحصائيات المرهونة عن عدد الرجال الذين يقومون بالعنف الأسري تجاه زوجاتهم أو أطفالهم.

بالرغم من أننا كلنا قد نقع تحت سيطرة المُحارب السادي في أوقات مُعينة، إلا أن هناك نوع شخصية مُعينة تمتاز بحبها لهذه الطاقة، وهي الشخصية الوسواسية (Compulsive personality) فالأشخاص بهذه الشخصية يكونون مُدمرين على



لوحة من عصر النهضة بعنوان
(اغتصاب بيسيفون)

للفنان Peter Paul Rubens سنة ١٦٣٦-١٦٣٨

قد يبدو الأمر غريباً في البداية، لكن وحشية المُحارب السادي مُرتبطة بشكل مُباشر بمساوئ طاقة البطل، فهناك تشابهات بين الجانب المُظلم للمُحارب والبطل، فالـمُحارب الظل - أي المُحارب الواقع في الجانب المُظلم - يحتفظ بعد البلوغ بعقد المُراهقة وعدوانية المشاعر، وكذلك يأس البطل الذي يسعى جاهداً للمُحاربة طاقة الأنثى، وهذا لأن طاقة الأنثى - من المنظور غير الناضج لنموذج البطل - هي

فهم لا يستطيعون حتى المثول لمعاييرهم الخاصة، وهذا ما يدفعهم لاستهلاك أنفسهم تماماً بدون رحمة.

إن كان عليك أن تُجبر نفسك على الاعتراف أنك لا تعتني بنفسك، لا تعتني بصحتك الجسدية والنفسية، إذن فأنت بنسبة كبيرة جداً واقع في الجانب **المُظلم للمُحارب**.

كما رجحنا سابقاً، الرجال في بعض المهن **العنيفة** يكونون أكثر عرضة للوقوع في الجانب **المُظلم لطاقة المُحارب** والصادمة تحديداً؛ من هذه المهن: المجالات العسكرية والشرطية ومناصب السلطة العُليا هي أحد الأمثلة الواضحة، لكن ما قد يكون غير واضح هو أن الثوريين والنشطاء في جميع المجالات قد يقعون في القطب السادي لظل **المُحارب** أيضاً، والمقوله القديمة: «نحن نُصبح ما نكره» تتطبق هنا تماماً، إنها حقيقة مؤسفة أن العديد من قادة الثورات - سواء كانت ثورات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو حتى وظيفية في الشركة أو في مجال تطوعي - بعد أن ينجحوا في مهامهم في إزالة الطاغية والمستبد؛ يُصبحون أنفسهم **الطاغة والمستبدين الجدد**.

كما أن مندوبي المبيعات والمُعلمين - بالإضافة إلى أعضاء المهن العديدة الأخرى التي ذكرناها - قد يكونون ضحايا

العمل، لديهم قُدرة هائلة على تحمل الألم، وغالباً ما يتمكنون من إنجاز قدر هائل من العمل.

لكن ما يُحفز طاقتهم الهائلة هو قلقهم النفسي العميق، فلديهم حس ضعيف جداً بأهميّتهم الشخصية، إنهم لا يعلمون ما ينقصهم، لا يعلمون ما يبحثون عنه ولا ما يُريدون، وبالتالي يُمضون حياتهم مهاججين لكل شيء وكل أحد، يُهاجمون في وظائفهم وفي مُهماتهم الحياتية، بل يُهاجمون أنفسهم والآخرين، وفي خلال هذه العملية يؤكلون أحياً، ويُصيّبهم الإرهاق الاحتراقي.

جميعنا نعرف هذا النوع من الناس، المُديرون الذين يبقون في المكتب بعد ساعات عديدة من انتهاء العمل وذهب الموظفين للمنزل، وعندما يذهبون للبيت أخيراً انادِرُ ما ينامون ليلاً بعمق، إنهم الوزراء والكهنة والأخصائيون الاجتماعيون والمعالجون النفسيون والأطباء والمُحامون الذين يعملون حرفيًّا نهاراً وليلًا، مُحاولين سد فجواتهم الجسدية والنفسية، عن طريق العمل للناس الآخرين، مُضيّعين بحياتهم الشخصية في سبيل «إنقاذ» حياة الآخرين، ويسبب هذا الوضع والعقلية، يُصيّبون أنفسهم والآخرين بالأذى، الآخرون الذين لا يستطيعون أنفسهم والآخرين بالأذى، الآخرون الذين لا يستطيعون المثول لمعاييرهم **المُستحيلة**.

الوظيفي، وكيف دفعت وسوسته الوظيفية الجميع بعيداً عنه، وقرر أنه يحتاج لأن يبدأ صفحه جديدة.

أي وظيفة تضع كثيّا هائلاً من الضغط على الشخص ليؤدي أفضلاً ما يمكن طوال الوقت تتركه عُرضة للوقوع في الجانب المُظلم للمُحارب، فإن كنا غير واثقين كفاية في بُنياننا الداخلي، سعتمد بشكل تام على أداتنا في العالم الخارجي ليُوفر لنا الفتقة النفسية، ولأن احتياجنا لهذه الثقة عظيم، سيسحبنا سلوكتنا نحو الوسوسة، الرجل الذي يُصبح مهووساً بالنجاح قد فشل بالفعل، إنه يحاول يائساً كبت المازوخى بداخله، لكنه بالفعل يقوم بتصرفات مازوخية ومدمرة تجاه نفسه، كأنه يعاقب نفسه.

المازوخى هو القطب السالب للجانب المُظلم للمُحارب، هذا الجزء الضعيف المُستبعد الذي يكون خلف عروض السادي العدوانية، فالرجال عادةً يخافون من الجبان بداخلهم، لكن معظمهم ليس لديهم حتى مجرد القدرة على ملاحظة المازوخى.

المازوخى يُسقط طاقة المُحارب على الآخرين، فيجعل الرجل يرى نفسه واهناً وعاجزاً، الرجل الواقع تحت تأثير جانب المازوخى يكون غير قادر على الدفاع عن نفسه سيكولوجياً، فهو يسمح لآخرين - ولنفسه - أن يدفعوه جانباً

بسهولة للووسعة العملية والإدمان الوظيفي، لكن بعد فترة - طالت أو قصرت - ينهارون، أحد بائعى السيارات خضع للتحليل النفسي بعد سنين في المهنة، وقد كان مرکزه الأول بين مندوبي المبيعات الآخرين، ليس فقط في شركته لكن في المنطقة كلها، كان يُحارب بعزمية هائلة وانضباط تام كل شهر، ليصل للقمة ويقي عليها، ثم في أحد الأيام، انهار شيء ما بداخله، كان يُحس بشعور متزايد من الإرهاق والاستنزاف، وكان يقول أحياناً: إنه مُستهلك نفسياً وجسدياً، ثم في صباح أحد الأيام، استيقظ ليجد نفسه يرتعش بشدة ومذعوراً من الذهاب للعمل، بعدها بقليل تدهور نومه فأصبح لا ينام، وبدأت تتولد لديه رغبة غامرة في البقاء في أكثر الأوقات غير المناسبة، لكنه أرغم نفسه للالستمرار لعدة أشهر إضافية، لكن أخيراً في أحد الأيام، بدأ له كل شيء في العمل - الأرض والسلف والسيارات وزملاؤه - غير حقيقي كأنه يُهلوس، اتصل الرجل بطبيبه، وأخذ نفسه للمُستشفى.

ما حدث لهذا الرجل هو أن المُحارب السادي تغلب عليه، لقد أكله حيًّا، بعد هذه الحادثة بفترة وجيزة تركته زوجته قائلةً بُمُبررات واضحة أنه كان مهملاً لها وللحالة، ثم بدأ العلاج النفسي، وفي خلال علاجه اكتشف القدرة المدمرة ذاتياً لإدمانه

التواصل مع المُحارب:

إن كنا تحت سيطرة القُطب الموجب لظل المُحارب، سُنُّبر عن طاقة المُحارب في صورته السادية، سُنستغل أنفسنا والآخرين، لكن إن كنا غير قادرين على التواصل مع طاقة المُحارب بداخلنا، تكون تحت سيطرة قُطب السالب، سُنكون ما زلنا جبناء، سُنحلّم ونتموّن بدون أن نتصرّف بشكل حاسم لتحقيق هذه الأحلام والأمنيّات، سُنفتقد العزيمة ونُنصاب بالاكتئاب، سُنفتقد القدرة على تحمل الضغط المطلوب لتحقيق أي هدف ذي قيمة، إن كنا في الجامعة، لن نقوم بإنجاز واجباتنا أو مُراجعة دروسنا، إن كنا مندوبي مبيعات وتم تعيننا في منطقة جديدة، سُنجلس مُحدقين على خريطة العمل وعلى قائمة من يجب التواصل معهم، ولن نقدر على رفع سماحة الهاتف لإجراء المُكالمات، سُنتظر إلى المُهمة المطلوبة ونكون مهزومين حتى قبل أن نبدأ، ببساطة، لن نقدر على الفوز إلى المعركة، إن كنا في مجال السياسة سنتجنب المواجهة، إن كنا في وظيفة براتب أقل مما نستحق، ونرى أن الظروف تسمح وأدأنا جيد كفاية لطلب علاوة أو ترقية، سُنمشي ببطء إلى مكتب المُدير خائفين ومُرتعشين، نقف للحظة أمام الباب، ثم نستدير للخلف ونتراجع.

وأن يُجرّجروه كيّفما شاؤوا، يسمح لهم بتخطي كل الحدود الضرورية لمُجرد الحفاظ على احترامه لنفسه، ولا داعي لذكر مدى قبوله للاستغلال السيكولوجي والجسدي.

جميعنا - مهما كان مسار حياتنا - يمكن أن نسقط تحت سيطرة الظل ثانوي القُطب للمُحارب في أي مجال في حياتنا، قد يكون الأمر أنا لا نعرف كيف نخرج من علاقة تبدو مُستحيلة، نخرج من دائرة أصدقاء مُضررين، أو نترك وظيفة باشئة، جميعنا نعرف المقوله: «اعتزل وأنت على القمة»، أو «تعلم أن تحد من خسائرك»، صاحب الشخصية الوسواسية، مهما كانت المخاطر، ومهما كانت مؤشرات الخطر واضحة، ومهما كان الهدف مُستحيلاً وغير واقعي، ومهما بدا الشخص لا يُقهر؛ يعمل بجهد أكبر غير مُبالٍ لما يحدث له على المستوى الخارجي والداخلي، ويرى الذهب يتحول لتراب في النهاية.

إن كنا تحت سيطرة المازوخى، سنتقبل كمًا هائلًا من الاستغلال لفترة طويلة جدًا من الزمن، ثم ننفجر في موجة سادية من العدوانية اللغظية أو حتى الجسدية، فهذا التأرجح بين القطب الموجب والقطب السالب لظلل النماذج المُظلمة هو أحد سمات هذه الأنظمة السلبية.

الساق

نحن غالباً ما نظن خطأً أننا مُختلفون جدًا عن أسلافنا القدامى، فنحن لدينا معرفة عظيمة وتكنولوجيا مُذهلة، لكن أصول معرفتنا وتكنولوجيتنا نابعة من عقول الأذكياء السابقين من القبائل البدائية والحضارات القديمة، فهو لاء كانوا مُتواصلين مع طاقة نموذج الساحر، وطاقة الساحر تلك هي التي تقود الآن حضارتنا الحديثة، الشamanات - مُداوون ما قبل التاريخ - والسحراء والمُمتكرون والعلماء والأطباء والمحامون والفنانون؛ جميعهم يتواصلون مع نفس نمط الطاقة، بغض النظر عن العصر الذي نعيش فيه.

«ميرلين» - في قصص الملك آرثر - بني نظاماً لا تزال تحلم به تكنولوجيتنا وسيكولوجيتنا ومُجتمعاتنا، كان هذا النظام يتضمن التحكم في الطقس، مُجتمع مُنظم تسوده المساواة، انتشار الحب والاحترام بين الناس، وإدراك أهمية وجود هدف عظيم يسعى إليه الجميع ممثلاً في الكأس المقدسة في

القصبة.^(١)

(١) تقول الأسطورة: إن الملك آرثر حصل على الكأس المقدسة التي كانت تخزن يسوع المسيح.

كما نصحتنا بشأن جميع النماذج في هذا الكتاب، يجب علينا أن نسأل أنفسنا ليس إن كنا تحت سيطرة قُطب مُظلم مُعين أو قُطبين في نظام ظليل، لكن ما هي الجوانب في حياتنا التي نحن غير قادرین فيها على التواصل بشكل صحيح مع الطاقات الذكورية الكامنة المُناتحة لنا.

إن كنا نتواصل مع المُحارب بشكل صحيح، ستكون مليئين بالطاقة شُجاعان حاسمين متينين، ومُخلصين لهدف سام أعلى من مكاسبنا الشخصية، وفي نفس الوقت، يجب علينا أن نخلق ترابطات بين طاقة المُحارب وبين النماذج الناضجة الأخرى: الملك، الساحر، والمُحب، إن كنا نتواصل مع المُحارب بشكل صحيح، سنبقى - بالرغم من انزعانا المشاعري - مُحبين دافعين داعمين ومشجعين، سنعتني بأنفسنا وبالآخرين، سنخوض معارك الخير لجعل العالم مكاناً أفضل للجميع، الحروب التي تقوم بها ستكون من أجل بناء الجديد وبناء العدل والحق.

للهonor

فأنت تبذل مجهدًا كبيرًا ووقتًا كثيرًا ومعظم مواردك المادية في سبيل أن تُلْقَنَ وتحصل على المعرفة السرية في مجال غير علوم تمامًا، وأنت تحت اختبار يقيِّم مدى كفاءتك وقدراتك لشكون خيرًا في هذا المجال، وكما هو الحال في جميع طقوس التلقين، ليس هناك أي ضمان على نجاح العملية.

الساحر هو نموذج عالمي أثر على النفسية الذكرورية على مدار التاريخ، ويُمْكِن التواصل مع هذا النموذج اليوم من قبل الرجال في العصر الحديث عن طريق عملهم وحياتهم الشخصية.

الخلفية التاريخية للساحر:

يظن بعض علماء الأنثروبولوجيا أن طاقات ذكرورة «الملك والمحارب والساخر والمُحب» كانت في الأزمنة السحيقة كيائناً واحداً، وأن رجلاً واحداً - وهو زعيم القبيلة - كان يُمثل كل هذه الطاقات وجميع ظائفها بصورة شاملة كليّة، وبما أن هذه الطاقات الأربع كانت في النفس الذكرورية ومتوازنة هناك، فقد يكون الزعيم هو الوحيد في القبيلة الذي يُعتبر «كاملاً» وشاملاً، لكن اليوم - حتى في المجتمعات القبلية البدائية التي ما زالت موجودة حتى يومنا هذا - هذه الطاقات الذكرورية

«أوي وان كانوبي»، في فيلم Star Wars، يسعى لقيادة تجدید لمجرته باستخدام مزيج من معرفته السرية بشأن «The force» وتطبيق التكنولوجيا الحديثة.

طاقات نموذج الساحر - أينما وحيثما وكيفما زراها - تكون دائمًا مُضاعفة، فالساحر هو العارف وهو خبير التكنولوجيا، كما أن الرجل الذي تُرشده طاقة الساحر يستطيع تحقيق هذه الوظائف الخاصة عن طريقة عملية التقسيمة التحضرية، إنه المرشد الحكيم الذي يرعى عملية التحول داخليًا وخارجيًا. الإنسان الساحر دائمًا يكون مُلْقَنًا، وأحد مهماته هي تلقين وإعداد الآخرين، لكن ماذا يكون تلقينه بالضبط؟

الساحر هو مُلْقَنٌ لكل أنواع المعرفة السرية والخفية، وهذه هي النقطة الهامة، إن مجال طاقة الساحر هو بالأخص المعرفة التي تحتاج لتدريبات خاصة للحصول عليها، سواء كنت تلميذًا يتدرّب ليُصبح كهربائيًا يحل غموض الفولت العالي، أو كنت طالب طب، يدرس ليلاً نهارًا محاولاً اكتشاف خبايا وأسرار الجسد البشري لتساعد مرضاك، أو كنت مُصارب بورصة مبتدئًا، أو مُتدربًا في إحدى كليات التحليل النفسي، أنت تكون في نفس الموقف بالضبط الذي كان فيه الشaman المُبتدئ أو الطبيب المُداوي في مجتمعات القبائل البدائية،

ولديه القدرة على رؤية الأنماط في الطبيعة وفي البشر وفي المجتمعات وحتى في عالم الأرواح - أي العالم العميق اللاوعي - يكون بارعاً في احتواء وتوجيه الطاقة.

السحرة على ضفاف نهر دجلة ونهر الفرات، وعلى ضفاف نهر النيل في مصر، هم من أسسوا الحضارة كما نعرفها اليوم، فهم من اخترعوا أسرار اللغة المكتوبة، من اكتشفوا الحساب والهندسة وعلم الفلك والقانون، كان لدى ملوك المصريين القدماء ما سُمي «بالسحر» يعملون كُمستشارين لجميع الشئون، فهناك الساحر المصري الأسطوري أمحوتب - ٢٨٠٠ قبل الميلاد - تُنسب إليه عدة اكتشافات مهمة في الطب والهندسة وفي علوم أخرى، وعلى الأرجح هو من صمم وبنى الهرم الأول، الهرم المدرج الذي يُطلق عليه هرم زoser، لقد كان أمحوتب أيسنتين عصره.

أحد جوانب نموذج الساحر هي المعرفة، قدرته على رؤية الأعماق والأنمط الخفية ليس في الطبيعة، بل في البشر أيضاً، وهذا ما يعطيه القدرة على «تفريغ اتفاخ» المغرورين، خصوصاً الملوك والحكام، وأي مسئول رسمي مهم.

نموذج الساحر داخل الرجل هو «كافش الكذب» الخاص به، فهو فطن يعرف الإنكار والتلاعيب عندما يراهم في الناس

تكون بالفعل منفصلة نوعاً ما، فهناك الملك أو الزعيم وهناك المحاربون وهناك الساحر (الشaman والرجل المقدس والطيب المشعوذ).

إذاً كان اسم الساحر، يكون اختصاصه أن يعرف شيئاً لا يعرفه الآخرون، فهو يعرف - مثلاً - أسرار تحرك النجوم في السماء، مراحل تغير القمر، التأرجح القطبى للشمس، يعرف متى يجب الزراعة ومتى يجب الحصاد، أو متى ستأتي القحطان المهاجرة في الربيع القادم، يُمكنه توقيع الطقس، لديه معرفة بالنباتات الطبية والسامية، هو يعرف خبايا النفس البشرية ويستطيع التلاعب بالأخرين، سواء للخير أو للشر، يدرك الوصلات بين العالم الخفي للأرواح وبين العالم البشري والطبيعي، هو الشخص الذي يذهب إليه الناس بأسئلتهم ومشاكلهم وأوجاعهم وأمراضهم الجسدية والنفسية، إنه القس والكافر والحاكم، هو الشخص الذي يستطيع التفكير في أمور ليست واضحة للأخرين، إنه يستطيع أن يرى ما لا يمكن للأخرين رؤيته، هو العراف الذي لا يتباًأ بالمستقبل فقط، بل يرى عميقاً جداً.

هذه المعرفة السرية - بالطبع - تعطي الساحر قدرًا عظيمًا من القوة، ولأن لديه المعرفة بدیناميكيات الطاقة ومساراتها،

لُقْبًا. كتاب ديفيد وندم عن فعلته، وأصبح بالفعل في المستقبل أقل

ـ «ميرلين» - الساحر الخاص بالملك آرثر - قام بدور مُماثل، فقد كان يُساعد الملك آرثر في التفكير في الأمور بتأنّ، بل وكان أحياناً يُنفث تضخم غرور آرثر.

في العصور القديمة، ظهرت حركة جديدة من رحم الأديان الغامضة الإغريقية، كانت الحركة تُسمى الغنوصية، «جنسيس» Gnosis، كانت الكلمة إغريقية تعني «المعرفة» على صعيد روحي أو سيكولوجي عميق، وكانت حركة الغنوصيين أساسها بناء معرفة قوية بخبايا النفس البشرية وأنماط الكون السريّة، وكانت مثل محللين نفسيين، فكانوا يعلمون صغارهم كيفية اكتشاف الدوافع والرغبات اللاواعية لديهم، وكيف يُنبرون الطريق الداخلي المُعتم بالأوهام، وكيف يُمكّنهم - في النهاية - الوصول للوحدة مع المركز بداخلهم، هذه الحركة الغنوصية، التي كانت تُركّز على معرفة الذات، لم تكن ذات شعبية كبيرة خصوصاً مع بدايات المسيحية، فتمت محاربتها والقضاء عليها من قبل الكنيسة الكاثوليكية آنذاك.

فالحصول على المعرفة الحقيقة من أي نوع - وخاصة المعرفة الخفية للنفس البشرية - هو عمل صعب ومرهق وشاق ومعظمنا لا يُريد القيام به.

وفي النفس، هو يرى الشر كما هو وأين هو حتى عندما يتذكر بلباس الخير، في الأزمنة القديمة، عندما كان الملك يُسيطر عليه غضبه ويريد أن يُعاقب قرية ما رفضت دفع الضرائب، كان الساحر - بحكمته الموزونة أو بطعنات منطقه - يُنهي الملك بصعوبة مزاجه ويُوقظ الجانب الخبيث فيه، أي إن ساحر البلاط الملكي بالفعل كان يقوم بدور المعالج النفسي للملك.

في قصة الملك ديفيد،^(١) كان «ناثان» - الساحر الخاص بالملك - يقوم بالكثير من المعالجة النفسية له في الكثير من المواقف، لكنه قام بذلك خصيصاً في واقعة «باشيشيا» التي أشرنا إليها سابقاً، بعد أن قام ديفيد ب فعلته مع باشيشيا وقتل زوجها، أتى ناثان إلى حجرة الملك بهدوء ووقف أمامه، ثم ألقى ناثان قصة للملك، قال: إنه كان هناك رجالان في مدينة معينة، أحدهما غني وأحدهما فقير، الفقير لم يكن لديه سوى خروف صغير، والغني كان لديه العديد من الخراف، في أحد الأيام، أتى مسافر لزيارة الرجل الغني، فكان الغني مُجبراً على أن يُعذّل له وليمة فارهة، وبدلًا من أن يذبح الرجل أحد خرافه، ذهب للرجل الفقير وأخذ خروفه الصغير وذبحه وجعل الوليمة منه، فقال الملك ديفيد غاضباً: أليّاً كان من فعل هذه الفعلة يستحق أن يموت، فرد ناثان: «أنت هو ذاك الرجل»،

(١) المقصود في القصة هو النبي داود كما أشرنا من قبل.

نحن نؤمن أن عصرنا هذا هو عصر سيادة الساحر؛ لأنَّه عصر التكنولوجيا، هو عصر الساحر على الأقل على مستوى الجانب المادي، في السعي إلى فهم الطبيعة والسيطرة عليها، والسيطرة المقصودة تكون من الجانب غير المادي؛ السيكولوجي أو الروحاني، وعن طريق العملية الطقسية التقليدية.

ويبدو اليوم أن طاقة الساحر ضعيفة، قد ذكرنا سابقاً غياب المرشد الحكيم الذي يُمكِّنه تجهيز الشبان ومساعدتهم للوصول لمستوى أعمق من النضج الذكوري.

فالرغم من وجود المدارس والجامعات التقنية والنقابات المهنية والجمعيات الوظيفية والمؤسسات العملية الأخرى التي تقدم العملية الطقسية لمن يُريدون أن يصبحوا خبراء، إلا أن طاقة المُحارب تظل ضعيفة للغاية في مجال التمو والتتحول الشخصي والنفسي والروحاني، عصرنا هو عصر الفوضى في الهوية الشخصية والجنسية والجذرية، والفوضى هي دائمًا نتيجة غياب التواصل الصحيح من الساحر في جانب أساسي من جوانب الحياة.

فقط مجالان علميان - الفيزياء المجهرية وعلم النفس العميق - ما زالا يقومان بعمل السحرة القدامى في صورة كلية تسعى لتوحيد الجانب المادي والجانب السيكولوجي لطاقة

لكن بالرغم من اضطهاد ومحاربة طبقة السحرة في هذه الفترة، لم يُمكِّن بالطبع نفي نموذج الساحر تماماً، فلا يمكن نفي نموذج من هذه النماذج الغريرية الأساسية في نفسية الإنسان، فهذا التقليد للحصول على المعرفة السرية ظهر مُجدداً في العصور الوسطى في أوروبا تحت مسمى «الخيمياء»، عُظمتنا يعرف أن الخيمياء كانت تحاول على مستوى معين تحويل مواد عاديَّة للذهب، وقد فشلت على هذا المستوى فشلاً ذريعاً بالطبع، لكن ما لا يُدركه عظمتنا هو أن الخيمياء كانت أيضًا أسلوبًا روحانيًا لمساعدة الخيميائين أنفسهم، مساعدتهم في تحقيق الفطنة والحكمة والوعي الذاتي والتحول الشخصي إلى مستوى أعلى من النضوج الشخصي والنفسي والروحاني.

وبصورة ما، قامت الخيمياء بولادة العلوم الحديثة، فساهمت في ولادة علوم كالكيمياء والفيزياء، ومن المثير للاهتمام أن علومنا الحديثة مُقسمة إلى جانبين أساسيين - تماماً مثل العلوم القديمة للسحرة -؛ أول جانب هو «العلوم النظرية» والتي هي جانب المعرفة لطاقة نموذج الساحر، وثاني جانب هو «العلوم التطبيقية»، والتي هي الجانب التقني من نموذج الساحر، المعرفة التطبيقية عن كيفية احتواء وتوجيه الطاقة.

النمطية وردود أفعالنا وشخصيتنا الظاهرة، رأى يونج - من وجهة نظره - أن هذا اللاوعي الجماعي يشبه كثيراً مجالات الطاقة غير المرئية في الفيزياء المجهريّة، كما رأى أن الاثنين يُشَهِّبان كثيراً ما سماه الغنوسيون: «الملا الأعلى».

الاستنتاج الذي توصلت إليه الفيزياء الحديثة وعلم عمق النفس هو أن حقيقة الأشياء ليست كما تبدو ظاهرياً، فما نختبره كواقع طبيعي - عن أنفسنا وعن العالم - هو في الحقيقة مجرد بلذة عن الواقع الحقيقي المُهم الخفي، معرفة هذه العالم الخفيّة هي مهارة نموذج الساحر، فمن خلال طاقة الساحر نستطيع أن نستوعب حياتنا على مستوى أعمق وأكثر شمولًا مما كان يحمل به العالم في الألف سنة الماضية.

هناك مؤشرات تقول: إن كارل يونج كان يرى نفسه ساحراً، بعض أقدم أتباعه وتلامذته قالوا: إنه كان يُخبرهم بأسرار لا يستطيعون أن يبيّنوها سوى لأولئك الذين على أعلى درجة من الوعي الذاتي وأعمق مستوى من المعرفة السينکولوجية.

وهذا ليس خُزّعّلات ودجلًا، فكل محلل نفسي يعرف جيداً أن عليه الحذر بشأن ما يوح به لمرعيضه ومتنبيوح به، فقوّة طاقات اللاوعي شديدة القوّة، لدرجة أنها إن لم تكون خاضعة للسيطرة؛ مُحتواة وموّجهة في المسار الصحيح،

الساحر، فكل من هذه العلوم يسعى لمعرفة الطاقات الخفية التي كان الخيميائيون القدامى يسعون لدراستها.

في الفيزياء المجهريّة يكون العالم غير المرئي مُختلفاً تماماً عن العالم الطبيعي الذي نختبره، فالواقع يُصبح غريباً جدّاً، الجُزئيات والمواجات بالرغم من اختلافها الجذري في الخواص والسلوك في العالم الكبير، في العالم المجهري - عالم الفيزياء الكمية - يبدون كأنهم شيء واحد، والمادة تفقد صلابتها وتبدو كأنها مجرّد تجمعات مُركزة من الطاقة.

وكذلك هو الحال في مجال علم النفس العميقه (علم عمق النفس)، فكارل يونج عندما كان يعمل على أول خرائط اللاوعي، كان مذهولاً من التشابهات الواضحة بين ما كان يعمل عليه من أنماط الطاقة السينکولوجية والنماذج البدائية، وبين الفيزياء الكمية في أعمال «ماكس بلانك» وأخرين.

أثناء محاولته اكتشاف اللاوعي، أدرك كارل يونج أنه اكتشف بالصدفة عالماً شاسعاً كان يتم تجاهله من الناس العصريين، عالماً من الصور الحية والرموز التي تترکز وتحتفظ تماماً بطاقة الموجات التي تصنع عالمنا، هذا الواقع المكون من الصور والنماذج - مخفياً في أعماق اللاوعي الجماعي - بدأ كأنه يُشكّل أحجار الأساس لأفكارنا ومشاعرنا، لعاداتنا

التابوت، كأنه يدوس على زر التشغيل، لكنه من الواضح أنه ليس ساحراً، فبعد أن يُشغل التابوت لا يستطيع التحكم في القوى التي أطلقها، لا يستطيع إيجاد زر التوقف، وبغياب الساحر ومعرفته وقدرته، يُفتت الجيش النازي.

مشهد مماثل يظهر في فيلم الكرتون *Fantasia*، Walt Disney، الذي يكون تلميذ المشعوذ، تُسند إليه مهمة «ميكي ماوس»، الذي يكون تلميذ المشعوذ، ويُطلب منه تنظيف غرفة عمل معلم المشعوذ (الساحر)، وبدل أن يقوم بالعمل بالطريقة التقليدية، يقرر ميكي ماوس أن يستخدم السحر، فيسرح الممسحة والدلو ليجعلهما يعملان من تلقاء أنفسهم، وتسير الأمور على ما يرام في البداية، لكن بعدها تخرج القوة التي أطلقها عن السيطرة، فهو لا يزال مُتدرباً، ولا يعلم كيف يحتوي الطاقة التي أبدعها، فتبداً الممسحة والدلو في التضاعف، ويزيد عددهم حتى يُصبح المشهد فوضوياً، بينما لا يستطيع ميكي إيجاد الكلمات المناسبة لتوقيف هذه الطاقة الجبارية، وتبدأ الدلاء والممساج في سكب الماء في الغرفة، حتى تمتلىء الغرفة بالماء ويكون ميكي على وشك الغرق في موجة مُتعالية، ولو لا رجوع المعلم في الوقت المناسب لما كان ميكي سينجو.

إن لم يتم التواصل معها فقط في الوقت الصحيح وبالجرعة الصحيحة، يمكنها أن تُفجر الأنماط الشخصية - الشخصية الواقعية - إلى أشلاء، فالقدر الهائل من الطاقة بدون محولات كافية وعازلات لاحتواها قد يؤدي إلى زيادة الحمل على أي دائرة للمريض وتدميره، البوح بالمعرفة الخفية يجب أن يكون محسوباً ودقيقاً؛ لأن هناك أساساً واضحة قوية يجعلها خفية أساساً في المقام الأول.

في كل العمليات الطقسية والتلقينية وكل عمليات المعرفة العميقية وتوجيه الطاقات بشتى أنواعها، يظهر موضوع المكان المقدس، المكان المقدس هو الحاوية التي تحتوي الطاقة الخام، التي تعزل وتوجه الطاقة داخلها، إنه درع المُفَاعِل في محطات الطاقة النووية، إنه الحرم في أي معبد، إنها التراتيل والأدعية في الصلوات الأساسية، التي توجه إلى الله وتحمي المؤمنين وتبَارِكَهم.

في فيلم Raiders of the Lost Ark نرى «إنديانا جونز» يُسابق النازيين لإيجاد التابوت السحري واستخدام القوة الهائلة لهذه «التكنولوجيا» القديمة، فيصل إلى النازيون أولاً، وهنا نرى مشهدًا رائعاً يظهر فيه القائد النازي وهو يرتدي اللباس الطقسي المناسب، ويردد التعاوين اللازم لتنشيط قوة

الساحر، يُصبحون غير قادرين على احتواء هذه الطاقة، فيُصبح الحشد عدائياً وقد يثورون في مكان الحفلة أو حتى يتوجلون في الشارع بغضب مُشتعل في موجة تدمير جماعية.

الساحر في صورته المتكاملة:

ماذا يعني كل هذا لنا كرجال نسعى إلى تحقيق المساعدة في حياتنا الشخصية وإلى إثراء حياة من نحب؟ ماذا يعني هذا لقضايا وشعوبنا ودولنا وللعالم؟ ما هي الوظائف التي تقوم بها طاقة الساحر الذكورية الناضجة في حياتنا اليومية؟

طاقة نموذج الساحر هي طاقة نموذج الوعي وال بصيرة، وهي أيضاً طاقة المعرفة لأي شيء غير واضح أو بديهي تماماً، طاقة الساحر في النفس البشرية هي النموذج الذي يحكم ما يسمى في علم النفس Ego أي الأنـا الرقـيبة.

أحياناً يفترض - في علم عمق النفس - أن لأنـا أهمية ثانوية بالنسبة للوعي، لكن في الواقع وجود الأنـا أساسـي لنـجـاتـنا، وتصـبح ضـارة فـقط في حالة انتـفاـخـها أو السيـطـرة عـلـيـها من قـبـلـ نـموـذـج أو عـقـدةـ ما، فـدورـ الأنـاـ الصـحـيحـ هوـ أنـ تـجـلـسـ وـتـرـاقـبـ

مع التقدم العلمي والتكنولوجي السريع، نكتشف مراياً وتكراراً أن قدرتنا على الاحتواء والسيطرة ليست كافية، والكارثة التي حدثت في «شيرنوبيل» - انفجار المفاعل النووي - هو أحد أقوى الأمثلة وأكثرها مأساوية.

نفس الشيء يحدث أيضاً في التحليل النفسي، فأحياناً عندما لا يكون المحلـلـ على مـعـرـفةـ وـخـبـرـةـ كـافـيـةـ - أيـ إنـ يـعـتـبـرـ مـتـدـربـاـ - يـطـلـقـ بـدونـ قـصـدـ قـوـيـ عـظـيمـ دـاخـلـ الشـخـصـ الـذـيـ يـحـلـ،ـ قـوـيـ لـأـيـ مـمـهـماـ أـنـ يـحـتـويـهاـ.

ومشكلة الاحتواء هذه ظهرت مراياً وتكراراً في سياق التحليل الجماعي، خصيصاً فيما يسمى بـ«Encounter groups» الذي انتشر في السبعينيات والثمانينيات، ففي هذه الاجتماعات، في الأغلب لم يكن الخبرـيـ يـتـحـلـيـ بالـعـمـلـيـةـ ولاـ الـخـبـرـةـ الـعـمـلـيـةـ والمـهـارـةـ التقـنيةـ للـتـحـكـمـ فيـ هـذـهـ الـعـمـلـيـةـ المـعـقـدـةـ،ـ فـتـكـونـ النـتـيـجـةـ أـنـ الـحـوارـ يـتـخـذـ مـسـارـاـ سـلـيـبيـاـ،ـ وـتـبـدـأـ الـمـجـمـوـعـةـ فـيـ الـأـنـيـارـ الـنـفـسـيـ،ـ فـرـداـ تـلـوـ الـآـخـرـ.

نفس الشيء يحدث في حفلات «الروك» من وقت لآخر، فيقوم الفنانـونـ باـسـتـحـضـارـ طـاقـةـ عـاطـفـيـةـ عـنـيفـةـ وـعـدـوـانـيـةـ فيـ الـحـضـورـ،ـ وإنـ لمـ يـكـونـواـ عـلـىـ تـوـاـصـلـ كـافـيـ وـقـويـ معـ طـاقـةـ

المهندس داخل كل واحد منا الذي يُنظم أعمال ووظائف النفسية ككل، فالساحر الداخلي يعرف تماماً مقدار القوة الجبارة للديناميكيات السيكولوجية العميقـة، ويعرف كيف يوجهها لتصبـ في صالحنا، إنه يعرف القوة التي لا تُضاهـي للشمس بداخلنا، وكيف يستفيد من هذه الطاقة الهائلـة الصالحةـ، نموذج الساحر يُنظم التيارـات الداخلية لطاقـات النماذـ المختلفة، ويحاولـ أن يحققـ هذا التنظيم الاستفادة القصوى لحياتـنا الداخلية والخارجـية.

العديد من البشر «السحرـة» - أيـاً كانت وظيفـتهم أو أسلوبـياتـهم - يستخدمـون بوعيـ معـرـفهمـ وـمـهـارـتهمـ التقـنيةـ لصالـحـ الآخـرينـ ولـصالـحـ أنـفسـهـمـ أـيـضاـ، الأـطـباءـ والمـحـامـونـ والمـديـرونـ وـالـسـبـاـكـونـ وـالـكـهـرـبـائـيونـ وـالـعـلـمـاءـ الـبـاحـثـونـ واـختـصـاصـيوـ علمـ النـفـسـ وـغـيرـهـمـ عـنـدـمـاـ يـكـونـونـ عـلـىـ تـوـاـصـلـ منـاسـبـ معـ نـموـذـجـ السـاحـرـ بـداـخـلـهـمـ، يـعـملـونـ عـلـىـ تـحـوـيلـ القـوـةـ الـخـامـ إـلـىـ فـانـدـةـ لـالـآخـرـينـ، وـهـذـاـ يـنـطبقـ فـيـ القـبـائـلـ الـبـداـيـةـ عـلـىـ الشـامـانـاتـ وـالـمـدـاوـيـنـ بـأـعـشـابـهـمـ وـطـبـولـهـمـ، كـمـ يـنـطبقـ تـامـاـ عـلـىـ الـبـاحـثـينـ الطـبـيـنـ الـمـعاـصـرـيـنـ الـذـيـنـ يـسـعـونـ لإـيجـادـ العـلاـجـ الـمـنـاسـبـ لـأـخـطـرـ الـأـمـرـاـضـ الـتـيـ تـواـجـهـنـاـ.

بهـدوـءـ، أـنـ تـلـاحـظـ وـتـرـصـدـ الـمـعـلـومـاتـ الـقـادـمـةـ مـنـ الدـاخـلـ وـمـنـ الـخـارـجـ، ثـمـ باـسـتـخـدـامـ حـكـمـتـهاـ - مـعـرـفـتهاـ الـمـوـكـتـسـبـةـ مـنـ الـخـبـرـةـ وـمـهـارـتهاـ - تـتـخـذـ الـقـرـاراتـ الـحـيـاتـيـةـ الـضـرـورـيـةـ.

عـنـدـمـاـ تـكـوـنـ الـأـنـاـ الرـقـيـةـ مـصـطـفـةـ مـعـ النـفـسـ الـذـكـورـيـةـ النـاضـجـةـ عـلـىـ «ـمـحـورـ الـأـنـاـ - النـفـسـ»ـ، يـتـمـ تـوـجـهـ الـأـنـاـ إـلـىـ الـحـكـمـةـ السـرـيـةـ لـهـذـهـ النـفـسـ، وـكـأـنـهاـ بـشـكـلـ ماـ خـادـمـةـ لـهـذـهـ النـفـسـ الـعـمـيقـةـ، لـكـنـهاـ بـشـكـلـ آخـرـ الـقـائـدـ الـمـوـجـهـةـ لـقـوـةـ هـذـهـ النـفـسـ، إـذـنـ فـإـنـهاـ تـلـعبـ دـوـرـاـ مـحـوـرـيـاـ فـيـ النـفـسـيـةـ وـالـشـخـصـيـةـ كـلـ.

الـأـنـاـ الرـقـيـةـ تـكـوـنـ مـنـفـصـلـةـ عـنـ الـمـعـجـرـيـ العـادـيـ لـلـأـحـدـاثـ وـالـمـشـاعـرـ وـالـتـجـارـبـ، وـكـأـنـهاـ بـشـكـلـ ماـ لـاـ تـعـيـشـ الـحـيـاةـ، لـكـنـهاـ تـرـاقـبـ الـحـيـاةـ، وـتـضـغـطـ عـلـىـ الزـرـ الـصـحـيـحـ فـيـ الـوقـتـ الـصـحـيـحـ لـلـتـوـاـصـلـ مـعـ الـطـاـقةـ الـمـنـاسـبـ عـنـدـمـاـ تـحـاجـجـهـاـ، فـهـيـ كـالـمـهـنـدـسـ الـمـرـاقـبـ لـلـسـدـ الـكـهـرـوـمـائـيـ، الـذـيـ يـرـاقـبـ الـعـدـادـاتـ وـمـقـايـيسـ الـضـغـطـ وـالـكـوـمـبـيـوتـرـ لـتـخـزـينـ الـضـغـطـ عـلـىـ سـطـحـ السـدـ، ثـمـ يـقـرـرـ مـتـىـ يـفـتـحـ الـبـوـابـاتـ وـيـدـعـ الـمـيـاهـ تـدـفـقـ فـيـ الـمـمـرـاتـ.

نـموـذـجـ السـاحـرـ مـتـحـدـ مـعـ الـأـنـاـ الرـقـيـةـ، يـحـمـيـنـاـ مـنـ الـاجـتـياـحـ الـذـيـ قـدـ نـتـعـرـضـ لـهـ مـنـ قـبـلـ قـوـىـ النـماـذـجـ الـأـخـرىـ، إـنـ

عميلنا ونوفي قوانين المدينة؟ ما المقدار الذي نبوح به لمن
لحلله بشأن أحلامه عندما يبدو أنه مُتجه نحو أزمة ما؟ أو حتى
كيف تعامل مع ميزانية مادية شخصية محدودة؟ كلما نواجه
هذه القرارات الصعبة، نتخذ القرار بعناء وتأنّ وبصيرة، بفضل
الساحر الداخلي فينا.

الساحر إذن هو النموذج المُشخص بالتفكير والتأمل؛ ولذلك
أيضاً طاقة الساحر هي طاقة الانطوائية، وما نعنيه بالانطوائية
ليس الخجل والحياء الاجتماعي، لكن القدرة على الانفصال
عن العواصف الداخلية والخارجية والاتصال مع الحقائق
والموارد الداخلية العميقـة، ولهذا فالانطوائيون يعيشون
في «المركز» أكثر من الآخرين، طاقة الساحر المُتكاملة هي
طاقة شديدة الاستقرار والثبات والتمرّز، ومن الصعب جداً
جر جرتها أو دفعها.

الساحر غالباً ما يظهر في الأزمات، جاء إلينا رجل في
الأربعين من عمره وأخبرنا عما حدث له في حادث سيارة، كان
الوقت في الشتاء، وكان ينزل على طريق جبلي، كانت هناك
سيارة أمامه ووقفت فجأة عند إشارة توقف أسفل الجبل، أثناء
فرملته الاعتيادية، توتفقت مكابحه عن العمل، فاتجه بسرعة
هائلة على الطريق، كان مدعوراً لأنه مُتجه مُباشرة إلى السيارة



محفورة خشبية من سنة ١٦١٧ تصوـر الساحر «هيرميـز»
الأسطوري. والذي يُعتبر رمـزاً شهـيراً في الخيمـيات والفنـوصـيات.

طاقة الساحر موجودة ضمن نموذج المُحارب في شكل
نقاء الذهن والتفكير، وهو ما ناقشناه بالتفصيل مُسبقاً، الساحر
وحده ليس لديه القدرة على التصرف بحسـمـ، فهـذا اختصاصـ
المُحارـبـ، لكن لديه القدرة على التفكـيرـ، فـتحـنـ تـواصـلـ معـ
السـاحـرـ كلـماـ وـاجـهـنـاـ فـيـ حـيـاتـنـاـ يـبـدوـ مـسـتـحـيـلاـ،ـ
مـنـ تـرـقـيـ فـيـ الشـرـكـةـ عـنـدـمـاـ يـكـوـنـ هـنـاكـ اـعـتـارـاتـ مـعـقـدـةـ يـجـبـ
أـخـذـهـاـ فـيـ الحـسـبـانـ؟ـ كـيـفـ تـعـالـمـ مـعـ فـقـدـانـ اـبـنـاـ أوـ اـبـتـنـاـ الـحـافـزـ
بـشـأنـ الـدـرـاسـةـ؟ـ كـيـفـ تـصـمـمـ مـنـزـلاـ مـعـيـنـاـ لـتـرـضـيـ مـتـطلـبـاتـ

غالباً، في المواقف الصعبة - كالموقف الذي ذكرناه سابقاً - يُسحب الناس إلى مجال يكون فيه المكان غريباً والإطار الزمني مختلفاً، يمكن أن يُدعى المجال «المقدس»؛ لأن هذا المجال يكون مختلفاً جداً عن المكان والزمان العاديين هذان نختبرهم في العادة في الحياة اليومية، فالسائق - في القصة السابقة - على سبيل المثال فجأة وجد نفسه في مجال داخلي بمكان وزمن مختلفين (Slow motion كما وصفه)، وكان هذا المجال مختلفاً كلّياً عن مجال الذعر والخوف الذي كان فيه، هذا المجال «المقدس» يعرفه جيداً أولئك الرجال الذين يُرشدتهم الساحر، بل قد يضع هؤلاء الرجال أنفسهم في هذه المواقف عن عمد، تماماً مثل السحرة في عملياتهم الطقسية الذين يرسمون الدوائر السحرية على الأرض ويرددون تعاوينهم وتمائمهم، إنهم يدخلون هذا المجال عن طريق سماع مقاطع معينة من الموسيقى، يعملون على هواية، يتسلّشون في الغابات، يتأمّلون أفكاراً أو صوراً معينة، أو بطرق عديدة أخرى، عندما يدخلون لهذا المجال المقدس الداخلي يصبحون على تواصل مع الساحر، من ثم يمكنهم أن يبنّثوا من هذا المجال الداخلي وهم يعرفون ما يجب أن يفعلوا بشأن مشكلة ما، وكيف سيقومون بحلها.

التي أمامه، ثم حدث شيء عجيب، كأنه تحول كامل للوعي، فالرجل قد شعر فجأة أن كل شيء يتحرّك بسرعة بطبيعة Slow motion، شعر الرجل بالهدوء والثبات، والآن أصبح لديه الوقت للتأمل في الخيارات القليلة المتاحة له، وكأنه تم تعطيل حاسوب ما أو نوع ذكاء آخر بداخله، ثم قال له صوت بداخله أن ينزع قدمه على المكابح، ثم يضغط عليها ببطء يضع مرات وأن يوجه عجلة القيادة لليمين قدر الإمكان، وهكذا قد يصطدم بالسيارة أمامه بزاوية، مقللاً أثر الاصطدام ومتوفقاً بيضاء في تل الثابج المجتمع على جانب الطريق، قام الرجل بتنفيذ هذه الخطة بنجاح، ولم يُصبّ هو أو سائق السيارة أمامه بأي أذى.

ما نظن أن الرجل كان يُخبرنا عنه هو التواصل المفاجئ الفوري مع طاقة الساحر، الطاقة التي تستخدم المعرفة وهي مُفصلة عن المشاعر المتعلقة بالوضع الداخلي أو الخارجي، وتتحلّل التائج المحتملة المختلفة، وتستخدم المهارة التقنية، فتتصرف كأفضل ما يكون في ظرف سبي.

إذا فكرنا في كل هذه المجالات في حياتنا التي تحتاج فيها التفكير الواضح المتأني المبني على الحكمة الداخلية والمهارة التقنية؛ ستدرك أهمية طاقة الساحر ومدى احتياجنا للتواصل مع هذه الطاقة بالطريقة المثلثي.

المشكلة الناشئة عن المُخلفات السامة التي تُفسد وتسنم
لها كوبينا، هذه المُخلفات - التي تُعتبر دلاء ومماسح تلميذ
الشُعوذ في قصة ميكى ماوس - التي تكاثر بينما تتلاشى طفة
الأوزون أكثر وأكثر، بينما يمتلئ المحيط بنقاياتنا، بينما تهلك
الحياة البرية، بينما تسقط غابات المطر في البرازيل فلا تضر
الحيوانات والبيئة فقط، بل تُهدّد مصانع الأكسجين الأشجار
التي نحتاجها للبقاء على التنوع الحيّ في العالم، لقد كان
ظل الساحر - الجانب المُظلم للساحر - الذي قادنا إلى أظلم
أيام الحرب العالمية الثانية، ليس فقط بتكنولوجيا مُعسكرات
الموت، لكن أيضًا بسلاح الجحيم - الأسلحة النووية - الذي
ما زال يهدّدنا كل يوم، التحكم في الطبيعة الذي هو أحد وظائف
الساحر، يعمل الآن ضدنا، وهذا التحكم غير المحسوب بداعنا
في دفع ضريبته الباهظة.

خلف البروباجاندا والمؤتمرات الصحفية المُدبّرة والأخبار
الخاضعة للقص ورقابة والمسيّرات السياسية المُمولة، نجد
الوجه المُظلم للساحر المُتلاعب.

القطب المُوجب للجانب المُظلم للساحر يُعتبر - بصورة
خاصة - «ظلًا خارقًا»، الرجل الواقع في هذا الجانب المُظلم

نحن نؤمن أن طاقة الساحر التي تظهر للرجال اليوم هي
مُجرد فتات من الصورة المُتكاملة للساحر بالنسبة لما كانت
عليه هذه الطاقة تاريخيًّا، الساحر البدائي الكلي في الرجال
ظهر في أكثر أشكاله تكاملاً وكليةً في ما يُطلق عليه علماء
الأنثروبولوجيا «الشaman»، الشaman في مجتمعات القبائل
«البدائية» كان المُداوِي، كان من يشفى الناس من أمراضهم،
من يجد «الأرواح المنقودة»، ومن يكتشف الأسباب الخفية
لسوء الطالع والمصائب، كان هو المسئول عن إعادة التكامل
والتناغم في حياة الأفراد وفي حياة المجموعة ككل، وبالفعل
طاقة الساحر اليوم لديها نفس الأهداف والغايات، الساحر
والشaman كصورة مُتكاملة لهذا النموذج، يسعى لتحقيق الكلية
للأشياء جميًعاً من خلال التطبيق الحساس للمعرفة والمهارة.

* الجانب المُظلم للساحر: المُتلاعب والمنكر «البري» *

بالرغم من إيجابية وأهمية نموذج الساحر، فككل أشكال
الطاقات الذكورية الأخرى، لهذا النموذج جانب مُظلم
أيًضاً، وإن كان عصرنا هو عصر الساحر، فهو أيضًا عصر
الجانب المُظلم ثانٍي القطب للساحر، علينا فقط التفكير في

العديد من الرجال في مجال الطب اليوم يعبرون عن هذا الظل الخارق أيضاً، فمن المعروف أن أفضل المكاسب المالية في مجال الطب يحصدها الأخصائيون، والأخصائيون هم الذين يملكون معرفة عميقة في مجال نادر وخاص، بدون أي شك، هناك العديد من الأطباء الأخصائيين الذين يهتمون بصدق بصحة مرضاهما، لكن العديد منهم أيضاً لا يقولون لمرضاهما تفاصيل هامة بشأن مشكلتهم الصحية.

علاوة على ذلك، التكلفة الباهظة للطب - خصوصاً للعمليات الجراحية والتحاليل - تشهد على جشع السلطة، هذه السلطة التي تجلبها المعرفة السرية، كما تشهد على جشع المال الذي يقع الرجل الواقع في جانب المُتلاعب المُظلم ضحية له، فهو لاء الرجال يستخدمون معرفتهم السرية لمصلحتهم الشخصية أو لا ثم ثانوياً - إن وجد من الأساس - لصالح الآخرين.

لا يُرشد الآخرين كما يفعل الساحر، بل يوجههم بطرق لا يستطيعون أن يروها، فنوايأه ليست أن يحضر الآخرين ويساعدتهم على عيش حياة أسعد وأفضل، بل يقوم **المُتلاعب** بإضلال الناس عن طريق إخفاء معلومات قد تكون في صالحهم، ويأخذ منهم الكثير في سبيل المعلومات القليلة التي يُعطوها، التي تكون عادةً كافية فقط لاستعراض أفضليته ومعرفته العظيمة، الساحر الظليل ليس «منفصلاً» إنسانياً فقط، بل متواوح أيضاً.

للأسف مثال واضح عن هذا يمكن أن نراه في جامعتنا، فالعديد من طلاب الجامعات - المتفوقون والموهوبون والذين يعملون بكلٍّ - يُخبروننا عن تجاربهم مع الجانب المُظلم للساحر **مُمثلاً** في أستاذتهم، خصوصاً في الدراسات العليا، فبدلاً من أن يتواصل هؤلاء المُدرسوون بصورة صحيحة مع نموذج الساحر الإيجابي ليصبحوا مُرشدين ومُعلمين لهؤلاء الشباب، يقوم هؤلاء الرجال بالهجوم على نحو مستمر على طلابهم، ساعين لتحطيم حمسهم، وللأسف الشديد هذا السيناريو يتكرر باستمرار في كل المؤسسات التعليمية بجميع مراحلها وأشكالها، من الروضة إلى كلية الطب، من النظام التعليمي العام إلى نظام القمة.

حكمة عظيمة ومعرفة سرية، معرفة تحتاجها لتحسين حالتك،
حاول أن تحصل على هذه المعرفة مني، ثم اترك حسابك مع
سيكرتري وأنت ذاuber».

هذا الحجب والسرية في صالح المنفعة الشخصية فقط يمكن رؤيته أيضاً في مجال الدعاية والإعلان، هذا المجال الذي في كثير من الأحيان يلوثه تلاعب المعلنين بعقول العامة، بهدف إشاعر جشع الشركات التي يعملون من أجلها، وحتى أن الأمر قد يصل إلى الكذب المطلق، وهذا الأسلوب يظهر الطبيعة الانعزالية عن المشاعر الإنسانية الطيبة الصادقة، وهو مشابه تماماً للشرور التي يقوم بها مروجو البروباغاندا في الحكومات والأنظمة الشمولية، فعن طريق مهارتهم في استخدام الصور والرموز والخطابات، يلعبون على الأوتار الحساسة لجرح رُملائهم البشر، فهو لاء كأئمهم الرجالون الذين يُشعرون النار ويهزون ريش السحر الأسود للمشعوذ.

الرجل الواقع تحت سيطرة المُتلاعب لا يؤذى الآخرين فقط بطبيعته التهكمية المُنفصلة عن القيم الإنسانية، بل يؤذى نفسه أيضاً، هذا هو الرجل الذي يُفكّر بشكل مُفرط، الذي يُراقب حياته ولا يعيشها أبداً، إنه عالق في الشبكة المُعقّدة للإيجابيات والسلبيات الخاصة بكل قرار من قراراته، وتائه



العالم المجنون في فيلم The Werewolf of London من سنة ١٩٤٢

التعييد المُتزايد في القانون واللغة المُشفّرة للدعوى والوثائق القانونية يقول ضمنياً للعامة من الناس: «تحن الذين في المجال القانوني لدينا معلومات خفية يُمكنها التحكم في مصيرك تماماً، وبعد أن تُلزمك بدفع أموال طائلة في مقابل خدماتنا، ربما تستفيد من سحرنا وربما لا».

في الكثير من الأوقات أيضاً - في غرفة الاستشارة النفسية - يقوم الأخصائي بحجب معلومات يحتاجها العميل ليكون في حالة أفضل، فيقول بطريقة مُباشرة أو غير مُباشرة: «أنا الذي

* القُطب السالب لظل الساحر نطق عليه الساذج أو

«البريء»^(١)

البريء هو النسخة الكبيرة من القطب السالب لظل «الطفل مُبكر النضوج» الذي سميته البليد، فالبريء يزيد أيضًا القوة ومناصب السلطة التي تأتي عادةً للرجل الساحر، على الأقل في المجالات المُتعارف عليها اجتماعيًّا، لكنه لا يُزيد تحمل المسئولية الخاصة بالساحر الحقيقي، لا يُزيد أن يُشارك ويلمّ، لا يُزيد أن يقوم بمهمة مُساعدة الآخرين بالحدُر والتأني المطلوب في كل عملية تحضيرية، لا يُزيد أن يكون المُضيف في المكان المقدس، لا يرغب في أن يفهم نفسه، وبالتأكيد لا يُزيد أن يبذل المجهود الكبير المطلوب ليكون خبيرًا في احتواء الطاقة وتوجيهها بشكل إيجابي بناءً، يُزيد أن يتعلم فقط القدر المطلوب الذي يُمكنه من تعطيل من يقومون فعلاً بالمحاولة ويبذلون الجهد، إنه يقوم بكل هذا وهو يؤكّد على براته وبراءة نوایاه الخفية، فالرجل الممسوس من البريء الذي يرى أنه أعظم من أن يقوم ببذل مجهود حقيقي، يُعرقل الآخرين ويُسعى دائمًا لفشلهم.

في متاهة لا يستطيع أن يُخرج نفسه منها، متاهة مليئة بالتفاصيل الصغيرة والكبيرة، إنه يخاف العيش، يخاف القفز إلى المعركة، فلا يستطيع سوى أن يجلس على مصتبة ويفكر، ومع مرور السنين يتساءل كيف مضى عمره، ويتهيّأ به الأمر نادماً على حياة العُقم التي عاشها، إنه يُحلل كل شيء بإفراط، ويسبب خوفه من اتخاذ القرار الخاطئ، لا يتخذ أي قرارات من الأساس، ويسبب خوفه من عيش حياته، لا يُمكنه كذلك المشاركة في الفرحة والمُمتعة التي يختبرها الآخرون الذين يعيشون حياتهم، فيشعر في النهاية أنه معزول ووحيد، إنه لا يرى أن ذاته للأخرين بمعرفته السريعة ومهاراته التقنية – أيًا كان شكلها ونوعها – تؤدي روحه هو قبل أي شيء.

عندما نكون مُنزليين عن الآخرين، وحاجبين معرفتنا عندما يكون ما نعرفه ذا نفع للآخرين، كلما نستخدم معرفتنا للاستخفاف والتحكم في الآخرين أو لصالح تحقيق منافع شخصية على حساب مصلحتهم، تكون حينها تجسيداً حقيقياً للساحر المُظلم المُتلاعب، وسحرنا الأسود الذي نقوم به، يضرنا كما يضر الآخرين الذين قد يتضرعون من علمانا ومعرفتنا.

(١) تم وضع علامات تصريح للـ«بريء» من قبل المؤلفين كتعبير عن الإدعاء الكاذب باليارادة والسذاجة. المترجم

المُحارب الخاصة بنا، إنهم يتقدرون محاولتنا لمواجهتهم عن طريق استدراجنا دائمًا للتشكك بحدسنا تجاه أفعالهم، وإذا طعنًا في براءتهم؛ يردون في الأغلب بدموع مُريرة هدفها التمثيل والتأثير علينا، وقد نشعر حتى بالعار من أنفسنا أننا هاجمناهم وجرحنا مشاعرهم، لكننا لن نستطيع أن نهرب من شعورنا الداخلي أننا تم التلاعب بنا، وهذا الشعور بالتحديد هو ما يكشف القطب الموجب لظل الساحر الذي يكون خفيًا وراء براءة البريء.

التواصل مع الساحر الداخلي:

إن كنا تحت سيطرة المُتلاعب، تكون حينها في قبضة الظل الخارق للساحر، وإن شعرنا أننا فاقدون للاتصال مع الساحر في صورته المُتكاملة، تكون قد وقمنا في القطب السالب للبريء المُنكر والكذاب، في هذه الحالة سيفيغ لدبنا النظام الداخلي والحكمة الفطرية ونقاء الذهن، ستفتقد الأمان الداخلي وتفقد الثقة في تفكيرنا الشخصي، لن نتمكن من الانفصال عن المشاعر السلبية المُتعلقة بمشاكلنا، سنكون أكثر عرضة للفرضي الداخلية، وتصبح قabilين للجرحية والدفع بسهولة في الاتجاهات المُختلفة، ستتصرف بطريقة «سلبية - عدوانية» تجاه الآخرين، لكننا ندعّي البراءة من أي نوايا خبيثة.

بينما يقوم المُخادع - القطب الموجب لظل نموذج الطفل مُبكر النضوج - بـ«الاعييه جزئيًّا بهدف الإفصاح عن الحقيقة، يقوم «البريء» بمحبب الحقيقة في سبيل الحصول والمُحافظة على منزلته المُترنزة، بينما يُركز المُخادع هجماته على غرورنا المُتنفس لتضليله، يقوم الساحر الظليل - بكل قُطبيه - بتوجيه هجماته إلينا حتى عندما يكون هذا التضليل غير ضروري أو حتى مؤذٍ.

تكون الدوافع الخفية للبريء نابعة من الحقد والغيرة من هؤلاء الذين يفعلون والذين يعيشون والذين يُريدون المشاركة، ولأنه حاقد على الحياة ومن يعيشها، يكون خائفاً من أن يكتشف الناس شحوح طاقة الحياة لديه، وأن يُسقطه من على قاعدته الهشة، انزعاله وسلوكه المُثير للإعجاب وتعليقاته المُهينة وعدائته تجاه الأسئلة وحتى خبراته المُترآكة؛ كلها مُصممة خصيصاً لتُغطي على كآبهة الداخلية الحقيقية ولتخفي عدم مسؤوليته الباطنة.

الرجل الممسوس من البريء يرتكب خطاياً مُباشرة وغير مُباشرة، لكنه يُخفي دوافعه العدوانية خلف حاجز منيع من البراءة والسدادة المُصطنعة، هذا النوع من الرجال يكون مُضللاً ومكاراً، فلا يسمحون لنا أن نواجههم مُباشرة بطاقة

الذى يُمكّن الأنّا من ترتيب المشاعر على هيئة كومة مُنظمة، وبالتالي يتم احتواء الطاقات المشاعرية وحيثها فقد قوة تأثيرها، وهذا في النهاية يُمكّن الأنّا من تحويل هذه الطاقة النابعة من المشاعر السلبية إلى طاقة إيجابية ومفيدة للذات.

هناك تمرير آخر ساعد شاباً يافعاً بالتواصل مع ساحره الداخلي، هذا الشاب كان يُدّعى كل ليلة بسبب أحلام عن أعراض تُطارده، فكانت السُّحب السوداء تأتي إليه على شكل زوبعة علاقة وهو مُختبئ تحت شجرة حديقة منزل طفولته، لم يكن لدى الشاب أدنى فكرة عن معنى هذا الحلم، خلال فترة تحليله النفسي، أدرك أن عقله اللاوعي كان يُصور له غضبه في الطفولة على شكل هذا الإعصار، فقد كان والده مُدميَّاً، وكانت عليه مسؤولية إدارة شتون المنزل والاعتناء بهما، ليس هذا فقط، بل كان قد تعرّض للاعتداء الجنسي عدة مرات من قبل أحد أعمامه، لقد كان غضبه وغشه في الطفولة فظيعاً، وهذا هو يظهر هذا الغضب نفسه بكل قوّة في أحلام الشاب، هذه الأعراض غير المحتواة داخل الضواحي النفسية للشاب كانت تُدمر حياته الشخصية والعملية، كان مكتباً بشكل عميق.

ولأن الشاب كان فناناً نوعاً ما، طلب منه مُعالجه أن يرسم صورة لهذه الأعراض، ثم طلب منه أن يرسم هذه الأعراض

إحدى أصعب المهام التي يُمكن لأى مُستشار ومعالج نفسي القيام بها هو أن يجعل عُملاءه يفصلون أنّاهم - الأنّا الخاصة بهم - عن مشاعرهم، لكن بدون أن يكتبوا هذه المشاعر، هناك تمرير سينكولوجي ممتاز قد يُساعد في هذه المهمة: إنه يُسمى «التركيز» وتم تطويره من قبل Eugene Gendlin، وفي هذا التمرير، نطلب من مرضانا عندما تراودهم مشاعر سلبية قوية - كالذعر الشديد أو الحقد أو الغيرة أو الغضب أو اليأس لأنّا أنجلوسوا على «كرسي مُراقبة»، وعندما تبدأ هذه المشاعر في الظهور أن يضعوها على هيئة كومة في منتصف الغرفة، كل واحد من هذه المشاعر يجب أن يوضع على الكومة بحدٍّ، ثم يُمكّتنا أن نجلس ونُراقب هذا الشعور، نرى لونه وشكله، نرى النغمات المشاعرية التي يلبعها، نطلب من مرضانا أن يروا مشاعرهم، بدون أن يحكموا على هذه المشاعر أو يحاولوا كتبها أو التخلّي عنها، لكن مجرّد مُراقبتها، «أوه، ها أنت مُجدداً، إذن هذا ما تبدو عليه». فإن كانت المشاعر في منتصف الغرفة، حيث تقدر الأنّا على رؤيتها، لن يتم كبت هذه المشاعر، وعندما تضعف القوة السلبية المرتبطة بالمشاعر، حينها نطلب من عمالاتنا أن يتخلّوا عنها ويدعوها تذهب برفق.

ما يفعله هذا التمرير هو مساعدة العميل على تقوية تواصله مع طاقة الساحر، فالساحر هو من يُراقب ويفكّر، الساحر هو

بينما نتواصل مع الساحر، يجب علينا أن نُنظم هذه الطاقة مع العلاقات الأخرى للنماذج الثلاثة، فلا واحد منهم - كما ذكرنا سابقاً - يعمل جيداً بمفرده، نحتاج أن نخالط مع الساحر رغبة الملك في العطاء والكرم والمباركة، وقدرة المُحارب على التصرف بجسم وبشجاعة، وترتبط وتوحد المُحب مع الأشياء جميعاً، حينها سنكون نستخدم معرفتنا واحتواينا وتوجيهنا لتيارات الطاقة في صالح الإنسان، وربما حتى الصالح خير الكوكب كله.

لِلْمُكَلَّفِ

داخل حاوية من الصلب، ليدور ويدور غضبه كالملفات المغناطيسية في مولد الكهرباء، ثم طلب منه أن يرسم خطوط وأسلاك الطاقة والمُمحولات التي تخرج من هذه الحاوية وتغذى أنوار الشوارع والبيوت والمصانع، وأي شيء يحتاج لطاقة.

بمجرد أن فعل الشاب هذا، بدأت حياته في التغير، وجد العزيمة والقوة لترك وظيفته، كان دائماً يرغب في العمل في مسرح للأطفال، فجأة - وكأنها ظهرت من العدم - بدأت عروض لوظائف مُماثلة تظهر له، هذه الطاقة الجباره لغضبه الخام في الطفولة، بعد أن تم احتواوها وتوجيهها إلى الأنوار والمصانع في حياته الحالى، كانت تعمل كمحطة طاقة لحياته الجديدة، السحر الأسود لغضبه الجامح والفووضى تحول إلى السحر الأبيض للكهرباء التي تُغير حياته.

ما فعله الأخصائي بترحيم الرسم للشاب هو تمكينه من استحضار حكمه ومعرفة الساحر المُتكامل ليتمكن من احتواء وتوجيه المشاعر الجامحة، عندما تكون على تواصل صحيح مع الساحر، نضيف على حياتنا العملية والشخصية بُعداً جديداً من قوة النظر ونقاء التفكير، والمعرفة العميقه عن أنفسنا وعن الآخرين، ومهارة تقنية في عملنا الخارجي وفي عملنا الداخلي في التعامل مع طاقاتنا السيكولوجية.

الفِحْب

كهوف «إيليفاتنا» التي تقع في جزيرة قريبة من ساحل مدينة بومباي في الهند، إنها كهوف ساحرة حتى لم يراها عن بعد، هذه الكهوف هي «معابد الموت» الأصلية في سلسلة Indiana Jones، تقع هذه الكهوف على منحدر جبلي عالٌ كثيف الأدغال، تمتد فيه الأشجار حتى المياه، على هذه الأشجار تتأرجح القرود قافزة وصارخة فوق الأغصان.

حالما تدخل المغارة، ترى رونق المكان المُعتم، وينور مئات الشموع المشتعلة التي تتلاأً في الظلام، يظهر تصوير نحتي ضخم يعبر عن «الفالوس» - القضيب - للإله الهندي «شيفا»، خالق ومُدمر الكون حسب التقليد الهندي، هذه الصورة قوية ومشحونة بطاقة الحياة بقدر عظيم للمؤمنين بهذا الدين، لدرجة أنآلاف الحجاج يزورون هذا المعبد ليلى نهار مُردددين ترانيمهم ودعواتهم، هؤلاء الحجاج يكونون في حالة افتتان روحياني فائق بهذا التصوير الرمزي للطاقة الذكورية المقدسة.

يُوحد ويجمع الأشياء جمِيعاً، الرومان تحدثوا عن «الأمور» amor، الذي هو الاتحاد الكامل لجسد وروح إنسان مع جسد وروح إنسان آخر، هذه الأنواع وجميع الأنواع الأخرى للحب (التي هي في الأغلب مُشتقات من هذه الأنواع المذكورة)، هي التعبير عن طاقة نموذج المُحب في حياة الإنسان.

اليونانيون - نسبة لأتباع يوحنا - يستخدمون دائمًا كلمة إيلروس - الإله الإغريقي - للتعبير عن طاقة الحُب، هم يستخدمون أيضًا الكلمة اللاتينية «ليبيدو» التي تعني الرغبة، وبهذه المصطلحات هم لا يقصدون الرغبات الجنسية فقط، بل الشهوة العامة للحياة وطاقتها.

نحن نؤمن أن المُحب - أيًا كان اسمه - هو نمط الطاقة البدائي لما يُسمى الحيوية والشغف، وهذه الطاقة تعيش من خلال رغباتنا العظيمة كثيرة، رغباتنا للجنس والطعام والصحة والتکاثر والتکيف الإبداعي لصعوبات الحياة، وجوهريًا الشعور بالمعنى الذي من دونه لا يستطيع الإنسان المُضي قدماً في حياته، ودافع نموذج المُحب هو إرضاء هذه الرغبات.

نموذج المُحب هو أساسى للنفسية البشرية أيضًا؛ لأنَّه طاقة الحساسية للبيئة الخارجية، إنه تعبير عن ما سماه يوحنا «وظيفة

الإغريق القديمي كان لديهم إله يُسمى «بيرابس»، كان فالوسه كبير لدرجة أنه كان مضطراً أن يحمله أمامه على عربة يدوية، المصريون القدماء كانوا يقدرون الإله أو زوريس على هيئة «عميد جد»، أما اليابانيون في احتفالات الخصوبة الخاصة بهم، كانوا يرقصون بقضبان صناعية كبيرة هدفها استحضار القوى الخالقة للطبيعة.

القضيب المُنتصب هو بالطبع رمز جنسي، لكنه أيضًا رمز لطاقة الحياة للشعوب القديمة، كان الدم يُعتبر حامل الروح والطاقة، فعندما يجعل الدم القضيب مُنتصباً، فكانه ينفح الروح في اللحم، وكان طاقة الحياة - المقدسة دائمًا - تدخل إلى العالم الدنس للمادة والحياة الإنسانية، ونتيجة هذا الاتحاد بين الإنسان والمقدس، الروح والمادة، كانت تولد عملية الخلق والتنشيط، فمن هذا الاتحاد تولد حياة جديدة، فرص واحتماليات جديدة.

هناك العديد من أنواع الحب، الإغريق تحدثوا عن «أجابي» agape الذي هو الحب غير الشهوانى، أو كما يُسمى في الكتاب المقدس: «الحب الأخوى»، تحدثوا عن الإيلروس Eros بالشكل الضيق للحب الجنسي، وبالشكل الواسع للحب الذي

روعته، المُحِبُّ مُرْتَبِطٌ وَمُتَصَلِّ مَعَ الْجَمِيعِ، فَهُوَ مُجَدَّبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ خَلَالِ حَسَاسِيَّتِهِ، وَحَسَاسِيَّتِهِ هَذِهِ تُدْفِعُهُ لِلشَّعُورِ بِالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ تَجَاهِ الْآخَرِينَ، مِنْ مَنْظُورِ الرَّجُلِ الْمُتَوَاصِلِ مَعَ الْمُحِبِّ، تَكُونُ كُلُّ الْأَشْيَاءِ مُتَصَلِّهَا بِعِصْبَهَا بِطَرْقِ غَامِضَةٍ، إِنَّهُ - حَسِيبًا يَقُولُ الْمِثْلَ - «يَرِيُّ الْعَالَمَ فِي جَبَةِ رَمْلٍ»، وَهُوَ لَا يَرِيُّ الْعَالَمَ فِي جَبَةِ رَمْلٍ فَقَطُّ، بَلْ يَشْعُرُ بِهِ كَذَلِكَ.

أَحَدُ الصَّبَيْانِ بَدَأَ التَّحْلِيلَ النَّفْسِيَّ بِطَلْبٍ مِنْ وَالْدِيهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَمَا قَالُوا: «غَرِيبًا جَدًّا»، كَانَ - كَمَا قَالُوا - يَمْضِي الْكَثِيرُ مِنَ الْوَقْتِ بِمَفْرَدٍ، مَا أَخْبَرَنَا بِهِ هَذَا الْوَلَدُ عِنْدَمَا سُأَلَّنَاهُ عَنْ غَرَبَتِهِ الْمُزَوَّمَةِ، هُوَ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ تُرَهَاتٍ طَوِيلَةً فِي الْغَابَةِ وَحْدَهُ، حَتَّى يَجِدْ بَعْقَةً مُنْزَلَةً، ثُمَّ يَجِلسُ عَلَى الْأَرْضِ وَيُشَاهِدُ النَّمَلَ وَالْحَشَراتِ الْأُخْرَى وَهِيَ تَسْلُكُ الطَّرُقَ الْمُتَعَرِّجَةَ بَيْنَ الْعَشَبِ وَالْأُورَاقِ الْمُسَاقَطَةِ، ثُمَّ يَقُولُ الصَّبِيُّ: إِنَّهُ يَبْدُأُ بِشَعُورِ كِيفِ يَكُونُ الْعَالَمُ بِالنِّسْبَةِ لِلنَّمَلِ، وَيَتَخَيلُ نَفْسَهُ نَمَلًا، وَكَانَ يَسْتَطِعُ أَنْ يَشْعُرَ بِأَحْسَاسِ النَّمَلَةِ وَهِيَ تَسْلُكُ الْحَصَى - الَّتِي كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ لَهُ صَخْوَرًا كَبِيرًا - وَهِيَ تَبَخْتُ بَعْدِ اتْزَانٍ عَلَى أَطْرَافِ أُورَاقِ الشَّجَرِ.

بَلْ وَرِبَّا الشَّيْءَ الْأَعْجَبِ، أَنَّ الصَّبِيَّ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ يَسْتَطِعُ أَنْ يَشْعُرَ أَنَّهُ أَحَدُ الطَّحَالِبِ الَّتِي تَنْمُو عَلَى الأَشْجَارِ الرَّطِبَةِ

الْإِحْسَاسِ^(١)، وَهِيَ الْوَظِيفَةُ الَّتِي تَتَخَصَّصُ فِي جَمِيعِ تَفَاصِيلِ تَجَارِبِ الْحَوَاسِ، الْوَظِيفَةُ الَّتِي تُلْاحِظُ الْأَلْوَانَ وَالْأَسْكَالَ وَالْأَصْوَاتَ وَالْأَحْسَاسِ الْلَّمْسِيَّةِ وَالرَّوَاحِيَّةِ، الْمُحِبُّ يُرَاقِبُ أَيْضًا التَّغْيِيرَ فِي مَلْمَسِ الْعَالَمِ السِّيْكُولُوجِيِّ الدَّاخِلِيِّ وَهُوَ يَتَجَادِبُ مَعَ وَارِدَاتِ الْحَوَاسِ، يُمْكِنُنَا بِسَهْوَةٍ رُؤْيَاً أَهْمَى هَذِهِ الْطَّاقَةِ الْبَدِيَّةِ فِي النَّجَاهَةِ لِأَسْلَافِنَا الْقَدَامِيِّ فِي الْغَابَاتِ، الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِونَ جَاهِدِينَ لِلنَّجَاهَةِ فِي عَالَمٍ شَدِيدِ الْخَطُورَةِ.

لَكِنْ بَعْضُ النَّظَرِ عَنِ الْخَلْفِيَّةِ الْبَدِيَّةِ، كَيْفَ يَظْهُرُ «الْمُحِبُّ» فِي الرَّجَالِ الْيَوْمِ؟ كَيْفَ يُسَاعِدُنَا عَلَى النَّجَاهَةِ بَلْ وَهَنْتِي الْأَزْدَهَارِ؟ مَا هِيَ خَصَائِصُ الْمُحِبِّ؟

الْمُحِبُّ فِي صَوْتِهِ الْمُتَكَامِلِ:

الْمُحِبُّ هُوَ نَمْوَذْجُ اللَّعْبِ وَالْتَّعْبِيرِ وَالْإِبْدَاءِ، نَمْوَذْجُ التَّجَسِيدِ الصُّصِيِّ الْإِيجَابِيِّ، نَمْوَذْجُ التَّواجِدِ فِي عَالَمِ الْمُتَعَنِّيِّ الْحَسِيَّةِ وَالْجَسَدِيَّةِ دُونِ الشَّعُورِ بِالْعَالَمِ، إِذْنَ فَالْمُحِبُّ هُوَ شَدِيدُ الْحَسِيَّةِ، حَسَاسٌ وَوَاعٍ حَسِيًّا لِلْعَالَمِ الْمَادِيِّ بِكُلِّ

(١) بِالنِّسْبَةِ لِكَارِلِ بِوْنَجِ، هُنَاكَ أَرْبَعَةُ وَظَالِفَاتٍ أَسَاسِيَّاتٍ لِلنَّفْسِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ: التَّفَكِيرُ، الْإِحْسَاسُ، الْحَدِسُ وَالشَّعُورُ، لِلْمَزِيدِ عَنِ الْأَهْمَى وَدُورِهِ الْوَظَالِفِ يُمْكِنُ الرَّجُوعُ لِكَتَابِ «مَقْدِمَةٍ إِلَى عِلْمِ النَّفْسِ التَّحلِيلِيِّ» لِكَارِلِ بِوْنَجِ، الْمُتَرَجمُ.

إننا كالأمواج على سطح هذا البحر الشاسع، طاقة نموذج المحب لديها اتصال فوري وحميمي مع هذا الترابط الخفي للأشياء جميعاً.



أحد التماثيل الهندوسية (ميثونا) من القرن الحادي عشر

والجدوّع المُتكسّرة، لقد كان يعيش الجوع والمرح والمُعاناة والرضا لعالم الحيوان والنبات كله.

هذا الصبي كان - من وجهة نظرنا - يتواصل مع طاقة المحب بصورة استثنائية، كان غريزياً يتعاطف مع عالم الأشياء من حوله، ربما استطاع بالفعل - كما كان يؤمن - أن يشعر بالتجربة الحقيقية لهذه الأشياء.

نحن نؤمن أن الرجل المُتواصل مع المحب يكون منفتحاً للـ«اللاؤعي الجماعي»، كارل يونج هو من طرح فكرة اللاؤعي الجماعي، وهو بحسب يونج لاؤعي يخص الجنس البشري ككل، ويحتوي على الذكريات اللاؤاعية لكل ما حدث في حيوات جميع الناس الذين عاشوا من قبل، لكن - كما رجح يونج - إن كان اللاؤعي الجماعي يبدو لا حدود له، إذن لم التوقف هنا؟ ماذًا إن كان اللاؤعي الجماعي شاسعاً كفاية لاحتواء الانطباعات والأحساسات لجميع الكائنات الحية؟ فربما بالفعل يتضمن ما يُطلق عليه بعض العلماء الآن «الوعي الأولي» حتى للنباتات.

هذه الفكرة أن هناك وعيَاً كونيَاً تظهر في شخصية Obe Wan Kanobe في سلسلة Star Wars، فهو يتحلى بالشفقة وحساس بدرجة عميقة لكل مجريته، ويشعر بأي تغيرات طفيفة في «القوة»، فلاسفة الشرق الأقصى كانوا يقولون:

يمتازون بهذه الخاصية، فهم في حالة تناجم جمالي مع كل شيء في محيطهم البيئي، فيرون المئات من الألوان في عالمهم الصحراوي، يلاحظون تفاصيل دقيقة في النور والظل لشيء قد يبدو لنا مجرد لون باهت.

طاقة المُحب كما أنها تنشأ بطبيعتها من الطفل الأوديبي هي أيضاً مصدر للروحانية، خصيصاً لما تسميه التصوف.

في التقاليد الصوفية - التي هي حاضرة في جميع أديان العالم - تقوم طاقة المُحب - من خلال الصوفيين - بالسعى للتتوحد مع العالم والتقرب إلى الخالق في كل شيء، حتى في الحياة اليومية ومن خلال الإنسان الفاني.

نفس الصبي الذي كان يستطيع أن يتخيّل نفسه كنملة، أخبرنا أيضاً بواقعة يمكن اعتبارها بداية التجربة الصوفية، كانت الواقعة بشأن شعور غريب شعر به في لحظات مُعينة أثناء وجوده في مُعسكر كشافة صيفاً، حيث كان يتم إيقاظ المُعسكرات في ساعة متأخرة من الليل، ثم يشقّون طريقهم خلال مسارات الغابة الغامضة في عتمة الليل إلى نقطّة تجمع مُنيرة يُرددون فيها أغاني ورقصات من تقاليد سكان أمريكا الأصلين، قال الصبي: إنه أثناء سيره مع زملائه في الظلام، كان يشعر كثيراً برغبة عارمة لفتح ذراعيه للظلمام ويطرّ فيه،

مع هذه الحساسية لكل شيء داخلي وخارجي تأتي العاطفة، فالترابط الخاص بطاقة المُحب ليس ذهنياً، بل عاطفياً شعورياً، فنحن نختبر الشهوات البدائية على مستوى المشاعر والأحساس، لكن المُحب يشعر بها على مستوى أعمق، الوجود على مقربة من اللاوعي يعني التواجد على مقربة من «النار»: نار الحياة، وعلى الصعيد البيولوجي: نار العمليات الجسدية التي تُحافظ على وجود الجنس البشري، فالمحب - كما نعرف جميعاً - يكون مُشعلًا، غالباً حتى للدرجة التي يصعب التعامل معها.

الرجل تحت تأثير المُحب يُريد أن يلْمِسَ وأن يُلْمَسَ، يُريد أن يلْمِسَ كل شيء جسدياً وعاطفياً، ويريد أن يلْمَسَ كل شيء، هو لا يُعرف بالحدود، إنه يريد أن يعيش ويختبر الارتباط الذي يشعر به مع العالم، داخلياً في سياق مشاعره القوية، وخارجيّاً في سياق علاقاته مع الآخرين، رغبته القصوى هي اختبار وعيش عالم المشاعر والأحساس في كلّيته وشموله.

المُحب - والرجل الذي تحت تأثيره - لديه ما يُسمى «وعي جمالي»، هو يختبر كل شيء - بغضّ النظر عن ماهيته - من منظور جمالي، كل الحياة هي في بالنسبة له، وهي تستحضر مشاعر دقيقة، القبائل البدوية في صحراء كالاهاري

الآخرون اللغات بطريقة ميكانيكية، لكنَّه هو متواصل مع المُحِب يتعلم اللغات عن طريق الشعور بها.

حتى أكثر الأفكار تجريدية - كأفكار الفلسفة والعلوم - يشعر بها المُحِب بحواسه، ألفريد نورث وايتميد - الفيلسوف وعالم الرياضيات السويدي الشهير في القرن العشرين - هو مثال على هذا في كتاباته، التي هي تقنية ومليئة بالمشاعر في نفس الوقت، وأحد أساتذة الرياضيات قال ذات مرة: إنه يستطيع أن يشعر بالبعد الرابع.

الرجل الذي يكون على اتصال عميق مع المُحِب يختبر عمله وزملاءه في العمل من خلال هذا الوعي الجمالي، هو يستطيع أن يقرأ الناس ككتاب، ويكون في الأغلب حساساً بدرجة مذهلة للتغيرات المزاجية، ويستطيع أن يشعر بدوافعهم الخفية، وقد تكون هذه تجربة مؤلمة جداً بالفعل.

جميعنا نعرف أن الحُب يجلب البهجة والألم، فالمحب إذن ليس النموذج الخاص بالبهجة في الحياة فقط، فبسبب قدرته على الشعور بالتوحد مع الآخرين ومع العالم، يشعر أيضاً بآلمهم، قد يقدر الآخرون على تجنب الألم، لكن الرجل المتواصل مع المُحِب يجب أن يتقبله ويتحمله، إنه يشعر بالألم الحياة لنفسه وللآخرين.

شاعراً بالأشجار تقطع جسده الروحاني لكن بدون ألم وبنشوة غامرة، قال: إنه كان يشعر بأنه يُريد أن «يتوحد» مع غموض الظلام المجهول ومع الغابة الليلية المُعجنة والمُطمئنة في نفس الوقت، هذه المشاعر والأحساس هي بالضبط ما يصفه المتصوفون في الديانات المختلفة عندما يحاولون وصف رغبتهم في التوحد مع الغموض الروحي.

الرجل المتواصل مع المُحِب يختبر كل شيء في الحياة عميقاً على هذا التحو، بينما يشعر بالألم والمعاناة في العالم، يشعر أيضاً بنشوة عظيمة، إنه يشعر بالفرح واللذة في جميع التجارب الحسية للحياة، قد يعرف - على سبيل المثال - لذة رحيق الورد، قد يكون أيضاً حساماً للموسيقى.

الكتابة أيضاً قد تكون تجربة حسية بالنسبة للرجل المُحِب، عندما سألنا بعض الكتاب: لماذا يدخل العديد منهم عندما يجلسون للكتابة؟ أخبرونا أن التدخين يجعلهم يسترخون عن طريق فتح حواسهم للمشاعر والأحساس، ويسعون بارتياط عميق مع ما يُسموه «الأرض» أو «العالم»، حينها يتعدد الداخل والخارج في وحدة متكاملة؛ فيستطيعون الإبداع.

اللغة - الأصوات المختلفة والمعنى الدقيقة للكلمات - يتم التعامل معها من قبل المُحِب من خلال عاطفته، قد يتعلم

الرسامون والموسيقيون والشعراء والناحاتون والكتّاب؛ هم جميعهم تعبرات واضحة عن المُحب، فالفنان معروف بأنه حساس وحسبي، لرؤيه هذا علينا فقط رؤية شخصيات الفنان Gauguin المُنتَهِي، الألوان الساطعة لفناني حركة الانطباعية، لوحات Goya ومنحوتات هنري مور، علينا فقط سماع سمفونيات الصوفية لـ «Mahler»، الجاز الرائع لفرقة Wallace Stevens، أو الأشعار الحسية المتأرجحة لـ Hiroshima.

حياة الفنانين الشخصية تكون في الأغلب عاصفة وفوضوية ومتاهية وملينة بالنجاحات والإخفاقات، زيجات فاشلة وإدمان، إنهم يعيشون قريباً جداً من القوة النارية للإشعاع الخلائق.

بطريقة مشابهة، العرافون يعيشون أيضاً في عالم مليء بالأحساس والذبذبات والحدس العميق، وعيهم - كوعي الفنانين - يكون مُنفتحاً بدرجة شديدة للاحتلال من قبل مشاعر وأفكار الآخرين، ومن قبل العالم الغامض للإشعاعي، يبدون كأنهم يعيشون في عالم خلف العالم الطبيعي، ومن هذا العالم الخفي، يحصلون على مفاتيح وأدلة عن ما يجري مع الناس، وقد يستقبلون انطباعات عن المستقبل، لكن العرافين ليسوا بالضرورة رجالين بالصورة التقليدية، فرجل

الرجل الواقع تحت تأثير نموذج المُحب لا يريد أن يتوقف عند الحدود المصنوعة اجتماعياً، فهو يرفض اصطنانعية هذه الأشياء، حياته تكون في الأغلب غير تقليدية وغير منظمة كمرسم الفنان ومكتب الباحث المُبدع، وبالتالي - لأنه ضد النظام - نجد أن في حياته هذا الصراع التقليدي بين الشهوانية والأخلاقية، بين الحُب والواجب، أو كما وصف جوزيف كامل بطريقة شعرية: بين «أمور روما»، «أمور» تمثل تجربة الشغف الحسية، و «روما» تمثل الواجب والمسؤولية تجاه القانون والنظام.

قد تبدو طاقة المُحب - على الأقل للوهلة الأولى - معارضة للطاقات الأخرى للذكر الناضج، فاهتمامات المُحب عكس اهتمامات المُحارب والساحر والملك، التي تهم بالحدود والاحتواء والنظام والانضباط.

وما يسري على نفسية كل إنسان يسري أيضاً على باتوراما التاريخ والثقافات أيضاً.

* الخلفية الثقافية لنموذج المُحب:

ما هي أشكال الحياة التي تُعبر عن نموذج المُحب بوضوح؟ هناك شكلان أساسيان: الأول هو الفنان بصورة عامة، والثاني هو الوسيط (العرف).

جميعاً يتواصلون مع المُحب بهذه المجالات، كلهم يعبرون عن طاقة نموذج المُحب بداخليهم، الخطيب الذي يملأ خطبته أو موعظه بالقصص والمشاعر، هو - كما يقول سكان أمريكا الأصليون - «يُفكِّر بقلبه ليس بعقله فقط»، فهو يتواصل مع المُحب.

جميعنا عندما نتوقف عن الفعل ونسمح لأنفسنا بالشعور، بدون الضغط والرغبة في الفعل، عندما نتوقف لتشمّ زهرة؛ نشعر حينها بطاقة المُحب.

بالطبع، نشعر بنموذج المُحب في حياتنا العاطفية، ففي ثقافتنا هذا هو السبيل الأساسي للتواصل مع المُحب، الكثير من الرجال يعيشون حرفياً من أجل الوقع في الحب، الذي يعني في الحقيقة الوقع تحت التأثير الأخاذ للمُحب، ففي هذه الحالة من النشوة، التي يمر بها حتى أكثرنا قسوة، تتلذذ في محبوبتنا وتتغزل في جمالها الجسدي والروحي، ومن خلال توحدنا العاطفي والجسدي معها، ننتقل إلى العالم السماوي المليء بالنشوة والمُتعة من جهة، والمليء بالألم والمُعاناة من جهة أخرى، وفي هذه الحالة، العالم كله يدُوِّن مُختلفاً لنا، نشعر أنه أكثر حياة وزهوة ومعنى، للأفضل وللأسوء، هذه هي قدرة المُحب.

الأعمال الذي يملك حدساً باطنياً عن الأفكار والسلع التي قد يزيد أو يقل الطلب عليها هو عَرَاف، كذلك نحن نكون عَرَافين عندما نُشكّل انطباعات مُسبقة وحدساً داخلياً بشأن الآخرين، أو بشأن أحداث ومواقف معينة، أو بشأن مستقبلنا الشخصي، ففي هذه اللحظات، تتكشف لنا الوحدة الخفية للأشياء، حتى بطرق تبدو عادية، فعندما نكون متواصلين مع طاقة المُحب، تكون متواصلين مع عوالم لا نكون مدركين لها في العادة.

كل مجال إبداعي وتقريباً كل مهنة، من الزراعة إلى المضاربة بالبورصة، من دهان المنازل إلى برمجيات الكمبيوتر، كلها مجالات تحتاج طاقات المُحب للإبداع.

وكذلك المُتدوّلون المحترفون، فهولاء يقدرون حقاً الطعام الفاخر، النبيذ والتوباكو، وكذلك الخبراء الذين يتميزون في مجال العمارات القديمة، والأثار وكل الأشياء القيمة الأخرى، وحتى المهووسون بالسيارات فهم لديهم شغف رهيب تجاهها، مُمنو السيارات المستعملة، الذين يستمتعون برؤية ولمس السيارات القيمة، الذين يمكنهم رؤية الجمال والقيمة تحت الصدا والفرش المُهترئ، المُعجب الذي يتابع مجالاً أدبياً معيناً أو فرقة موسيقى معينة، متذوق القهوة والشوكولاتة الفاخرة، باائع الأنثيكات المُتميزة، إنهم

رمسيس الثاني يُرجح أنه كان لديه أكثر من مئة زوجة، ويدون ذكر الجاريات، حتى أن بعض الرجال المسلمين الأغنياء اليوم يكون لديهم عدة زوجات، إن طاقة المُحب تعبّر عن نفسها في جميع هذه العلاقات المختلفة بأشكالٍ مختلفة.

الجانب المُظلم للمُحب: المُحب المُدمِن والمُحب العاجز

الرجل الذي يعيش في أي قُلْبٍ من قطبي ظل المُحب، كالرجل الذي يعيش في أي ظلٍ من ظلال الطاقات الذكورية الأخرى، يكون ممَسوساً من الطاقة التي من المفترض أن تكون مصدر حياة وحيوية له إن اتصل بها بالطريقة الصحيحة، وطالما هو ممَسوس من ظل المُحب، هذه الطاقة تعمل على تدميره وتدمير الآخرين حوله،

أكثر الأسئلة قوة وضرورة التي يسألها الرجل الذي يقع تحت سيطرة المُحب المُدمِن هي: «لماذا علىي وضع أي قيود على تجاريبي الحسية والجنسية لهذا العالم الشاسع، ذلك العالم الذي يحمل لي مُتَّعاً لا نهاية؟»

كيف يُسيطر المُدمِن على رجل؟ أحد أكثر الخصائص السلبية أساسية وعمقاً التي تميز المُحب المُدمِن - القطب

قبل أن ننتقل لمناقشة الجانب المُظلم للمُحب، تُريد أن تُلقى نظرة على المُعضلة القديمة، بين الزواج الواحد وتعدد الزوجات، الزواج الأحادي Monogamy ينشأ من نوع حب «أمور»، الذي يُحب فيه الرجل والأثني بعضهم البعض، روحانياً وجسدياً، ويظهر هذا النوع من الحب في عالم الميثولوجيا في قصص الحب بين الإله المصري «أوزوريس» وزوجته «إيزيس»، وبين الإله الكنعاني «בעל» وزوجته «إيات»، وفي الميثولوجيا الهندوسية، هناك الحب الخفي بين «شيفا» و«بافارتي».

الزواج الأحادي لا يزال يُعتبر النموذج الأمثل اليوم، على الأقل في الغرب، لكن المُحب قد يُغُرِّ عن نفسه أيضًا من خلال تعدد الزوجات، أو الزوجات الأحادية المُسلسلة، في الميثولوجيا، يظهر هذا الأمر في الهندوسية في حب كريشنا للـ «جوبيز»، رعاة البقر الإناث، فهو يحب كل واحدة منهاً بشدة، يحب كل واحدة بكل قدرته على الحُب، فتشعر كل واحدة منها أنها مُميزة ومُقدرة، في الميثولوجيا الإغريقية، «زيوس» لديه معشوقات عديدات في العالم السماوي وفي العالم الأرضي، في التاريخ البشري، يظهر هذا الجانب من المُحب في «حرير الملك»، الذي يُرى من العين الأحادية برع واعجاب في نفس الوقت، الملك المصري القديم

وفي نوبة جنون، أخذ يركض من ملحوظة للأخرى، محاولاً بجنون الالتزام بكل مُهمة، فكانت حياته عبارة عن فوضى من الحساسية المُفرطة، فقد أصبح ضائعاً في حواسه الخاصة.

هناك حالة أخرى لرجل كان يدرس اللغة العربية في مدرسة ليلية، ويسبب أنه ممossوس من **المُحِبُّ الْمُدَمِّن**، فقد تعامل مع اللغة بأحساسه، **مُسْتَمْتَعًا** بكل حرف غريب وشاعرًا بكل صوت وسكون وتفاصيل الكلمات، في النهاية، وصل مرحلة كان فيها **مُنْغِمًا** تماماً في مشاعره، ولم يستطع إكمال التعلم، فلم يقدر على تحقيق الانفصال اللازم لتذكر الحروف والكلمات، ولم يتمكن من أن يستوعب كلمة واحدة أخرى، وبالرغم من أنه كان في البداية الأول على فصله؛ سقط إلى القاع سريعاً.

فهو لم يكن يتحكم في اللغة، بل كانت اللغة تحكم به، لقد أصبح «**مُدَمِّنًا**» للعبرية، ضحية المشاعر التي وجدها فيها، أصبح ضائعاً.

أحد الرجال كان لديه شغف للسيارات العتيقة التي كانت أغلى من دخله المادي، كان يُجتذب مراياً وتكراراً لشرائطها والعناية بها، «**ضائعاً**» في جمالها الأخاذ، بالرغم من الشحوم الواضح لموارده المادية، حتى ظهرت الحقيقة المُرّة،

الموجب للجانب المُظلم لنموج المُحب - هي ضياعه، الرجل الممسوس من قبل ظل المُحب يُصبح ضائعاً حرفيًّا في بحر من الأحساس، حتى أبسّط الأحداث في العالم الخارجي تكون كافية لفقدانه توازنه والإطاحة به خارج المركز، إنه ينجذب إلى الوحدة الشديدة في المساء، وإلى الخراب العاطفي بسبب خلاف في مكتب العمل، ينجذب إلى تملق السيدات اللوالي يراهن في الطريق، كأنه يتم جرجرته في اتجاه مُعين ثم جرجرته في اتجاه آخر، فهو لا يتحكم بزمام أمور حياته، إنه يصبح ضحية لحساسيته، فيتورط في عالم مليء بالمشاهد والأصوات والأحساس اللامسيّة، يُمكّنا هنا ذكر مثال: الفنان فان جوخ الذي ضاع في أوّلاته ولوحاته وفي الديناميكية العنفية لنجوم الليل التي صورها.

هناك حالة لرجل كان حساساً للغاية لدرجة أنه لا يتحمل أقل قدر من النور في غرفته ليلاً، وأصحابه الجنون حرفيًّا بسبب الضوضاء من الشقق الأخرى في المبني، وهو في نفس الوقت كان لديه إمكانية أن **يُصْبِح مُلْحِنًا مُوسيقيًّا رائعاً**، لم يستطع أن يُعي الألحان والكلمات تقipض داخل عقله فسمعها حرفيًّا، وفي محاولة باشعة لإبقاء حياته على الحد الأدنى من التنظيم، كتب مئات **المُلُاحظات** على ملصقات وألصقها في جميع أرجاء شقته، على المرآيا والسرير وعلى طاولة الطعام والأبواب،

Reinhold Niebuhr بـ «خطيئه الشهوانية»، وما دعاه الهنودس بالـ «مايا» رقصة الوهم، الرقصة المدمنة على الأحساس المادية، التي تستعبد العقل، وتُبقينا عالقين في دورات من المُتعة والألم.

ما يحدث عندما تكون مُشتعلين بنار الحب، شُموي بنار سكرة الحنين والشوق، هو أننا نفقد القدرة على الانفصال وعلى أخذ خطوة للخلف وعلى التصرف، فقد القدرة على أن تُصبح أنفسنا بعيداً عن الحُب، لا نستطيع أن نحصل على مسافة بعيدة عن مشاعرنا، وكم من حياة دُمرت بسبب أننا لا نستطيع أن نُخرج أنفسنا من علاقة مؤذية، فعندما نشعر أننا عالقون في علاقة إدمانية، يجب علينا توخي الحذر؛ لأن هناك احتمالية كبيرة أننا وقعنا ضحايا بالفعل للجانب المُظلم للمُحب.

في ضياعه - الداخلي والخارجي - يكون الواقع في القطب المُوجب للجانب المُظلم للمحب مضطرباً أبداً، هذا هو الرجل الذي يبحث دائمًا عن شيء ما، هو لا يعرف ما الذي يبحث عنه، لكنه كالـ Cowboy في نهاية الفيلم الذي يمضي بحصانه إلى الأفق بحثاً عن مغامرة أخرى، غير قادر على الاستقرار، لديه جوع لا يُشبع لتجربة أي شيء آخر سوى

واكتشف أنه مُليس، وأضطر لبيع سياراته المحبوبة ليتفادى دخول السجن.

هناك قصة عن رسام أخذ المال القليل المتبقي في المنزل، المال الذي كانت تحتاجه زوجته لشراء الغذاء لأطفالهم، وصرفه على شراء أدوات رسم وألوان لمشروع رسم كان يعمل عليه، لقد كان يُحب زوجته وأطفاله، لكن كما قال: كان يشعر أنه مُجبر على التعبير عن فنه، فقد «اضاع» في فنه، وفي النهاية خسر عائلته.

هناك أيضاً قصص الذين يُسمون «الشخصيات الإدمانية»، الذين لا يستطيعون التوقف عن الأكل والشرب والتدخين أو تعاطي المُمخررات، أحد الشباب الصغار كان مُدحثاً شره، وقد حذر أطباؤه أنه يجب أن يُقلع عن التدخين، وإلا سيصاب بسرطان الرئة، فقد كانت لديه بالفعل الأعراض البدائية، وبالرغم من أنه كان يرغب في العيش، لم يقدر على أن يُقلع عن التدخين، فقد كان يستمتع بشدة بالتجربة الحسية للتدخين، ومات الشاب بالفعل، ضائعاً في إدمانه العاطفي على التبغ.

هذا الضياع يظهر أيضاً في الطريقة التي يعيش بها المُدمين، فهو يعيش فقط لأجل المُتعة اللحظية، ويعلق في شبكة تسلله عن

في «وفرة الأشكال» - كما يقول الهندرسون والصوفيون - لا يستطيع إيجاد التوحد الذي سيجلب له الهدوء والاتزان.

هذه صورة أخرى لما سمته بعض الأديان القديمة بـ «الوثنية»، فالمدمن المحب يستبدل بدون وعي تجاريه المشتتة مع قوة الاتحاد التي لا يخترها أبداً، وهذا يظهر مجدداً في الظاهرة المُثيرة للاهتمام بشأن تجميع الإباحيات، فالرجل الواقع تحت تأثير طاقة المحب المدمن يحتفظ في الأغلب بمجموعة كبيرة من الأفلام والصور الإباحية، بل ويصنفها أيضاً بحسب مناطق الجسد، ثم يستمتع بالمقارنة بين هذه الصور، فهو يُعِجب بجمالأعضاء جسد المرأة، لكنه لا يستطيع أن يرى الأنثى ككائن كامل جسدياً أو سيكولوجيًّا، وبالتالي لا يراها كوحدة بين الجسد والروح، كإنسانة كاملة يستطيع أن يخبر معها علاقة إنسانية حقيقة عميقة.

هناك أيضاً تضخم اللاوعي في هذه الصورة من الوثنية، فالرجل الفنان الذي يختبر - من منظوره الشخصي - هذه الأشكال والصور اللابنائية من الجمال التي خلقها الله، يعتبر نفسه في اللاوعي «إله الحب» الذي لديه الحق بل الواجب في التأمل والإعجاب بكل هذه التجارب الحسية للجمال.

الذي اختبره بالفعل، وكأنه مجبور على توسيع آفاق ليس معرفته - فالمعروفة قد تُحرر - بل شهوانيته وحسيته، وهذا التوسيع يتم بغض النظر عن الشمن المدفوع في المقابل، إنه «جيمس بوند» و«إنديانا جونز»، يُحب ويُهجر ليُحب مجدداً، ثم يهجر مجدداً.

هنا نرى مُتلازمة «دون جوان»، ونرى أساس المشكلة بين أحادية الزواج والرغبة في التعددية العاطفية، فأحادية الزواج - بصورة مُعقدة - يُمكن رؤيتها على أنها ناتج التمركز العميق في نفس الرجل، فهو ليس محكوماً بالقواعد الخارجية بل بأنظمته الداخلية، بشعوره الخاص عن الذكرة الناضجة وبوجهه الداخلية، أما الرجل الذي ينتقل من أنثى لأخرى، باحثاً بوسوسة قهقرية عن شيء لا يعرف ماهيته، هو رجل لم تشکل وتتجذر قيمه الخاصة وأساساته الداخلية بعد، ولأنه مشتت داخلياً وليس مُتمركاً، يتم جره ودفعه في جميع الاتجاهات من قِبَل وهم المثلية التي يظن أنها موجودة في عالم الأنثى والتجارب الحسية والجسدية.

بالنسبة للمحب المدمن، يُقدم العالم نفسه كشتات مُحيرة من كمال مُبهر وفقدان، فهو عندما يكون محصوراً في الواجهة، لا يرى الخلقة الأساسية، عندما يكون محصوراً

علماء النفس يُطلقون على المشاكل التي تتبع من المُحب المُدمِن «مشاكل حدود»، فالرجل الممسوس من المُحب المُدمِن لا يوجد لديه حدود، فكما قلنا: المُحب لا يُريد أن يكون محدوداً، وعندما يُسيطر علينا المُحب تُصبح لا تُطيق الحدود مهما كانت.

الرجل الممسوس من المُدمِن المُحب هو في الحقيقة ممسوس من اللاوعي، لاعبيه الشخصي واللاوعي الجماعي، فهذا اللاوعي يغمره كأنه بحر، أحد الرجال كان يراوده حلم متكرر بأنه يركض في شوارع شيكاغو، مُختبئاً خلف ناطحات السحاب من موجة عملاقة آتية من بحيرة ميشيغين، هذه الموجة كانت تتحرك بسرعة كبيرة جدًا، وكانت تهدد المدينة بأكملها، كان نومه يضطرب كل ليلة، ليس فقط بسبب هذا الحلم، بل أيضًا بسبب فيضان من الأحلام الأخرى، لقد كان لديه خلل - كما اكتشفنا لاحقاً - في الحدود بين أناء الوعية والقوة الساحقة لللاوعي.

كون أن اللاوعي ظهر له في الحلم كموجة عالية من بحيرة - تذكر بتلميذ المشعوذ الذي غمره الماء - يتوافق تماماً مع الصورة العالمية اللاوعي كالبحر الفوضوي العميق في الكتاب المقدس أو المُحيط البديهي في قصص الخلق للحضارات

القلق والضياع الذي يشعر بهما الواقع تحت تأثير المُدمِن المُحب هم في الحقيقة تعبر عن محاولته في البحث عن الخروج من «شبكة العنكبوت» التي هو عالق فيها، فالرجل العالق في شبكة «المايا» يتلوى ويقلب وهو يُعاني محاولاً إيجاد مخرج من العالم، لكن بدلاً من سلوك المخرج الوحيد المُتاح، إذ به يجعل مأزقه أعمق، ومشكلته أكثر تعقيداً، كمن يُرسُس في الرمال المتحركة بجنون فيغطس بعمق.

يحدث هذا لأن ما يظن أنه مخرج، هو في الحقيقة طريقه للسقوط والتيه أكثر، ما يسعى إليه المُحب المُدمِن - بالرغم من أنه لا يدرك هذا - هو النشوة والذرورة العُظمى الدائمة؛ ولهذا السبب ينتقل من قرية لأخرى ومن مغامرة لأخرى، لهذا السبب ينتقل من امرأة لأخرى، ففي كل مرة يكتشف في أمرأته طبيعتها الأدبية الفانية، ضعفها ومحدوديتها، محظمة حلمه في إيجاد النشوة الخالدة - أي عندما يزول وهم الجماع الجنسي والروحاني المثالي معها - في كل مرة يصطدم بهذا الواقع يركب حصانه وينذهب ليبحث عن نشوة جديدة، إنه دائمًا يرغب في جرعة من السعادة الذكورية، وهو لا يعرف أين يبحث عن هذه الجرعة، وقد يتنهى الأمر بأنه يبحث عن روحانيته في سطر من الكوكايين.

بعانى للخروج، هناك مشهد رائع في فيلم Mishima يظهر فيه الصغير «ميشيمما» وهو مُعجب - إلى حد الهوس - بصورة الهيكل الذهبي (الأم، اللاوعي) فهذه الصورة تكون جميلة جداً بالنسبة له لدرجة أنها تأولمه، وتُصبح الصورة مؤلمة لدرجة أن عليه أن يحرقها ليتخلص من تأثيرها، أي إنه يجب أن يُدمر الطاقة الأنثوية الطاغية التي زادت عن حدها داخله فأصبحت تمنعه من تحقيق ذكورته الناضجة، فيقوم بذلك فعلاً.

هذه الحاجة للانفصال والاحتواء في نفس الوقت للقوة الفوضوية للالواعي المليء بالطاقة الأنثوية، قد تُفسر أيضاً بعض الانحرافات الجنسية لدى الرجال، خصوصاً الانحرافات المتعلقة بـ«الاستعباد» Bondage والمتعلقة بالعنف الجنسي تجاه المرأة، فيمكننا أن نُفسر هذه الرغبات والأفعال المُنفرة كمحاولات - مثل ميشيمما - لـ«تكتيف» وإخضاع القوة الهائلة اللاوعي.

إن كان «ابن أمه» يرغب في لمس ما هو ممنوع من لمسه، وأن يتخطى الحدود التي يعتبرها مُصنعة، إذن فالمحب المُدمِّن، النامي من نموذج ابن أمه، يجب أن يتعلم أهمية وقيمة الحدود بالطريقة الصعبة، يجب أن يتعلم أن عدم وجود بنىان ذكوري مُنظم بداخله وعدم انتباهه وعواقب علاقاته

القديمة، هذا المُحيط الفوضوي - الذي يُمثل اللاوعي - كان يظهر في الميثولوجيا القديمة كطاقة مؤنة، هذه الموجة العالية في حلم الرجل كانت في الحقيقة تمثل الخطر الكبير التي تُشكّل عقدة الأم لديه، التي لم تكن محلولة أو واعية، ما كان يجب عليه فعله هو أن يبني أساسات الذكورة لشخصيته بعيداً عن اللاوعي المؤنث، كان يحتاج لأن يرجع إلى مرحلة «البطل» في تطوره الذكوري ويُحارب تنين تعلقه المُفْرط بأمه، أمه الحقيقة وأمه الرمزية.

هذا بالضبط ما يُعنينا المحب المُدمِّن من فعله، فهو يُعاني من وضع الحدود، لكن الحدود عندما تُبنى على أسس بطولية، تكون ما يحتاجه تماماً الرجل المسموس من المحب المُدمِّن، فهو لا يحتاج إلى المزيد من الشعور بالاتحاد والحب مع كل الأشياء، فهو لديه بالفعل الكثير من هذا الاتحاد، ما يحتاجه هو المسافة والانفصال ووضع الحدود.

إذن يمكننا أن نرى الآن أن الجانب المُظلم للمحب في قطب الموجب - المحب المُدمِّن - هو استكمال لنمط التعلق المُفْرط بالأم الذي يميّز «ابن أمه»، القطب الموجب لنموذج الطفل الأُوّديبي، أي إن الرجل تحت سيطرة المحب المُدمِّن ما زال واقعاً تحت سيطرة طاقة الأم - رمزيًا أو حرفيًا -، وهو

الحماس والحيوية والنشاط، ستشعر بالملل والركود، قد تواجه مشاكل في الاستيقاظ صباحاً أو النوم مسامِّة، قد تجد أنفسنا نتحدث بنبرة واحدة مُمْلأة، قد تشعر أننا مُبعدون بصورة متزايدة عن عائلتنا وزملائنا في العمل وعن أصدقائنا، قد تشعر بالجوع لكن نفتقد للشهية، قد تنشر حرفياً بالمقوله الشهير: «لا جديد تحت الشمس»، باختصار: تُصبح مُكتبيّن.

الأشخاص الذين يقونون تحت سيطرة المُحب العاجز بصورة مُعتادة يكونون مُكتبيّن بشكل مُزمن، يشعرون أنهم مُفتقدون للتواصل العميق مع الآخرين، بل ويشعرون أنهم مُنفصلون حتى عن أنفسهم، نرى هذا الانفصال عادةً في جلسات العلاج والتحليل، فقد يلاحظ المعالج بوضوح شعوراً مُعيّناً يحاول الظهور على المريض، عن طريق تعابيرات وجهه أو لغة جسده، لكن عندما يُسأَل المريض: بماذا يشعر؟ لا يكون لديه أدنى فكرة، قد يقول مثلاً: «لا أعلم، أنا أشعر فقط ب نوع من الضباب، كل شيء ضبابي»، وهذا يحدث في الأغلب عندما يقترب المريض من مادة «ساخنة»، مما يحدث حينها هو أن هناك جداراً يظهر بين الأنماط الواقعية وبين المشاعر، هذا الجدار أو الدرع هو الاكتئاب.

هذا الانفصال قد يصل لدرجات شديدة الخطورة تُسمى في علم النفس «اضطرابات التفارقية» Dissociative Phenomena،

الفوضوية وعقد السلطة الخاصة به؛ كل هذا سيقوده لا محالة إلى الكارثة، سيتم طرد من العمل، وزوجته - حتى إن كانت تُحبه - ستتركه في النهاية.



لوحة «دون جوان» - من أرشيف Bettman

من الناحية الأخرى، ماذا يحدث عندما تشعر أننا مُنفصلون تماماً عن المُحب في صورته المُتكاملة؟ تكون حينها ممسوسيّن من المحب العاجز، ستحتقر حياتنا بدون مشاعر عميقه، ستشعر بالعقل والراتبة والبهتان في حياتنا، ستفتقد

سيطرة المحب العاجز تموت حياته الجنسية، يُصبح خاماً جنسياً، وقد ينبع هذا الخمول والبرود الجنسي من عوامل متعددة، كالملل من الشريك الحميمي، المشاكل والخلافات في العلاقة، الضغط الذهني والجسدي من العمل والمشاكل المادية، أو شعور الرجل أنه مُستضعف من قبل رجال آخرين.

في التماهي مع المُحب العاجز، يرجع الرجل إلى حالة صبيانية ما قبل الجنسية، أو يعيش النقص بالانخراط في نمودج المُحارب أو الساحر، أو أحياناً يقوم بالثلاثة معاً، فرغبة وحساسيته الجنسية والحسية يتم غمرها من قِبَل اهتمامات أخرى، ومع تزايد الضغط من قِبَل شريكه الجنسي - زوجته - تكون ردة فعله أن ينحاز أكثر للقطب السالب لجانب المُحب المُظلم، وحينها القطب المُعاكس للجانب المُظلم قد يُقذنه عن طريق سحبه لجانب المُحب المُدمٌ، وجعله ينخرط في رحلة البحث عن استمتاعه الجنسي بعيداً عن الحياة المُملة في علاقته الأصلية.

التواصل مع المُحب:

إن كانا تتوافق مع المَحِب بصورة صحيحة، لكن بدون أن يؤثر سلبيًا على بناء الآنا المُنظمة الخاصة بنا، سنشعر بالاتصال

وهي حالة تكون أحد أعراضها - بجانب أعراض أخرى - أن يبدأ المريض بالتحدث عن نفسه كأنه طرف ثالث، فبدلاً من أن يقول: «أنا أشعر» بهذا وذاك، يقول: «جون يشعر بهذا»، قد يرى نفسه كأنه غير حقيقي، وقد تبدو حياته كأنها فيلم يشاهده لحظة بلحظة، هؤلاء الرجال هم ممossوسون بشكل كامل وخظير من المحب العاجز.

لكتنا جميعاً نعلم أننا عندما نكون مُكتتبين نفقد - في
معظم الحالات - العزيمة والحافز للقيام بالأشياء التي إما
نريد أن نقوم بها أو التي يجب علينا القيام بها، وهذا يحدث
كثيراً للكبار السن، فمشكلاتهم الجسدية وانزعاجهم الاجتماعي
وعدم انخراطهم في عمل مُقيّد يسحبهم إلى الاكتتاب، الشهية
للحياة تتلاشى، ويبدو أن طاقة المُحب ضاعت دون رجعة،
حينها يتوقف هؤلاء الرجال الكبار في السن عن إعداد الطعام
لأنفسهم، أو يتوقفون عن أخذ الدواء، فهم يشعرون أنه لا داع
لمزيد من العيش، فبدون روح التحفيز والحيوية لطاقة المُحب
يهرّب الناس.

لكن ليس فقط غياب الأمل هو ما يؤشر على وجود القوة المستبدة للمُحب العاجز في حياة الرجل، بل أيضًا غياب الشهوة الجنسية والاتصال بالمتخصصين، فالرجل الواقع تحت

ليتمكن من توجيهها إيداعياً، بدون حدود تصبح طاقة المُحب ضارة ومدمرة، المُحب يحتاج للمُحارب ليتمكن من التصرف بحسن عند الضرورة، وليمكن من شق مخرجه بضربي سيف، ليخرج من شبكة الحسية والشعور التي تشنّ العركة، المُحب يحتاج للساخر ليحافظ على مسافة صحية بينه وبين التأثير الخطر لمشاعره؛ ليتمكن من التأمل من بعد ورؤيه الأمور من منظور أكثر موضوعية، يحتاج الساحر لرؤيه الصورة الأكبر وليخبر الواقع خلف الستار الظاهر.

للأسف، الهجمات الضاربة على حيويتنا ولمعانتنا تبدأ في مرحلة مبكرة من حياتنا، فالكثير منا كَبَّ المُحب وطاقته للدرجة أنه أصبح من الصعب جداً أن نشعر بالشغف تجاه أي شيء في حياتنا، فمشكلة معظمنا ليست أنها نشعر بالكثير من الشغف - أي إفراط في طاقة المُحب - بل على العكس، المشكلة أنها لا نشعر بأي نوع من الشغف، لا نشعر بالمرح، لا نشعر أنها قادرون على العيش عميقاً، وغير قادرین على عيش الحياة التي كنا نرغب في عيشهما، قد نظن أن المشاعر - وخصوصاً مشاعرنا الشخصية - هي أباء مُزعجة، ولا يجب الشعور بها كرجال، لكن دعونا لا نتنازل عن حياتنا، دعونا نجد العفوية والمرح الحياني بداخلنا، حينها لن نعيش حياتنا بوفرة

والاتصال، سنشعر بالحيوية والحماسة، سنكون حنونين وشفوقين و مليئين بالطاقة، وسيكون لدينا منظور رومانسي تجاه حياتنا وأهدافنا وعملنا وإنجازاتنا، إنها طاقة المُحب، عندما يتم التواصل معها بصورة إيجابية، هي ما تُعطينا المعنى الوجدي، الذي يُطلق عليه «الروحانية»، المُحب هو مصدر شوقنا لعالم أفضل لنفسنا وللآخرين، المُحب هو الحال والساعي للمثالية، هو من يريد لنا كل خير، «أنا هنا لأجل لك الحياة لتكون عامرة» يقول المُحب.

المُحب يحافظ على إنسانية الطاقات الذكورية الأخرى ويعيقها مُترابطة ببعضها ومتصلة بالبشر الآخرين الذين يُعانون في عالم صعب مُعيَّب، الملك والمُحارب والساخر ينسجمون بشكل جيد مع بعضهم بعضاً كما رجحنا سابقاً، وهذا الانسجام سببه أنهم - بدون المُحب - مُنفصلون بعيداً عن الحياة، فهم يحتاجون المُحب ليملأهم بالطاقة ل يجعلهم إنسانين وليعطيهم هدفهم الأسمى وهو الحب، إنهم يحتاجون المُحب ليمنعهم من أن يكونوا ساديين.

لكن المُحب يحتاجهم أيضاً، فالـمُحب بدون الحدود الالزمة - في خضم الفرضي للشعور والأحساس - يحتاج الملك ليضع له الحدود، وليعطيه النظام وينظم هذه الفرضي

«الصبيانية» - أي سيادة حكم الصبيان وليس الرجال الناضجين -، وربما فعلاً عالمنا البشري كان دائمًا مشابهًا لجزيرة «جولدينج» في الرواية، لكن على الأقل، كان هناك قديمًا بعض الأنظمة - أو بالأحرى الطقوس - التي تُوقظ مستوى أعلى من النضوج الذكوري، مستوى أعلى مما يُعتبر القاعدة العامة حالياً، في ظل ثقافتنا المعاذية للنظام والمُعاذية للطقوس والرموز.

ففي الماضي، كان هناك على الأقل بعض الملوك الصالحين المُقدسين الذين يمثلون القدوة الحسنة للرجال في المملكة؛ مما شجع الرجال على أن يُسقطوا ملوكهم الداخلي على الملك الفعلى، مُفعّلين بذلك هذه الطاقة الذكورية داخلهم بشكل غير مباشر، وبالتالي كيده كان هناك وقت كانت فيه طاقة المُحارب فعالةً ومؤثرةً - لصالح الخير والشر - في تكوين وتشكيل حياة وهوية الرجال والحضارات التي بنوها، كما أن الساحر كان حاضرًا، بالرغم من سريته ومعرفته التي يحصل عليها البعض فقط، لكنه كان حاضرًا ليُساعد الرجال في حل مشاكلهم العميقية، وإفاده المجتمع عن طريق التحكم الجزيئي في العالم الطبيعي غير المتوقع وفهم الأنماط الخفية لهذا العالم، وكذلك المُحب كان حاضرًا، وكان يعتلي أعلى

فقط، بل سنستطيع تمكين الآخرين - ربما للمرة الأولى - أن يعيشوا حياتهم هم.

الاستنتاج:

النفاد إلى طاقة النماذج الذكورية

فيلم Lord of the Flies «أمير الذباب» المبني على الرواية الكلاسيكية الرائعة لـ «وليام جولدينج» التي تدور حول صبيان المدرسة الذين علقوا في جزيرة أستوائية، عندما تم إنتاج فيلم جديد^(١) قام النقاد بالتساؤل: لماذا تمت إعادة صياغة القصة؟ وبالرغم من أن هذه النسخة الحديثة من الفيلم ليست على مستوى عالي سينمائياً، إلا أن العمل الأصلي - بأي شكل له - يعبر بشكل مباشر وقوى عن الوضع الإنساني القائم على هذا الكوكب.

ربما لم يكن هناك قط أي فترة زمنية كانت فيها نماذج الذكورة الناضجة أو الأنوثة الناضجة اليد العليا في الحياة البشرية، فيبدو أننا كجنس بشري نعيش تحت لعنة الطفولة والصبيانية؛ لذا فالنظام الذي يُسمى «بالأبوية» هو في الحقيقة

(١) الفيلم الجديد انتج سنة ١٩٩٠ والقديم سنة ١٩٦٣. وقد تم تغير الأحداث في الفيلم الجديد عن الأحداث الأصلية في الرواية. المُترجم

بما لم يكن حتى التفكير فيه ممكناً، فتاربخياً تم استدعاء هذه العلاقات لوضع النظام والقواعد من قلب الفوضى، لتحفيز فيض هائل من الإبداع والتوليدية كهذا التي أنتجت الحضارات الأولى؛ للحصول على القدرة لتسخير الطبيعة الداخلية والخارجية، ولتوليد التقدير الحسي والترابط العاطفي، ربما عملية النمو هذه الخاصة بجنسنا اتجهت نحو هذا الاستيطان الجذري - أي اختفاء طاقات النماذج الناضجة في خبابا النفوس السيكولوجية في الإنسان الحديث - بهدف استيعاب وإدراك هذه الطاقات مجدداً في وقت لاحق في المستقبل.

إن كان عصرنا عصر الفردية (Individualism) بمعناها الأعمق وكذلك الأكثر سطحية، إذن لنُصبح فردين! لنُذْي وندعم ونُرحب بالأفراد العظماء، الرجال الذين سيتقدمون بطاقتهم لإنقاذ هذا العالم، باستخدام صلاح الملوك السابقين، شجاعة وحسم المُحاربين القُدامى بحكمة السحرة وشغف المُحبين، فهناك بكل تأكيد مشاكل واحتياجات عالمية كافية لإبقاء كل رجل على وجه الأرض مشغولاً في العمل الدؤوب حتى المستقبل.

مدى فاعليتنا في مُواجهة هذه التحديات مُرتبط بشكل مُباشر بمدى مُواجهتنا - كرجال - تحديات عدم نُضجنا

درجات التقدير والاهتمام في الثقافات التي كانت تقدّر العرافين والرسل ورسامي الكهوف والشعراء.

كل هذا تغير الآن، تم استبداله بالثراء المادي والتعظيم الشخصي، بالرغم من أن عالمنا يحتاج الطاقات الذكرورية في شكلها الناضج الآن أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، إنما المقارقة عجيبة أن الوقت الذي تبدو فيه الحضارة كلها على مشارف التقدم نحو أعظم «مبشرة» لها - التحول من الحياة المستتبّلة للقبائل إلى حياة أكثر وحدة واتحاداً - هو الوقت ذاته الذي تخفي فيه العملية الطقسية التي تحول الصبيان إلى رجال، تختفي فيه هذه العملية الأساسية من الكوكب كله، إنه لمن العجيب تماماً في الوقت الذي يحتاج فيه أن تستبدل الطفولية بالتضوّج - أن يتحول الصبيان إلى رجال والبنات إلى سيدات - لصالح نجاتنا وتقدمنا كجنس بشري، في هذا الوقت بالتحديد فقد كل ما قد يُساعدنا على هذا التحول؛ فنُعاني جميعاً ونظل نطمح لمُستقبل أكثر حكمة وحدنا تماماً.

ربما هكذا يجب أن تكون الأمور، فالعملية التطورية الطبيعية وضعت الموارد القوية للنماذج الذكرورية الأربع داخلاً كل رجل، وتم استدعاء طاقات هذه النماذج في فترات مختلفة من التاريخ البشري لحل المشاكل الصعبة و للقيام

الجانب المُظلم أو الظل للنماذج ظاهر في حياتنا، فالسؤال الصريح والواضح هو كيف تظهر بالفعل هذه الجوانب المُظلمة في حياتنا، دعونا نذكر مفتاح النضوج، مفتاح التحول من سيكولوجية الصبي إلى سيكولوجية الرجل هو الانسам بالتواضع، والتواضع لا يعني الذل، نحن لا نطلب أبداً من أي رجل أن يُهين أو يذل نفسه أو من قبل أي شخص آخر، لكننا جميعنا نحتاج للتواضع، دعونا نذكر أن التواضع مُكون من عاملين أساسيين: الأول هو معرفة حدودنا وقدراتنا، الثاني هو الحصول على المساعدة التي تحتاجها.

ومع افتراض أننا جميعنا نحتاج للمساعدة، سنطلع الآن على ثلاثة أساليب هامة للوصول إلى المصادر الإيجابية للطاقات التي نفتقد لها في حياتنا.

١ - حوار التخييل الفعال:

أول هذه الأساليب يُسمى في علم النفس «حوار التخييل الفعال»^(١)، وفيه تدخل الأنماط الوعية في حوار مع شتى الكيانات غير الوعية، طاقات وأنظمة مختلفة ومناظير مختلفة بداخلنا،

(١) أول من يستخدم أسلوب التخييل الفعال Active Imagination في مجال علم النفس التحليلي هو كارل يونج، وقد استخدمه كطريقة لإدراكية للتواصل مع - والنفاذ إلى - محظيات الوعي، عن طريق التخيل، الكتابة، الحوار الذاتي، الرسم أو القيام بأي عمل فني. للمزيد عن

الخاصة بنا، مقدار نجاحنا في تحويل أنفسنا من رجال تحت سيطرة السيكولوجية الصبيانية إلى رجال حقيقيين نترشد بنماذج السيكولوجية الرجالية الناضجة، مقدار هذا النجاح سيكون له تأثير مباشر على الناتج والاتجاه الذي سيسلكه عالمنا الحالي.

أساليب التواصل مع النماذج الأربعة:

لقد أوضحنا أبعاد المُشكلة بشكل موجز هنا في هذا الكتاب القصير، ورسمنا الخطوط العريضة لطاقات النماذج الذكرية في صورتها الناضجة وغير الناضجة، وأوضحتنا كيف تتفاعل هذه النماذج والطاقات مع بعضها بعضًا وكيف يولّد أحدها الآخر في شكلها التظليل - أي جانبها المُظلم - وكذلك في شكلها المُتكامل، كما ذكرنا بعض الأساليب التي تُمكّن الإنسان من التواصل مع هذه النماذج والنفاذ إلى طاقتها، في الصفحات المُتبقية، سنلقي نظرة أكثر عمّقاً على هذه الأساليب والطرق التي تُستَخدَم للتواصل مع النماذج الذكرية بشكل صحيح وإيجابي.

أول خطوة لنصل لهذا هي التقييم الذاتي النقدي، وقد ذكرنا أكثر من مرة أنه لا يوجد فائدة من سؤال أنفسنا إذا ما كان

ومتعاطفة على شكل غير متوقع، فأصبح هو الآخر يتعامل بلطف، بالرغم من أنه كان يعرف أن الموظف كان يقصد تملقه.

وغالباً أيضاً عندما يتهمي موقف حاد ما، نقول لأنفسنا: «لا أدرى ماذا أصابني».

ما أصابنا وما غير كلامنا وسلوكنا الذي كنا قد خططنا له، هو ما يُسمى في علم النفس «عقدة مستقلة»، وخلفها يختبئ أحد أقطاب الجانب المظلم لظل نمودج ما، سيكون من مصلحتنا أن نواجه هذه الطاقات المتمردة التي تكون في الأغلب سلبية، قبل أن يجعلنا هذه الطاقات نقول أو ن فعل أشياء نندم عليها لاحقاً.

حوار التخييل الفعال هو أسلوب هام للتواصل بالفعل مع هذه العلاقات، والدخول معها في جماعات «إدارية»، هذه العلاقات التي تلبس وجهنا مؤقتاً في الحقيقة أزلية وعالمية، في الحوار التخييلي الفعال نقوم بالتحدث مع هذه النماذج، مُستدعين واحداً أو أكثر منهم ونعطيه منظورنا بشأن موضوع معين، ثم نستمع لردوده أو ردودهم، من الأفضل أن نقوم بذلك على ورقة، عن طريق كتابة أفكار ومشاعر كلا الآنا و«خصوصها»، عندما تظهر هذه الأفكار والمشاعر، وبدون أن

خلف هذه المناظير المختلفة - أحياناً وبشكلٍ غامض - توجد النماذج في شكلها الإيجابي والسلبي.

جميعنا نتحاور مع أنفسنا، لكن غالباً بشكلٍ غير فعال، فغالباً ما نكون نتحدث لأنفسنا، هناك نكتة بالطبع تقول: «من المقبول أن نتحدث مع أنفسنا، طالما لا نرد على أنفسنا»، لكننا بالفعل نرد على أنفسنا، ونفعل هذا طوال الوقت، نرد على أنفسنا شفهياً أحياناً بصوت عالي أو داخل عقولنا، لكن أحياناً نرد على أنفسنا عن طريق الأحداث والأشخاص التي توجد في حياتنا بدون رغبتنا أو إرادتنا الوعي، نرد على أنفسنا أيضاً عن طريق تغيير فعلي سلوكِي لا إرادياً لمنظور أو لسمة نرفضها بصورة واعية.

على كل رجل قد مر بهذه التجربة - على سبيل المثال - أن يخطط أو يجهز لما سيقوله أو يفعله قبل أن يدخل إلى اجتماع مهم، أو كيف سيُويبح عملاً في ورشة لعدم إكماله العمل في الوقت اللازم، ثم يذهب ليقول وي فعل شيئاً آخر في الاجتماع، كان قد خطط أن يحافظ على هدوئه وبوّضح بصرامة وهدوء وجهة نظره، لكن عندما يبدأ الآخرون في التذمر، يجد نفسه فجأة - محاولاً التغلب على خصوصه - غاضباً بالصياح، في الورشة خطته تم قطعها عن طريق موظف يتحدث بصورة لبقة

هذا الأسلوب يمكن الرجوع إلى كتاب «Jung on Active Imagination». المؤرخ

لكن أحياناً يكون المُعذب وحشياً لدرجة أنك تحتاج العنون الخارجي للتعامل معه والاستمرار في الحوار معه، إن كان عندك شك أنك ستُقابل أحد هؤلاء المُعذبين الوحشيين، من الأفضل أن تستدعي طاقة إيجابية للنماذج قبل أن تبدأ الحوار، وستحدث عن الاستدعاء في القسم التالي، ملحوظة أخرى: أثناء الحوار قد تواصل مع أكثر من وجهة نظر، حينها عليك أن تعامل مع الحوار على أنه مجلس إدارة، واستمع لرأي الجميع بعدل.

التالي هو مثال حقيقي عن تمرين الحوار التخييلي الفعال، الرجل الذي خاض هذا الحوار مع أحد عقده الداخليه (المُخادع) كان يواجه العديد من المشاكل في العمل؛ لأنه اكتشف أنه لا يستطيع التحكم في تعليقاته الناقدة الحادة - التي معظمها مبني على ملاحظات دقيقة وواقعية - تجاه عدم كفاءة الإداره، وجد نفسه يسخر من مديره أمام زملائه الموظفين، كما لم يكن يستطيع أن يصل العمل في المواعيد المحددة، ولم يتمكن من احتواء ازعاجه واشمئزازه في الاجتماعات أو حتى أحياناً في اللقاءات الثنائية مع المُشرفين عليه، التالي هو ما حدث عندما حاول هذا الرجل التواصل مع ما كان يجعله يتصرف بهذه الطريقة.

نمنع ونكبح أي شيء يظهر.

وكأي اجتماع مجلس إدارة ناجح، علينا على الأقل أن نتفق أنا سنتختلف، وفي الظروف شديدة العدائية والحدة، علينا أن نسعى لهذة - إن أمكن - على الأقل مؤقتاً، على أقل تقدير سيساعدنا هذا التمرين على أن نكتشف المعارضه بداخلنا، وإظهار كل الكروت على الطاولة، وهذا التحذير المسبق بشأن المخاطر الداخلية المحتمله؛ سيعطينا بالتأكيد أفضليه أوليه.

قد يديرو هذا التمرين غريباً في البداية، لكن غالباً ما تكون بعض دقائق من الكتابةكافيه لإظهار حقيقة وجهات النظر المختلفة داخل نفسية كل رجل، قد يحدث أنك لا تجد شيئاً تكتب في البداية، لكن إن استمررت في التحدث مع نفسك، ستحصل عاجلاً أم آجلاً على إجابات، قد تحصل على إجابات مُفزعه أو إجابات مُطمئنة، لكنك ستحصل على إجابات مهمة دون أي شك.

ملحوظه للتحذير: في خلال هذا التمرين، إذا قابلت كياناً عدائياً للغاية، ما يسميه علماء النفس «المُعذب الداخلي»؛ أوقف التمرين واستشير أخصائياً نفسياً جيداً، معظمنا في الأغلب لديه معذبون داخليون، وكذلك مساعدون داخليون،

أ: لماذا تُريد أن تجعل حياتي بائسة؟ لماذا هذا مُمتع بالنسبة لك؟

م: لأنك تستحق حياة بائسة، فأنا أيضًا بائس!

أ: لماذا أنت بائس؟

م: بسبب ما فعلته بي.

أ: أنا فعلت بك؟!

م: نعم، أيها الأحمق.

أ: ماذا فعلت بك؟

م: أنت لا تكرث بشافي، فلا تتظاهر أنك تكرث.

أ: أنا أكرث، أريد أن أكرث.

م: نعم، لأنك غير مرتاح.

أ: هذا صحيح، أنا وأنت علينا أن نحل الأمور بيننا.

م: لا، ليس علينا ذلك، علينا فقط أن نُتيّم طردك من العمل.

أ: لن أسمح لك أن تتسبب في طرددي.

م: إذن حاول أن تمنعني!

«أ» هي الأنماط «م» هو المُخادع.

أ: من أنت؟ (وقفة) من أنت؟ (وقفة) ماذا تُريد (وقفة)
طويلة)، أيًّا كنت، أنت تسبب لي المشاكل.

م: أليس هذا مُثيرًا للاهتمام؟

أ: أووه، إذن هناك أحد بالفعل.

م: لا تكون مُغفلًا، بالطبع هناك أحد هنا، ليتنبي أستطيع قول
هذا عنك أيضًا، الأنوار مُشتعلة، لكن لا أحد في المنزل.

أ: ماذا تُريد مني؟

م: حسناً، دعني أُفكِّر في ذلك (وقفة)، أنت تعرف ما أريد،
أيها المُغفل، أريد أن أجعل حياتك بائسة.

أ: لماذا؟

م: لماذا؟! هاها (بسخرية) لأن هذا مُمتع، أنت تظن أنك
هادئ ورابط الجأش، تخيل إن تم طردك من العمل، يا إلهي،
سيكون هذا مُمتعًا جدًا.

أ: منْ أنت؟

م: اسمي لا يهمُ، ما يهمُ هو أنني هنا.

جديدة وتنكرة لمكان ما، أنا أفضل الأماكن الاستوائية، وكذلك أريد - ولا تُصبِّ بالصدمة - علاقة حميمية! أـ: لقد اتفقنا، وأنت عليك أن تتوقف عن الضغط علىي في العمل، ولا ستصبح في إجازة دائمة.

مـ: لقد كانت هذه الخطبة، كنت أتمنى أن أجعلك تأخذ إجازة بأي شكل من الأشكال، فقط عليك ألا تتراجع عن اتفاقنا.

أـ: لن تتراجع.

مـ: إذن نحن مُتفقان.

عادةً إجراء حوار مع خصوم داخليين - والذين يكونون في الأغلب نماذج غير ناضجة للطاقات الذكرية - يُشتَّتِّت مُعظم قواهم، فما يُريدونه في الحقيقة هو - كجميع الأطفال - أن يتم ملاحظتهم والاهتمام بهم، وأخذ رأيهم في الاعتبار، ولديهم الحق في ذلك، وحينما يتم تقديرهم والاعتراف بمشاعرهم؛ سيتوقفون عن مُحاولة لفت الانتباه من خلال حياتنا وسلوكنا.

هذا الخلاف بين الرجل ومُخادعه الداخلي انتهى بصورة ودية وسلامية، وما كان علاقته سلبية سامة، تحول إلى مصدر للتوازن في حياة هذا الرجل، فقد قام مُخادعه الداخلي بتقريع انتفاح الأنماط الأخيرة، وقد فعل هذا في الواقع لإرغام الرجل على

بعد المزيد من الاتهامات المُتبادلة والتعبير عن عدم الثقة من الجهازين، بدأت أنا الرجل وهذا الكيان الداخلي، الذي كان نموذج المُخادع يرتدي الظل الشخصي لهوية الرجل، بدأوا حواراً حقيقياً جاداً.

مـ: أنت تمنع وتكتب مشاعرك الحقيقة تجاه الأشياء، تكتب كل مشاعرك، أنت جبان!

أـ: مشاعرك، مشاعرك الحقيقة، أحياناً أريد أن أكون غاضباً، وأحياناً أريد أن أكون مُبتهجاً جداً، وأنت كل ما تفعله هو أنك تتخاذل مُدعياً التفوق، بينما أي تفوق لديك هو داخلي أنا، أنا حقيقة.

أـ: أنا أريد أن أكون صديقك، أريدك أن تكون صديقي أيضاً، أنت لست أنا، أنا لدى وجهة نظر الخاصة، وأريد منك أن تستمع إليها، لكنني بالفعل سأبدأ صفحة جديدة، لكن في نفس الوقت، لا يُمكّنني أن أتركك تُخرب وظيفتي، فإن جمعت أنا ستجوئ معي، فنحن في هذا الشأن سوياً.

مـ: نعم، حسناً، لكن يجب عليك أن تتتبّه لي وتكرث بشائي، لدينا إجازة من العمل قريباً، وأريد أن أذهب لمكان جميل هذا العام، أريد نبيداً ونساء وأغانٍ، إذن فعليك أن تشتري ملابس

بـ: إنها تتصرف بأنانية كالعادة، هي تُحاول أن تغمري برغباتها الاندفاعية، هي لا تكررت بشأني، إنها خطرة وإن كان علىي أن أكون في علاقة معها، علىي إذن أن أضع القوانين والقواعد.

مـ: نعم، لكن هذا يُلغى مُتعة العلاقة، عليها هي أن ترغب أن تكون معنا، وإلا لن يُصبح للموضوع قيمة، سأحبها مهما فعلت، أنا واقع في حبها بشدة، وإن حاولت التحكم فيها، ستُفسد قيمة الحب الحقيقي.

بـ: لا تُصدّعني بهذا الهراء الرومانسي، ربما أنت مُستعد أن تستلقي وتستسلم للأمر لكنني لن أفعل هذا، كيف يمكنك حتى مجرد التفكير في العيش مع امرأة آثانية واندفاعية مثلها؟

مـ: لأنها - وبغضّ النظر إن كانت آثانية واندفاعية أم لا - هي المرأة التي أحب.

بـ: لكن ليس هناك أي نوع من الاستقرار والأمان مع هذه المرأة.

مـ: ليس هناك أي استقرار أيضاً في إرغام شخص ما على فعل ما تُريده إذا كان مُخالفًا لرغباته الخاصة، فالحب موجود فقط لتحقيق السعادة النقية والحب النقي.

الاهتمام بمحواب كانت مهملاً ومُتجاهلة في شخصيته وحياته، والكيان الذي كان مُعدّياً داخلياً يُريد الشر لصاحبه تحول لصديق حميم.

في هذا المثال التالي عن الحوار التخييلي الفعال، قامت أنا الرجل بلعب دور الحكم بين جانبيين مُتخاصفين من شخصيته: أحدهما يُظهر تأثير شكل غير واضح من نموذج البطل، والآخر يُظهر نموذج المُحب، هذان النموذجان كانوا على خلاف في كيفية التعامل مع المرأة التي كانت في حياة الرجل، البطل كان يرغب في أن يتغلب عليها، والمُحب كان يرغب فقط في التقرب إليها على أساس مُشتركة، هكذا جرى الحوار.

(أ) «ترمز لل لأنـا، (ب) «ترمز للبطل، (م) «ترمز للمحب».

أـ: إذن أنتما الاثنين لدينا مشكلة، المرأة تُريد أن تذهب في رحلة إلى البرازيل، وحدها وبدوننا، أنت أيها البطل تُريد أن تُخرب الموضوع بالنسبة لها وتعطيها إنذاراً أخيراً: إما أن تُلغي الرحلة وتتأقى هنا إلى شيكاغو لتزورك بدلاً من الرحلة، أو تنسى هذه العلاقة تماماً، وأنت أيها المُحب تُريد أن تدعها تذهب وتحبها مهما كان الأمر، إذن علينا أن نتخدّل قراراً مهمـا هنا.

تحتاجه جيل فعلاً في الواقع، لم تذهب جيل إلى البرازيل وتحسن علاقتها به، والشدة النفسية داخله تحول لاتحاد وتكامل.

٢ - الاستدعاء:

هناك أسلوب آخر نسميه الاستدعاء، يستخدم للتواصل مع طاقات النماذج بصورتها الناضجة، وهذا الأسلوب قد يبدو غريباً في البداية، لكن التأمل في الموضوع قليلاً يكفي لإقناعنا أننا نفعل هذا الأسلوب طوال الوقت، الحقيقة هي أننا جميعاً نعيش حياتنا السيكولوجية دون قصد، مُستدعين صوراً وأفكاراً قد تكون مفيدة لنا أو لا، عقولنا مليئة بالرؤى والأصوات والكلمات، والعديد منها غير مرغوب فيه، ولرؤية حقيقة هذا على المرء ف靓 أن يُتعلق عينيه للحظة، وستظهر له صور في العتمة، وستظهر أفكار بالكاد يمكن سماعها بالأذن الداخلية، إن كان أسلوب الحوار التخييلي الفعال هو طريقة واعية للتتحدث مع النفس، فالاستدعاء عبارة عن طريقة واعية في استجلاب صور تُريد أن نراها.

التخيّل يؤثّر فينا عميقاً، في مزاجنا وتصرفاتنا، في نظرتنا للأشياء وما نفعله.

بـ: ربما أنت تستطيع أن تعيش بالحب النقى، لكنني لا أقدر على هذا، سأتغلب على رغباتها العنيفة أو أمور وأنا أحارب. مـ: ما سيomore هو العلاقة.

أـ: حسناً، لقد استعرض كل منكم وجهة نظره، والآن علينا أن نصل لاتفاق ما.

يبدو لي أن كليهما على صواب، لكن كليهما مبالغ، البطل على صواب بشأن وضع الحدود والقواعد المعقولة للعلاقة، وكذلك إدراك حدودنا الخاصة، وما هو مُريح لنا، وأن تذهب «جيل» - اسم الفتاة - إلى البرازيل بدلاً من أن تأتي إلى شيكاغو شيء يفوق تحملنا، وكذلك المحب على حق بشأن عدم الرغبة في تدمير العلاقة، وبشأن الرغبة في احترام رغبات وحدود «جيل» الشخصية، لكن يا مُحب، عليك أن تدرك أن الحب البشري لديه بالفعل حدود، قد يكون الحب نفسه كفضيلة لا حدود له، لكن ما تقدر على التعامل معه في الحياة البشرية بعيداً عن هذه اللامحدودية، إذن دعونا نضع الحدود ونُحب «جيل» في نفس الوقت.

لأن البطل تحت تأثير المُحب، تمكّن من تحويل خوفه وغضبه إلى شجاعة وثقة في وضع الحدود وهو ما كانت

ترتبط «كيميائي» مع النساء، كان يرغب أكثر من أي شيء في أن يجد امرأة تحبه، امرأة يحصل معها على حياة جنسية مُثيرة، امرأة يُمكّنه تروّجها، جزء مما وصفناه لمساعدته في حالته هو أن يقرأ كل ما يستطيع عن إله الحب الإغريقي «إيروس»، خصوصاً قصة إيروس والروح، ثم أن يستحضر طاقة إيروس رمزياً وسيكون وجياً لمساعدته في الشعور بالحسنة والجاذبية.

بعد أن بدأ تمارين استدعائه بفترة قصيرة، ذهب في رحلة سياحية على بآخرة، وهناك قابل - على نحو غير متوقع - سيدة جميلة، وشعرت السيدة أنه أكثر الرجال وسامة ورجولة من قابتهم في حياتها، هذه السيدة كانت في الحقيقة تعامل مع روح «إيروس» - أي روح طاقة المُحب - المعمورة جديداً في داخله، هذه الطاقة الجذابة التي كانت تماماً شخصيته ونفسيته كلها، حتى أنها قالت له ذات مرة: «أنت جميل كالآلهة الإغريق»، وقد اشتراكاً سوياً في جماع يملؤه الشغف لعدة ليالٍ على البحر، وقد وصف هذه التجارب بأنها كانت أكثر التجارب الجنسية روعة في حياته، الشاب والسيدة ظلا على اتصال بعد انتهاء الرحلة، وفي خلال سنة تزوجا، ويتنظران الآن مولوداً في خلال الأشهر القادمة، وقد رأى الشاب أن حياته الجديدة والغنية كانت بفضل تخيله واستدعائه لنموذج المُحب بداخله.

لذا فمن المهم أن نتباهى للصور والأفكار التي نستدعيها في حياتنا، وهكذا نقوم بالتخيل الواقعي أو الاستدعاء.

إن أمكن، أبداً هذا التمرين في وقت هادئ ومكان هادئ، وحاوّل أن تسترخي وتُنْقِي ذهنك قدر المستطاع، لا داعي لتمارين استرخاء طويلة، فقط قدر المستطاع، ركّز على صورة مُعينة لديها صور ذهنية وكذلك أسماء أو كلمات شفهية، من المفيد أن تبحث قليلاً - قبل القيام بالاستدعاء - عن صور حقيقة للملك والمُحارِب والساحر والمُحب، قد تكون صورة من فيلم ما، أو رسمة على سبيل المثال، لفترض أنك وجدت صورة لإمبراطور روماني على عرشه، خلال التمرين، ضع الصورة أمامك، وحينما تسترخي تحدث إلى الصورة، استدِعِ الملك بداخلك، اسع لتوحد أعمق لوعيك معه، استوْعِبْ أنك (كأنما) مُختلف عن هذا النموذج، أثناء التخيل، أجعل أنك خادماً له، اشعر بهدوئه وقوته، خيره المُترن تجاهك، طاقته التي تحميك، تخيل نفسك أمام عرشه تتحاور معه، احترم وبِجَلٍ حضرته وحضوره، قل له: إنك تحتاجه، تحتاج مساعدته وقوته ونظامه وشموخه، اعتمد على كرمه وعطائه وصلاحه.

أحد الشباب أتى ذات مرة للتحليل لأنّه كان يشعر أنه منفصل تماماً عن جانبه الجنسي، فهو لم يستطع أن يُقيم أي

هذا الأسلوب الذي تُرجمَه هو مُشابه بصورة كبيرة لما سمته مُعظم الأديان: الصلاة أو الدعاء، فحينما تجتمع هذه الصلوات بصور وأماكن وطقوس خاصة، يكون لها تأثيرٌ نفسي عظيم، في الحقيقة أن تماثيل الإغريق والرومان العديدة الخاصة بالآلهة كانت تخدم هذا الأسلوب الطقسي بالتحديد، فهي تُعتبر صورة رمزية للإله تُؤيد في عملية التركيز والاستدعاء.

٣ - الإعجاب بالرجال العظام والقدوات:

أسلوب الإعجاب والتقدير يمكن أيضًا استخدامه في عملية التواصل مع النماذج، الرجال الناضجون يحتاجون أن يُعجبوا بالرجال العظام الآخرين، الحي منهم والميت، علينا خصيصًا أن نتواصل مع الرجال الأكبر سنًا الذين يستطيع أن يتطلع إليهم كأمثلة حسنة، وإن لم نجد حولنا شخصًا مثل هؤلاء الرجال، علينا أن نقرأ مذكراتهم وسيرهم الشخصية ونطلع على أقوالهم وأفعالهم، لا يجب على هؤلاء الرجال أن يكونوا مثالين، فالمثالية - وهو ما يدركه أي إنسان مُتكامل - لا يمكن تحقيقها أبدًا، لكن السعي لتحقيق الكلية ممكن، وهذا السعي مسؤولية كل رجل.

رجل آخر وجد أن النساء تهاجمه في مكان عمله؛ بسبب طريقة في التعامل التي تمتاز بالذكورية المدعمة بالثقة في النفس، وجد الرجل القدرة على تحمل وتخفي هذه الهجمات من خلال هرم زجاجي كان على مكتبه، فحينما كان يشعر أن هذه الهجمات تغمر مشاعره، كان يأخذ دقيقة راحة، يُرکز فيها على التنفس ببطء وينظر إلى الهرم مُتخيلًا أن الهرم داخل صدره، في هذه اللحظات، كان يدُوّ وَكأن موجات الهجمات العاطفية تصطدم بجوانب الهرم، مُحاولةً تدميره، لكن الموجات تشتت وتتكسر فاقدها قواها، لم تتحسن بيته وظيفته، لكنه كان ينجح في المحافظة على توازنه وهدوئه وتمركه في معظم الأوقات، بينما كان يسعى - على أرض الواقع - لإيجاد وظيفة أخرى بيته أفضل.

في خلال أيام العمل العصبية، لم يتمكن هذا الرجل من جعل عملية الاستدعاء لديه طقسيّة، لكن العديد من الرجال يُمكّنهم ذلك، أثناء هدوء الصباح الباكر أو المساء المتأخر، حتى إن بعضهم أحياناً يُشعل الشموع والبخور أمام صور النماذج للتأمل بها، مُكرمين بهذه الطريقة النماذج بطريقة قديمة لكنها مثالية.

هناك مقوله شهيرة في هذا السياق: «كن حذراً لما تمناه»، فقد تحصل عليه، القوة الهائلة للتفكير الإيجابي هي على الأقل حقيقة بشكل جزئي، على الأقل أكثر حقيقة مما نظن، فحينما نكون في عملية تقييم لعلاقتنا مع النماذج السيكولوجية الأربع، وحينما نكون منخرطين في حوار مع الجوانب الإيجابية والمظلمة منهم، علينا أيضاً أن نستدعي النماذج في صورتها الإيجابية المُتكاملة بشكل مُعتمد وفعال.

* التعامل «كأنك»:

هناك أيضاً أسلوب آخر للتواصل مع النماذج الناضجة يستحق الذكر ولو بشكل موجز؛ لأنه غالباً ما يتم تجاهله، وهذا الأسلوب يعتمد على الطريقة التي تتوجه مراضاً وتكراراً في مجال التمثيل عندما يحاول الممثل أن يتمكّن من الشخصية عندما لا يشعر بالشخصية بالشكل المطلوب.

في هذا الأسلوب، إن كنت غير قادر على الشعور بالشخصية المطلوبة منك في النص، تبدأ في أن تعامل وتتصرف كأنك هذه الشخصية، تتحرك وتتكلّم مثلما تتحرك وتتكلّم هذه الشخصية.

ما ينقضنا نقاط ضعفنا، الأماكن في نفسينا التي هي ممروضة بأقطاب الجوانب المُظلمة، هي الأماكن التي تحتاج فيها تحديداً أن نستدعي مُميزات الآخرين، من خلال الإعجاب الواعي الفعال، إن كنا نحتاج المزيد من طاقة المُحارب في حياتنا، قد تتجه للتعرف على روح المُحارب المصري القديم رمسيس الثاني، وقائد قبيلة زولو الشجاع الذي واجه هو ورجاله ببسالة الاستعمار البريطاني في القرن التاسع عشر، إن كنا نحتاج المزيد من طاقة الملك، قد ندرس حياة «أبراهام لنوكولن» أو «هوتشي منه»، إن كنا نحتاج لطاقة المُحب، قد نُعجب بهذه الطاقة في الكاتب الأميركي «ليو بوسكا جاليا».

ما يجب استيعابه هو أن الصور والأفكار التي نستدعيها تُحدّد بقدر كبير ليس فقط ما تبدو عليه الأشياء بالنسبة لنا، بل ماهية هذه الأشياء وحقيقة أنها أيضاً التحول الإيجابي في طريقة تواصلنا الداخلية مع نماذج الذكورة الناضجة سيُسبب تغييراً أيضاً في حياتنا الخارجية، على أقل تقدير، التحول الإيجابي في العالم الداخلي سيعدّمنا بشكل كبير في التعامل مع المشاكل والظروف الصعبة، وسيُمكّننا من تحويلها إلى إيجابيات تصب في مصلحتنا، مصلحة من نحب، مصلحة وظائفنا وشركتنا، مصلحة قضيانا وحتى مصلحة العالم.

القتالية، أو تبدأ في الذهاب للصالحة الرياضية، انهض وتحرك
وخذ موقعًا تعلم أنه ضروري، وقريباً ستشعر أنك بالفعل
تعامل كمحارب في جوانب عديدة في حياتك.

إن أردت أن تتواءل مع طاقة الساحر بصورة أكثر فاعلية،
في المرة القادمة التي يلجلأ إليك أحد ساعيًا لحكمتك، تعامل
كانك لديك فعلاً بعض الحكمة، تعامل كانك حقاً لديك شيئاً
مفيدةً لقوله، أرغم نفسك لتستمع حقاً لهذا الشخص، حاول
أن تفني عقلك من أحجنتك الخاصة وركز بشدة في المشكلة
التي يعرضها أو لك، ثم بعد تفكير حقيقي عميق، قم بإعطاء
هذا الشخص كل ما تستطيع من الحكمة التي تعلمتها من
تجاربك الحياتية، جميعبنا لدينا حكمة أكثر مما نظن.

كلمة أخيرة:

في هذا الكتاب كنا حريصين أن نساعد الرجال على تحمل
مسؤولية الدمار الذي تسببه أشكال الذكرة غير الناضجة،
في نفس الوقت، من الواضح أن العالم مُكتظ ليس فقط
بالرجال غير الناضجين، بل بالفتيات غير الناضجات كذلك،
المُستبدات المستغلات اللواتي ينظاهرن أنهن نساء بالغات،
لقد حان الوقت للرجال - خصوصاً للرجال في العالم الغربي

في الحياة الواقعية، حتى إن وجوب الأمر أن تتعامل «كأن
هكذا هو الأمر»، قم بهذا، فعلى مسرح الحياة - وعلى سبيل
المثال - يجب أن تستمر في لعب دور الملك حتى عندما تسوء
الظروف، حتى إن كنت مطروحاً لتوّك من العمل وزوجتك
تخلّت عنك حالاً، يجب أن يستمر العرض فالآخرون
يعتمدون عليك بأن تقوم بدورك بشكل صحيح، فعليك أن
تمسك النص وتقرأ كلمات الملك، وتجلس على العرش،
أن تتعامل «كأنك» ملك، وحينها صدق أو لا تصدق، ستبدأ
بالشعور أنك ملك.

إنه أمر غريب، لكن إن أردت أن تتواءل مع المزيد من
طاقة المحب على سبيل المثال، ولحظات غروب الشمس
لا تثير اهتمامك، عليك فقط أن تذهب وتحاول حقاً أن ترى
الغروب، تعامل كأنه يعجبك، قل لنفسك: «ما هذا الجمال!
هذه الألوان البراقية والحرماء، والتحول الخافت من الأزرق
للبنفسجي» قد تبدأ بالشعور حقاً - بالرغم من غرابة الأمر -
أنك تجد الغروب جميلاً بالفعل.

إن أردت أن تتواءل مع المزيد من طاقة المحارب، قد تبدأ
بالنهوض من أريكتك من أمام التلفاز، وأن ترغم نفسك على
الخروج لتركض في الشارع حول المنزل، قد تبدأ تعلم الفنون

«جوزيف كامبل» في كتابه الأخير «الفضاء الخارجي» في داخلنا دعا إلى صحوة عالمية، إلى نوع من المباشرة البشرية التي تتحول إلى نقطة لم شمل واتعاش البشرية وإيقاظ حسها تجاه المسؤولية والضروج، المباشرة - هي في الحقيقة سبيل لاكتشاف «الفضاء الخارجي بداخلنا»، نتمنى أن يُضيف صوتنا أيضاً إلى العديد من الرجال الذين على مدار التاريخ وضد كل الاحتمالات، ومن خلال حياتهم وتعاليمهم، دعوا إلى إيقاف سيادة السيكولوجية الطفولية، وأوقفوا اقتراب النهاية المأساوية للعالم

لو استطاع الرجال المعاصرون أن يأخذوا على عاتقهم مهمة مباشرتهم الخاصة للتتحول من الطفولة والصبيانية إلى الذكرة الناضجة، بنفس العزيمة والجدية التي كان يتحلى بها أجدادهم في القبائل البدائية، حينها قد تشهد توقف الانهيار ومخاطر بداية النهاية التي يتعرض لها جنسنا البشري في الوقت الحالي.

لله ولهم

- أن يتوقفوا عن تقبل اللوم بشأن كل ما يعيّب العالم اليوم، إن هناك حرّياً خاطفة على جنس الرجال، هذه الحرب وصلت للشيطنة الواضحة لجميع الرجال، والافتاء وإهانة الذكر، بينما في الواقع لا يوجد اختلاف متأصل في النضوج بين الرجل والمرأة، فما يُصيب الرجال من عدم نضوج يُصيب النساء أيضاً، على سبيل المثال، «الطاغية على كرسي الأطفال» يظهر بكل وضوح أو تظاهر بكل وضوح في الرجال والنساء على حد سواء،

الرجال لا يجب عليهم أبداً أن يشعروا بالعار من جنسهم لمجرد أنهم رجال، بل يجب أن يُركزوا على تنمية وإنضاج أنفسهم من أجل جنسهم وجنس النساء والعالم أجمع، فالعدو لكلا الجنسين هو ليس الجنس الآخر، بل الع神性 الطفولية والانشقاق في النفس الكلية وما يحدث نتيجة ذلك.

كلمة تشجيعأخيرة: أي عملية تحولية - كالحياة نفسها - تتطلب الوقت والجهد، يجب أن تقوم بواجبنا المنزلي من الناحية الوعائية، وحين يتم التواصل بطريقه صحيحة مع اللاوعي، فسيستجيب بطاقة العظيمة لأسئلتنا ولحاجاتنا ولشفاء جراحتنا، فالكفاح من أجل النضوج هو إلزام سيكولوجي وأخلاقي وروحاني داخل كل رجل.

المراجع وقراءات مختارة

علم السلوك/علم الإنسان (أنثروبولوجيا)

Robert Ardrey "African Genesis"

Robert Ardrey "The Territorial Imperative"

David D. Gilmore "Manhood in the Making: Cultural Concepts of Masculinity"

Jane Goodall "The Chimpanzees of Gombe: Patterns of Behavior"

Victor Turner "The Ritual Process"

Comparative Mythology and Religion الميثولوجيا والأديان

Mircea Eliade "Cosmos and History"

Mircea Eliade "Patterns in Comparative Religion"

Mircea Eliade "The Sacred and the Profane: The

Robert Bly	“Iron John”	Nature of Religion
Jean Shinoda Bolen	“Gods in Everyman”	
Don S Browning alytic Perspectives”	“Generative man: Psychoan-	
D.W. Winnicott From”	“Home Is Where We Start	
King	ملك	عن كارل يونج
Henri Frankfort	“Kingship and the Gods”	Joseph Campbell “The Portable Jung”
John Weir Perry	“Lord of the Four Quarters”	Edward F. Edinger “Ego and Archetype”
John Weir Perry and Madness”	“Roots of Renewal in Myth	Jolande Jacobi “Complex/Archetype/Symbol in the Psychology of Jung”
Warrior	أُطْهَارُ	Anthony Stevens “Archetypes: a Natural History of the Self”
David J. Rogers	“Fighting to Win”	Boy Psychology النفسيّة الطفوليّة
Anthony Stevens	“Roots of War and Terror”	Joseph Campbell “The Hero With a Thousand Faces”
Magician	الساحر	William Golding “Lord of the Flies”
Elizabeth M. Butler	“The Myth of the Magus”	Alice Miller “For Your Own Good”
John G. Neihardt	“Black Elk Speaks”	Man Psychology النفسيّة الروجولية
Shirley Nicholson	“Shamanism”	



روبرت موور - على اليسار - مُحلل نفسي و أستاذ في علم النفس والأدبيان في الكلية الإكاليريكية الغلبا بشيكاغو، و مُحاضر في مؤسسة 'كارل يونج' بشيكاغو.

دواج لاس جيليت - على اليمين - باحث في مجال الأساطير القديمة، وفنان، ومستشار ديني ومؤسس جمعية 'رومانية العالم'.

روبرت موور ودواج لاس جيليت هم في الأصل مُحللين و إرشاديين نفسيين يولديرين (متبعين لمدرسة كارل يونج في التحليل النفسي) قبل أن يتجهوا لمجال الكتابة و المحاضرة.

Lover

Erich Neumann
conscious"

Walter M. Spink

المُحب

"Art and the Creative Un-

"The Axis of Eros"

ملِك .. مُحَارِب .. سَاحِر .. مُدِّب

هذا الكتاب يُعتبر خريطة للرجال، عندما يتم تسجيل التاريخ الفكري لنهاية القرن العشرين، سيحتل تدليل مور لافكار كارل يونج مكانة عظيمة في هذا التاريخ. يقوم مور و جيليت باعطاء الرجال أفكار و صور واضحة، و تمارين وأساليب تفكير مميزة، كلها تمثل طرق لمساعدة الرجال على النضوج النفسي بدور التخلص عن ذكرورتهم.

- جريدة شيكاغو صن تايمز

- دليل مُدرِّر عن التدول النفسي الذاتي

- مجلة بابلشرز ويكلو.

يقدم الكتاب نظرة مُثيرة حماسية عن الذكرة، ذكرة ليست مبنية على أسس السيطرة، بل مبنية

على أساس الإبداع و دعم النفس والآخرين

- مجلة نيو إيدج.